سلسلة حرب اللاعنف

حرب الصدور العارية

استراتيجيات وتكتيكات التعامل مع القمع والعنف

أحمد عادل عبد الحكيم   هشام مرسي   وائل عادل



اسـم الكتــاب: حرب الصدور العارية

التــأليـــــف: مجموعة مؤلفين

عـدد الصفحات: 512

عـدد المــلازم: 32

مقاس الكتــاب: 17 × 24

عـدد الطبعـات: الطبعة الأولي

الإيداع القانوني:

الترقيم الدولـي:

الصف التصويري: الندي للتجهيزات الفنية



التوزيـع والنشـر



مصر

darelbasheer@hotmail.com
darelbasheeralla@gmail.com
ت : 01067467492 -01062836461

1434 هـ
2013 م





تنتصر
الشعوب
بإرادة
يحرسها العلم

حرب الصدور العارية

استراتيجيات وتكتيكات التعامل مع القمع والعنف

فهرس المحتويات

بين جدار اليأس والخوف ....

كرة الخوف ....

كيف نتغلب علىٰ الخوف؟ ....

القاعدة الثالثة عشر: تمسك بالمسار وتسلح بالانضباط، ولا تحركك غريزة الانتقام

كيف تنجو الحركات من التحول للعنف؟..................................

آليات ضبط النفس ....

من آليات ضبط المشاعر..

ضبط مشاعر الجموع..

القاعدة الرابعة عشر: بعد الضربات القوية اهتم برفع المعنويات ....

أساليب رفع المعنويات وصيانة الإرادة ....

القاعدة الخامسة عشر: اصنع المعضلة للخصم....................................

صناعة المعضلة ....

صناعة الفخ ....

خصائص الفخ ....

الدمج بين الفخ والمعضلة...

القاعدة السادسة عشر: احذر عند استخدام استراتيجية التدخل الخشن........

ضوابط التدخل الخشن..

الفرق بين المسار العنيف واللاعنيف ....

حالات استخدام التدخل الخشن ....

موقف الحركات اللاعنيفة من التدخل الخشن..............................

القاعدة السابعة عشر: تأكيد السلمية من اليوم الأول يقطع الطريق علىٰ تهمة (الإرهاب)

كيف تؤكد الحركة سلميتها وتحافظ علىٰ سمعتها؟ ....

فهرس الأشكال

فهرس الصور

صورة 15: محتجون يحمون أذرعهم وصدورهم، ويمكن أن تغطىٰ هذه الأدوات بأشكال أكثر جمالية

صورة 16: دروع من ألواح أبواب المحلات المعدنية وبعض الأخشاب ..

صورة 17: دروع جماعية من ألواح أبواب المحلات المعدنية ....

صورة 18: دروع فردية تعكس رسالة المحتجين.........................

صورة 19: درع يباع في ألعاب المحلات الرياضية الخاصة بألعاب الدفاع عن النفس

صورة 20: درع رياضي كبير يصلح استخدامه علىٰ المسافات القريبة .....

صورة 21: علىٰ اليمين متاريس من شكارات الرمل الثابتة، وعلىٰ اليسار متاريس خرسانية ثابتة

صورة 22: متاريس متحركة للتعامل مع الرصاص الحي ....

صورة 23: مجموعة من المحتجين ضد الدرع الصاروخي لحلف شمال الأطلنطي

صورة 24: ترىٰ كيف ينظر اللاعب في منطقة الجزاء لمنافسيه ....

صورة 25: المقاومة اللاعنيفة لا تقف مكتوفة الأيدي بدون سلاح، فالعدسة تواجه البندقية

صورة 26: دور الكاميرا في نقل حالات الاعتقال.........................

صورة 27: متظاهر في حراك وول ستريت يهتم بالمشهد الذي سيظهر عليه أمام وسائل الإعلام

صورة 28: شعار رابعة الذي تحول بعد ذلك إلىٰ وسيلة تحية ....

صورة 29: حركة المقاومة الصربية في عام 2000 تقدم "عرضاً مسرحياً"

صورة 30: مجموعة تتدرب علىٰ الجلوس أرضاً ....

صورة 31: مجموعة من حركة الجرين بيس تتدرب علىٰ الوقوف مع .....

صورة 32: مجموعة من حركة الجرين بيس يتدربون علىٰ التعامل مع حالات الاعتقال

صورة 33: مجموعة من حركة جرين بيس يتدربون علىٰ الكلمة ....

صورة 34: مجموعة من حركة جرين بيس يتدربون علىٰ كيفية الخروج من سيارة الشرطة

صورة 35: جيش المهرجين يتقدم الصفوف ويفصل بين المتظاهرين وقوات الأمن

صورة 36: الشرطة تصاب بخيبة أمل حين ذهبت لفض تظاهرة ....

فهرس الجداول

❋ ❋ ❋ ❋

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

شهدت المجتمعات على مدار العصور - ولا زالت - حالات من الحراك، تتجلى بوضوح في الفعل السياسي والرغبة في التغيير، وتتبلور في إحساسها بحقها في أن تنعم بحياة، عمادها العدل والحرية واحترام حقوقها الإنسانية وكرامتها البشرية. وتنتفض بين الحين والآخر طلائع تمثل ضمير شعوبها، باحثة عن دورها الذي وجدت من أجله، وراسمة حلمها التغييري، عازمة على أن تطيح بالديكتاتوريات التي تسببت في قعود مجتمعاتها عن مواكبة التطور الإنساني العالمي.

وتأتي إسهامات أكاديمية التغيير العلمية في إطار تقديم الخبرة الإنسانية التراكمية للشعوب، تنميةً للعقل التغييري، وتعزيزاً للفكر الاستراتيجي، ونشراً لثقافة التغيير على أسس علمية، مستفيدة في ذلك من التجارب الإنسانية على مر العصور، لاستكمال وصقل وتطوير طرق الكفاح التي بدأها أحرار الإنسانية الصامدون.

كتاب "حرب الصدور العارية"

يأتي كتاب «**حرب الصدور العارية** » - في سلسلة حرب اللاعنف- لإجابة سؤال مركزي في أي كفاح.. كيف نتعامل مع القمع؟ وهل يجدي اللاعنف مع نظم مستبدة تسخر كل طاقاتها للتصدي لصوت الشعب الهادر؟!

تجمعت مادة هذا الكتاب على مدار سبع سنوات، ونُشر الكثير منها كمقالات متناثرة عبر موقع أكاديمية التغيير على الإنترنت. وقد تأخرت طباعتها حتى تصل إلى مستوى من النضج العلمي والعملي، خاصة وأن الموضوع

شائك ومهم. ويتطلب إجابات عملية تكافيء حجم التحديات التي يواجهها المقاومون السلميون أمام قوىٰ القمع.

تطورت مادة الكتاب من خلال الاحتكاك بالحراك الميداني في عدة دول، من أهمها مصر واليمن وسوريا، حيث وُجدت أنماطٌ مختلفة من التعامل القمعي، وكذلك من تركيبة المجتمع والوعي العام الشائع فيه بالتعامل مع القمع.

وقد آثرنا أن يطغىٰ الجانب العملي علىٰ الجانب النظري في الكتاب، فكان الجانب النظري في المفاهيم التي لا يمكن إهمالها، وبقدر الحاجة التي تتيح الفهم الجيد والاستيعاب. فالجانب العملي مرهون بالنظرية التي أنتجته، ومن ثم تأتي فائدة فهم الجانب النظري في إبداع أشكال عملية غير التي وردت في الكتاب.

كذلك اتسمت المعالجة بالواقعية بعيداً عن الرومانسية، لأن هدف الكتاب هو بيان منهج «**حرب اللاعنف**» ورؤيته لكيفية اختراق الواقع من أجل الوصول إلىٰ المثالية، مع تفهم أن الحركة نفسها يصعب أن تكون مثالية، بل هي حركة بشرية يعتريها النقص وتفتقد أحيانـًا إلىٰ الحيلة، لكنها تصر علىٰ المقاومة والتصحيح الذاتي لأخطائها. مما يلجئها أحيانـًا في ظل التحديات الجسام إلىٰ ممارسات كانت تدينها نظريـًا. نتعرض لكل ذلك في الكتاب، ونتناول كيفية التقليل من مخاطره بحيث لا يتحول الاستثناء إلىٰ أصل.

وقد ركز الكتاب علىٰ القمع العنيف للقوات النظامية وغير النظامية، ولم يتعرض لأشكال القمع الأخرىٰ مثل التهديد، أو الفصل من العمل. حيث يعتبر هذا النوع العنيف من القمع من أكبر التحديات التي تواجه المقاومة، وهو الذي قد يؤدي إلىٰ الانحراف الكامل بالمسار نحو العنف.

تحدي الكتاب

لقد كان من أصعب الأسئلة في هذا الكتاب هو الجزم بموقف «**حرب اللاعنف**» من العنف، فهل يمكن أن يدار صراع سياسي صفري ضد ديكتاتوريات دموية بدون أي عنف؟

هل يوجد لا عنف مطلق؟

مع أنه يمكن تناول هذا السؤال بالتحليل والنقاش العلمي، إلا أن السؤال العملي هو: كيف يتمكن المؤمنون بالمسار السلمي من مواجهة تحديات العنف دون أن ينحرفوا عن المسار الأساسي؟! كيف تتجه وسائلهم بالمجتمع نحو الوصول إلىٰ المسار السلمي الخالص، لا إلىٰ العنف المدمر.

إن المقاومين في حرب اللاعنف يؤمنون بضرورة هذا المسار لتشكيل المجتمع المتحضر، الذي يقدس حرمة الدم، ويجرم الإفساد في الأرض. ويعلمون أن دورهم هو حصار العنف لا توليده، وهو ما يميز أسلوبهم عن الأساليب التي تتغذىٰ علىٰ العنف وتنمو من خلاله.

اللاعنف المثالي – في حالات التعامل مع الديكتاتوريات – حلم يعكف علىٰ إيجاده علماء ونشطاء اللاعنف المهتمين بتطوير هذا الأسلوب، وإلىٰ أن يتحقق هذا الحلم فكل ما يمكن فعله هو التشديد في تبيان خطورة استخدام العنف، وتقييده بممرات ضيقة جداً يُسمح له بالمرور منها في حالات محدودة، وبشروط استخدام صعبة، وآليات يكاد يكون الخلاف المجتمعي عليها محدوداً. بحيث لا يستولي بمنطقه علىٰ منطق اللاعنف، ويبقىٰ خطـاً خجولاً متوارياً في لوحة اللاعنف الزاهية. ويظل دائماً في عيون المهتمين بتطوير هذا المجال فعلاً مداناً.

إن التجربة العملية من خلال تدريس منهج حرب اللاعنف للكثيرين من

المهتمين والمقاومين حول العالم، أثبتت أن المقاومين لديهم بدائل لمواقف كثيرة كانوا يظنون أن العنف وحده هو القادر علىٰ حسمها. لقد أصبحوا أكثر مرونة وخفة، وأصبحت عقولهم أكثر اتقاداً وإبداعًا. أجبروا خصومهم أن يتساءلوا؟! ماذا نفعل مع أناس لا يقاتلون لكنهم لا يخضعون؟!

أثبتت التجربة أن وفرة البدائل مرتبطةً بإعمال العقل، حيث تنحسر الأفكار التي تعتقد أن العنف وحده قادر علىٰ العمل، وتبقىٰ مساحات قليلة – وهي ما نسميها بالممرات الضيقة- التي يمر من خلالها العنف في مشروع التغيير ضد ديكتاتوريات غاشمة، يكون فيها العنف خاضعا لدستور اللاعنف وأخلاقياته.

وبذلك تمكن أسلوب حرب اللاعنف من إنزال منهج العنف من فوق عرش مناهج التغيير، بعد أن كان حاكمًا لها لفترة طويلة، وبقيت مساحات بسيطة في مدينة التغيير لم تحرر بعد، ما زال العنف يحتلها. وتحرير هذه المساحات مرهون بتطور أفكار وتكنولوجيا جديدة. تساعد العزّل علىٰ تجنب مخاطر القمع الفتاك.

محتويات الكتاب

يحتوي الكتاب على خمسة أبواب:

الباب الأول: فهم منطق القمع. وهو باب تحليلي تفسيري يسلط الضوء علىٰ أسباب انطلاق شرارة القمع.

الباب الثاني: أدوات القمع. وهو باب يصف آلة القمع ومكوناتها وأدواتها، وكيفية عملها.

الباب الثالث: قواعد استراتيجية عامة. وفيه استعراض لتسعة عشر قاعدة استراتيجية أساسية للتعامل مع القمع.

الباب الرابع: كيفية التعامل مع القمع. ونستعرض فيه بعض الاستراتيجيات والتكتيكات التي يمكن استخدامها للتعامل مع أشكال القمع المختلفة.

الباب الخامس: تكنولوجيا مواجهة القمع. وفيه استعراض لبعض ما ابتكرته العقول من تقنيات دفاعية وهجومية.

ثم اختتم الكتاب بملحق يضم أهم ما يمكن الرجوع إليه مما تمت الإشارة إليه في ثنايا الكتاب، مثل دليل قوات مكافحة الشغب.

وبذلك يجد المهتمون بالتفسير والتحليل بغيتهم بالأساس في الباب الأول الذي يغلب عليه الطابع التحليلي، بينما يجد المهتمون بالحراك الميداني والأفكار الاستراتيجية والتكتيكية العملية بغيتهم في الأبواب الأربعة اللاحقة.

ونتوجه بخالص الشكر للأستاذ جمال المليكي المحلل الأبرز للثورة اليمنية منذ انطلاقها، والذي أثرىٰ الملحق بفصل عن كيفية تعامل الثورة اليمنية مع القمع، حيث يلح السؤال.. كيف تمكن شعب مسلح بطبعه من تجنب حرب أهلية؟ وكيف أدار عملية الرد العنيف؟!

إن حركة الشعوب غالبة، طالما اتسمت بالوعي والإرادة والإصرار. وحركة الديكتاتوريات إلىٰ زوال. ومما يسرع زوالها تمسكها بغباء الحل القمعي. إنه ليس صراع بين سلطتين، سلطة الشعب وسلطة الحكومة، بل صراع بين رؤيتين للعالم والقيم التي يسير عليها، رؤية تحترم الإنسان وكرامته حتىٰ لو كان خصماً أو مخالفاً في الرأي، ورؤية تؤمن بالفكرة الواحدة، وتُخَوِّن كل من خالفها. رؤية تنادي بعالم يسع الجميع، وأخرىٰ ترىٰ تضييق الخناق علىٰ الجميع. رؤية تمد ذراعها بالسلام، وأخرىٰ تمد يدها بالرصاص.

لذلك لقنت "**حرب اللاعنف**" الرصاص درساً قاسياً، أنه أعجز من أن يقتل فكرة، وأن بإمكان اللاعنف سحق القمع نفسياً ومادياً حين يرتد أثره علىٰ من أشعله. حرب اللاعنف لا تهادن ولا تدعي أن قلوب الطغاة تلين، لكنها تجفف الشرايين التي تمد تلك القلوب بالحياة. وذلك حين يعلن الشعب الرفض

والعصيان. حين يتحول صوت الرصاص من أداة تخويف وقتل، إلىٰ خلفية موسيقية حماسية تلهب المشاعر فيتقدم الأحرار صفوف المقاومة بصدور عارية. وتسطر البطولات، ويتبادل العالم الصور، لتزين عناوين الجرائد حول العالم بصيحة مدوية معلنة: الشعب اليوم أثبت أنه حر لا يخاف، برجاله وأطفاله ونسائه.

وانطلاقـًا من حرص الأكاديمية علىٰ التواصل المستمر مع روادها، واطلاعهم علىٰ التحديث المستمر لمادة الكتاب؛ فقد خصصت قسمـًا في موقعها علىٰ الإنترنت (**www.aoc.fm**)، يتيح للمسجلين فيه متابعة تحديثات الكتاب والمواد الداعمة له من فيديوهات وصور وسيناريوهات، وتلقي أسئلة القراء والإجابة عليها. كما يمكن متابعة الجديد من خلال صفحتنا علىٰ الفيسبوك .

https://www.facebook.com/academyofchange.net

قسم الدراسات والأبحاث

أكاديمية التغيير

❋ ❋ ❋ ❋



الباب الأول

فهم منطق القمع

يعد القمع واحداً من أشكال العملية السياسية،[1] فهو أحد أدوات القوة السياسية التي تُعرَّف علىٰ أنها «**القدرة علىٰ التأثير في سلوك الآخرين**»[2]، أو بأنها «**القدرة علىٰ العقاب والمكافأة والإجبار والمناورة لإخضاع الآخرين**»[3]، وبذلك فإن حديثنا عن القمع يعني نظرتنا إلىٰ أدوات العقاب والإجبار، ودوافع استخدامها، ودروها في العملية السياسية، وديناميكية عملها وكيفية التحكم فيها.

إذ قد يبدو للوهلة الأولىٰ أن التحدي الذي يواجه المقاومين هو القمع ذاته، فيتساءلون.. كيف يمكن تفادي هذه الضربات، أو صدها، أو الرد بشكل يردع المعتدين؟! لكن الأسئلة التي تسبق التفكير في كيفية التعامل مع أدوات القمع هي كيف نفهم منطق القمع؟ ما هو هدفه؟ ومتىٰ وكيف يحقق أهدافه؟ وما هو دوره في العملية السياسية؟ وما هو سقف هذا الدور؟ وما هي أسبابه؟ ومتىٰ تنطلق شرارته الأولىٰ؟

وقد يكون من الصعب إيجاد إجابة واحدة عامة لهذه الأسئلة تنطبق علىٰ جميع الحالات التي تمر بها الشعوب التي تتعرض لعمليات القمع من قبل الدولة. لذلك فقد ارتأينا أن نسلط الضوء علىٰ المسارات الكبرىٰ التي تعين الحركات المقاومة والتغييرية علىٰ الإجابة علىٰ هذه الأسئلة، والتي تختلف أجوبتها من حالة لأخرىٰ، وذلك من خلال تصميم نموذج تحليلي وتفسيري وتنبؤي، يمكنه أن يوفر لنا منطقاً وفكراً جديدين يعينان علىٰ تخليق الإجابات

---

1 وهو ما كان يعتقده كلاوزفيتز بشأن الحرب، إذ اعتبرها امتداداً للسياسة ولكن بآليات أخرىٰ.

2 Andrew Heywood, Politics, (New York: Palgrave Macmillan, 2nd ed., 2002), p. 7.

3 Andrew Heywood, Politics, (New York: Palgrave Macmillan, 2nd ed., 2002), p. 7.

الوافية والحلول المناسبة لكل حالة.

نموذج تحليلي لفهم منطق القمع

يساعد هذا النموذج قوىٰ التغيير علىٰ تفسير وفهم ما يتعرضون له من ممارسات قمعية، وبالتالي فهو يمكنهم من بناء استراتيجية رادعة مضادة وفعالة. كما يساعد هذا النموذج الحركات التغييرية علىٰ فهم أسباب وكيفية انطلاق شرارة القمع الأولىٰ، أو أسباب تصعيد الممارسات القمعية إلىٰ مستويات غير مسبوقة في الصراع، وبالتالي يبني قدرتهم علىٰ تصميم مسارات تمكنهم من تجنب اشتعاله ابتداءً، أو إطفاء جذوته قبل اشتعالها، أو محاصرته وإفقاده فاعليته وتأثيره علىٰ الحراك التغييري، أو استثماره في حالة حدوثه.

ويعتمد هذا النموذج على دراسة خمسة عناصر كبرى سنتناول كل منها بالشرح في فصل منفصل:

أولاً: المناخ السياسي والظروف المحيطة بعملية اتخاذ القرار باللجوء إلىٰ القمع أو التصعيد.

ثانيـًا: منهجية ممارسة القمع وعلاقته بالعملية السياسية.

ثالثـًا: البعد الأيديولوجي وعلاقة فكر القيادة والسلطة الحاكمة بعمليات القمع.

رابعـًا: خصائص القمع المستخدم، وتقنياته المختلفة، ومعايير استخدامها.

خامسـًا: آليات الدعم التي تحفظ للنظام القمعي استقراره رغم توتر المناخ العام.

سادسـًا: نتائج عملية القمع، وأهدافها في إطار العملية السياسية الشاملة.

* * * *

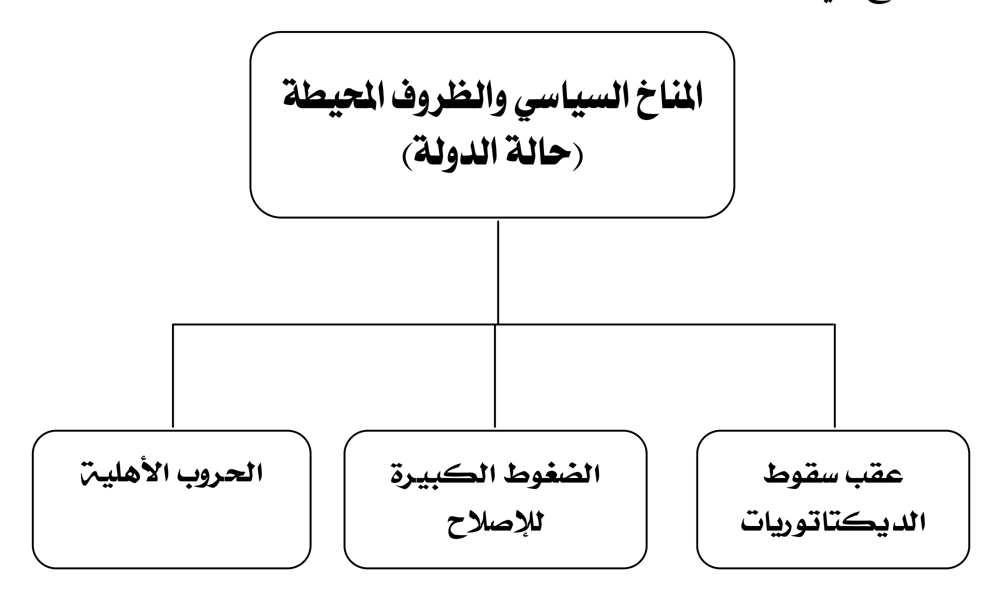


الفصل الأول

المناخ السياسي والظروف المحيطة



من أهم ما يجب دراسته لفهم أسباب انطلاق شرارة القمع هو النظر في حالة ووضع الدولة، ونعني بها سلسلة الأحداث التي تسبق إجراءات القمع المستخدمة من قبل السلطة الحاكمة، مع التركيز على تلك التي قد تقود إلى تغييرات في هيكل الحكومة أو القيادة، أو التي تؤدي إلى تهديد بقاء أو استقرار النظام السياسي. هذه السلسلة من الأحداث تفسر لجوء القيادة السياسية إلى استخدام القوة المفرطة أو المحدودة أو الإجراءات التعسفية المختلفة كونها تراها أفضل الإجراءات التي يمكن أن اتخاذها لتتمكن من البقاء أو من الدفاع عن نفسها في مواجهة موجة التغيير. فعندما تقارن السلطة الحاكمة هذه الإجراءات القمعية بالإجراءات السياسية الأخرى المتمثلة في التفاوض أو التنازل أو الاستسلام لشروط الحركات الجماهيرية المحتجة والمقاومة تبدو أداة القمع هي الحل الأمثل والأفضل في نظرها.



شكل 1 : يساعد فهم المناخ السياسي والظروف المحيطة بالقيادة السياسية، وإدراك حالة ووضع الدولة في تفسير أسباب القمع أو التنبؤ بانطلاق شرارته.

وبتحليل وضع الدول قبل اشتعال شرارة القمع نجد أنفسنا أمام عدة حالات:

الحالة الأولى: عقب سقوط الديكتاتوريات

عندما تسقط الديكتاتوريات العتيقة، تلك التي تميزت بالشراسة وقمع الحريات واضطهاد المخالفين، فإن سقوطها عادةً ما يتبعه ظهور الكثير من الفصائل والتيارات والمجموعات التي تختلف أوزانها السياسية ما بين الضعف والقوة. وكلما طال عمر الديكتاتورية وضربت بجذورها في تاريخ الدولة؛ كثرت هذه المجموعات وزادت حدتها، وكان ظهورها ونشأتها أقرب بانفجار مجتمعي نتيجة تكدس المطالب والمظالم والأحلام التي كانت تخنقها الديكتاتورية[1] .

عندما تستلم القيادة الجديدة السلطة – سواء استلمتها عن طريق انقلاب عسكري أو ثورة جماهيرية واسعة أو انتخابات شعبية - تجد نفسها واقعةً تحت ضغوط كبيرة من تلك المجموعات التي تطمح هي الأخرىٰ إلىٰ قطف ثمار النصر المجيد علىٰ النظام القديم، وتقاسم الحكم والسلطة مع القيادة الجديدة للبلاد، أو تطمح إلىٰ المشاركة الجادة في بناء النظام الجديد وفرض مطالبها أو رؤيتها أو أحلامها وأهدافها. وفي محاولة منها لتحقيق هذه الأهداف ترفع من حدة نبرتها وهجومها واعتراضها علىٰ القيادة الجديدة، وتتوالىٰ الاعتراضات المطالبة بالإصلاح وبسرعة إنجاز الأهداف الثورية. وهو ما قد تعتبره القيادة الجديدة تهديداً مباشراً لاستقرار النظام الجديد الآخذ في التشكل وتعطيلاً لقدرتها علىٰ تنفيذ برامجها.

1 القليل من هذه المجموعات تسبق نشأته سقوط الديكتاتورية، بينما أكثرها ظهوره مرتبط بعملية سقوط الديكتاتورية نفسها أو تالياً لها. أي أنها ظهرت في مرحلة السقوط أو ما بعده كرد فعل طبيعي علىٰ سقوط القيود الثقيلة التي كانت مفروضةً علىٰ المجتمع.

هذا الوضع يؤدي بالقيادة إلى نمطين سلوكيين متعارضين:

أولهما: محاولة بناء مؤسسات وعملية سياسية جديدة أكثر انفتاحاً وتنوعاً، تبتعد تماماً عن النمط الاستبدادي والقهري للنظام القديم.

وثانيهما: مواجهة تلك المجموعات التي تهدد «**مسار البناء**» – من وجهة نظر السلطة الجديدة – عبر اتخاذ إجراءات قمعية وتعسفية قد تقتصر علىٰ مصادرة حرية الأفراد وقد تتسع لتشمل كل شيء انتهاءً باستخدام القوة المفرطة، وذلك من أجل بسط نفوذها وقوتها. ومع وجود تهديدات خارجية يتعزز لدىٰ القيادة الجديدة الإحساس بأهمية وضرورة هذه الإجراءات القمعية.

وفي هذا السياق يمكن فهم عمليات الإعدام الواسعة التي وقعت خلال العامين الأولين من حكم الثورة الإيرانية، كما يمكن فهم عمليات العنف التي حدثت في أوغندا عقب الاستقلال في الفترة ما بين عامي 1962 – 1984 بين الفصائل والعرقيات المختلفة والتي قتل فيها ما يزيد علىٰ المليون مواطن[1].

الملاحظ هنا أن السلوك الأصلي للقيادة الجديدة كان محاولة بناء عملية سياسية تبتعد كلياً عن مسار الاستبداد والقهر للنظم السابقة، إلا أن السيولة الجارفة للمجتمع وما ينتج عنها بالضرورة من اختلاف الرؤىٰ والتصورات حول الحلول المثالية والسيناريوهات الأفضل لبناء النظام الجديد حالت دون استقرار الأوضاع، وأدت إلىٰ نشوء القمع أو علىٰ الأقل الممارسات التعسفية كخيار لم تجد السلطة الحاكمة بداً منه أو لم تتوصل لخيار آخر يَفضُله.

فمنشأ القمع في هذه الحالة ليس سببه الأساسي محاولة فرض رؤية أو تصور

1 Joanna R. Quinn, Why Neighbors Kill: Explaining the Breakdown of Ethnic Relations, Ph.D.diss, The University of Western Ontario, 2004.

معين لإدارة الدولة بقدر ما هو رد فعل علىٰ حالة فوضىٰ الحركات والأهداف والتصورات والحلول التي يخلقها تهدم البناء المركزي للدولة وما ينشأ عنه من صراع بين الفصائل علىٰ قطف ثمار النصر.

عندما تتفكك القيادة المركزية الديكتاتورية التاريخية يتشظى المجتمع إلى طيف واسع من المجموعات اللامركزية، إن لم تتمكن القيادات الجديدة من استيعابها في عملية سياسية فإنها تلجأ للقمع

الحالة الثانية: الضغوط الكبيرة

قد تواجه القيادة السياسية للدولة ضغوطًا كبيرةً – داخليةً بالأساس وربما يدعمها مناخ ضاغط إقليمي أو عالمي – مطالبةً بالكثير من التغييرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. في مواجهة هذه الحالة من المطالبات بالتغييرات البنيوية الشاملة عادةً ما تجد القيادة السياسية **(سواءً كانت ديمقراطية أو استبدادية، رأسمالية أو اشتراكية، مدنية أو عسكرية)** نفسها عاجزةً عن إيجاد أي مخرج لهذه الأزمة التي تهدد استقرار المناخ الداخلي وتحول دون قدرة مؤسسات الدولة علىٰ القيام بوظائفها سوىٰ القمع بدرجاته المختلفة، حسب الحالة التي تواجهها الدولة.

كما يزداد القمع بشكل اطرادي كلما انتقل شعور القائمين علىٰ النظام من مستوىٰ تهديد التنمية إلىٰ تهديد الاستقرار إلىٰ تهديد الوجود.[1]

---

1 هناك ثلاث مراحل تمر بها أي دولة:

المرحلة الأولىٰ: مرحلة الوجود أو البقاء. فأي نظام قائم يحرص أولاً علىٰ بقائه أو وجوده.

المرحلة الثانية: مرحلة الاستقرار. فالنظام الذي ضمن وجوده وبقاءه في المرحلة الأولىٰ يسعىٰ بعد ذلك=

وتحت هذه الحالة تندرج أغلب ثورات الربيع العربي في موجتها الأولىٰ، الثورة التونسية ضد زين العابدين بن علي، والمصرية ضد مبارك، والليبية ضد القذافي، ، واليمنية ضد علي عبد الله صالح، والسورية ضد بشار الأسد. كما يمكن فهم مسار الأحداث التي مرت بها البرازيل عام 1964 عقب الانقلاب العسكري، والتي شهدتها الفلبين في عهد ماركوس، أو تلك التي شهدتها أوروجواي في سبعينيات القرن الماضي. في كل هذه الحالات كانت استجابة القيادة السياسية قمعية بالأساس، حيث تم في كثير من هذه التجارب رفع شعار «**الحرب علىٰ الإرهاب**»[1]

ويندرج تحت هذه الحالة أيضًا تجربة حركة «**احتلوا وول ستريت**» «**Occupy Wall Street**» التي بدأت كحراك صغير في مدينة نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية يطالب بتغيير النظام الاقتصادي العالمي ليكون أكثر عدلاً وأقل تأثيراً في القرارات السياسية الأمريكية والعالمية. ورغم أن الحراك كان في دولة رأسمالية ديمقراطية ترفع شعار الحريات إلا أنه تم مواجهة فعاليات الحركة المختلفة بالممارسات القمعية التي شملت اعتقال المئات من المحتجين الذين استهدفت مطالبهم صلب النظام القائم.

إذن منشأ القمع في هذه الحالة هو الضغوط الهائلة علىٰ السلطة الحاكمة، سواءً كانت المطالبات منطلقاتها حقيقة وعقلانية أو مبالغًا فيها أو مصطنعة.

= إلىٰ الاستقرار. فتأمين الوجود والبقاء قد لا يعني استقرار النظام. لذا فهو يسعىٰ إلىٰ تعديل أوضاعه لإيجاد حالة من الاستقرار.

المرحلة الثالثة: مرحلة التنمية. حيث تتمكن الدولة من بناء الرفاه والازدهار الاجتماعي.

1 لقراءة المزيد حول هذه التجارب يمكن الرجوع إلىٰ:

Jeane Kirkpatrick, Dictatorships and Double Standards, Commentary, November, 1969.

عندما تزداد حدة وعمق المطالب، وتتضاعف قوة ضغطها بما لا تحتمله الطاولة السياسية والقيادة الحاكمة؛ تلجأ السلطة للقمع كسبيل وحيد لتخفيف الضغوط.

الحالة الثالثة: الحرب الأهلية

عندما تتسلم القيادة الجديدة السلطة عقب حرب أهلية، أو تجد السلطة القائمة بالفعل نفسها علىٰ أبواب حرب أهلية، في هذه الحالة تدفع القيادة بقوة نحو مركزية الدولة ومؤسساتها؛ بل وشخصنة هذه المؤسسات في شخصية زعامية قوية لتضمن عدم اشتعال الحرب أو عدم تجددها مرة ثانية. وفرض هذه المركزية الشديدة عادةً ما يكون بالإجراءات الاستثنائية أو التعسفية والقمعية، ومصادرة جانب كبير من الحريات، هذا إذا لم يتجاوزه إلىٰ القتل والاختطاف والاغتيالات؛ بل وربما تصفيات مجموعات سياسية بأكملها. ومثال ذلك ما حدث في فيتنام وكمبوديا في نهاية السبعينيات من القرن الماضي أو الحرب الأهلية الصينية في نهاية الأربعينيات.

فنشأة القمع هنا تعود لمحاولة السلطة الحاكمة رأب الصدع المجتمعي وإنهاء حالة السيولة المجتمعية عبر تركيز كل القوة السياسية في يد سلطة واحدة مركزية قوية، والبطش بكل من يخالفها أو يهدد وحدة وتماسك المجتمع.

عندما تكون الدولة خارجة من أو على أعتاب الحرب الأهلية، قد لا يكون هناك سبيل إلى خلق توافق أو تهدئة إلا تحت رماح القمع.. سلطة مركزية صارمة قوية تفرض الصلح والتهدئة والتوافق.

الخلاصات

* ليس التحدي الذي يواجه الحركات التغييرية هو كيفية تفادي ضربات القمع، وإنما فهم منطق القمع وطريقة عمله.

* امتلاك أداة منهجية لفهم منطق القمع يساعد علىٰ تصميم وبناء استراتيجيات رادعة مكافئة له.

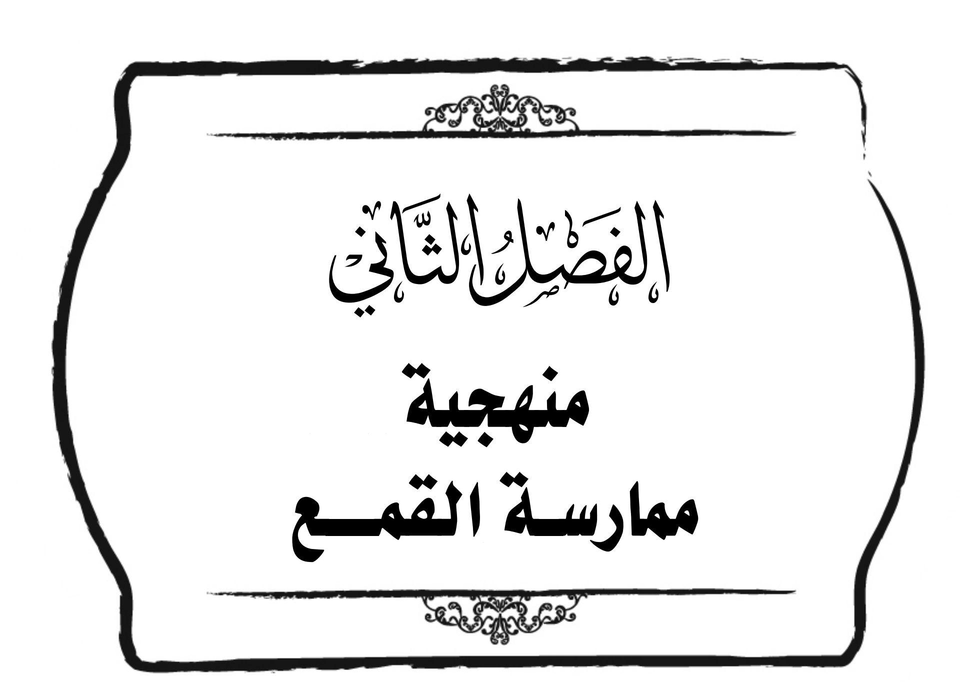
* يمكن من خلال نموذج «فهم منطق القمع» التنبؤ بإقدام الخصم السياسي علىٰ استخدام القمع أو تصعيد الممارسات القمعية، أو تفسير أسباب القمع الذي اشتعل بالفعل. فهو أداة استشعار وتنبؤ كما أنه أداة تحليل وتفسير.

* عندما تتفكك القيادة المركزية الديكتاتورية التاريخية يتشظىٰ المجتمع إلىٰ طيف واسع من المجموعات اللامركزية قد لا تجد القيادة الجديدة سبيلاً للتعامل معها سوىٰ القمع.

* عندما تزداد حدة وعمق المطالب، ويزداد وزنها وتتضاعف قوة ضغطها بما لا تحتمله الطاولة السياسية والقيادة الحاكمة، تلجأ السلطة للقمع لتخفيف الضغوط.

* عندما تكون الدولة خارجة من أو علىٰ أعتاب حرب أهلية، قد لا يكون هناك سبيل إلىٰ خلق توافق أو تهدئة إلا تحت رماح القمع.. سلطة مركزية قوية تحاول فرض الصلح والتهدئة والتوافق.

* * * *

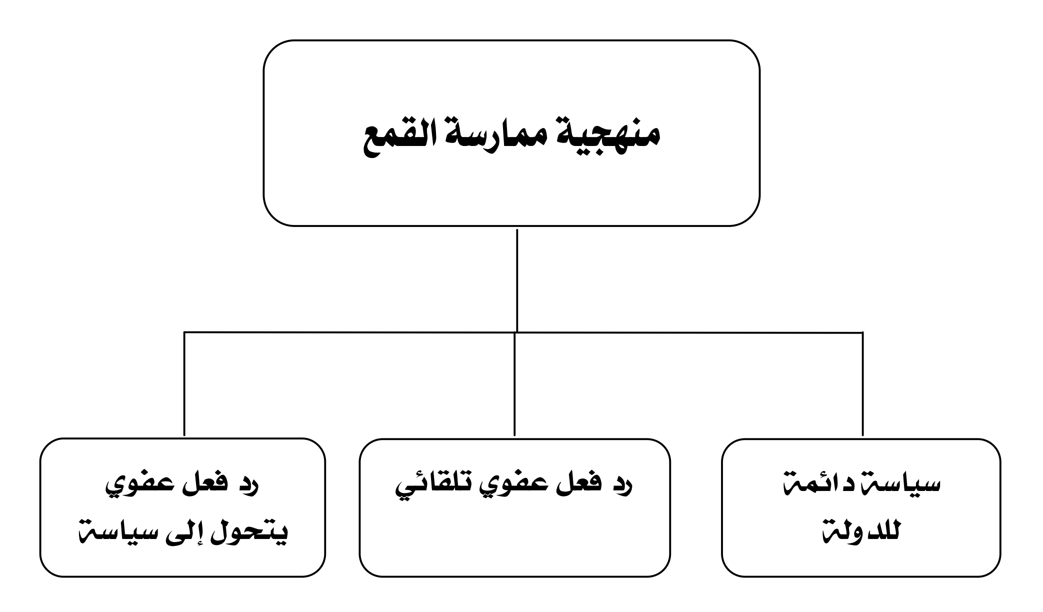


الفصل الثاني

منهجية ممارسة القمــع

والمقصود بمنهجية ممارسة القمع الأسلوب الذي تمارس به الدولة عملية القمع، ومدىٰ تورط ومؤسساتها في إدارته.

وهنا سنجد ثلاث أساليب كبرى:



شكل 2: إدراك منهجية استخدام الدولة للقمع يساعد علىٰ التنبؤ بطبيعة الممارسات القمعية ومدىٰ عنفها.

الأسلوب الأول: القمع سياسة دائمة

في بعض الدول يمكن اعتبار القمع برنامجًا أصيلاً تطوره السلطة الحاكمة وتطبقه في إطار العملية السياسية. بمعنىٰ أن القمع في هذه الحالة سياسة دولة، تطبقه علىٰ نطاق واسع وممنهج ومنظم ضد خصوم أو مجموعات سياسية بعينها.

وهذه السياسة القمعية التي تنتهجها الدولة تسلك أحد طريقين:

أولهما: عدم تورط مؤسسات الدولة بشكل مباشر في عمليات القمع، واستبدالها بالأشكال التالية:

1. غض الطرف عن عمليات التشويه أو الترويع أو القتل أو التخريب التي قد تقوم بها فصائل أو تيارات معينة ضد خصوم الدولة.
2. استخدام «**البلطجية**» للقيام ببعض أعمال الترويع والقتل والتخريب.
3. دعم وتدريب وتشجيع التنظيمات شبه العسكرية للقيام بعمليات قمع ضد الخصوم السياسيين.
4. اختراق الحركات والأحزاب وتفتيتها من الداخل.
5. الترغيب والترهيب، وتهديد القيادات المعارضة بملفات فساد تدينها.

ثانيهما: تورط مؤسسات الدولة بشكل مباشر في عمليات القمع من خلال كل أو أحد هذه الممارسات:

1. تعليق العمل بالدستور.
2. إعلان حالة الطوارئ.
3. الاستعانة بأجهزة الشرطة بأقسامها المختلفة بدءاً من الشرطة السرية وانتهاءً بقوات مكافحة الشغب.
4. الاستعانة بالقوات المسلحة التابعة للدولة لإرهاب وقمع الخصوم السياسيين بطريقة مباشرة وممنهجة.
5. إصدار التصريحات والبيانات والتبريرات، واختلاق المواقف التي توفر الغطاء الأخلاقي لاستخدام كل أو بعض هذه الممارسات السابقة.
6. إصدار التشريعات والقوانين التي توفر الغطاء القانوني لأي من الوسائل السابقة المستخدمة.

هاتان النقطتان الأخيرتان المتعلقتان بالمبررات والغطاء الأخلاقي والقانوني ليس دورهما فقط تبرير استخدام هذه الوسائل؛ وإنما أيضاً يمكن اعتبارهما

بمثابة توجيهات للمواطنين، يتعرفون منها علىٰ ما هو مباح لهم وما هو محرم عليهم، وما هي الأفعال التي تمثل تهديداً مباشراً للدولة والتي يدخلهم القيام بها أو التشجيع عليها أو حتىٰ عدم رفضها وإنكارها في دائرة العقاب. وفي النهاية تتحول ممارسات المؤسسات والسياسات القمعية إلىٰ جزء أصيل يحتل جانباً كبيراً من الحياة اليومية المدعومة قانونياً، مما يضفي مزيداً من الشرعية علىٰ هذه السياسات ويحولها إلىٰ صفة دائمة وملازمة للنظام السياسي.

وفي هذه الحالة يمكن القول أن القمع لم يعد أحد أدوات العملية السياسية التي تستخدم لفترة محددة ثم يتم استبدالها بأداة أخرىٰ؛ بل يصبح هو الأداة الوحيدة. ولا نبالغ إذا زعمنا أنه قد يصبح العملية السياسية ذاتها.

عندما يصبح القمع سياسة دائمة للدولة فهو يعني اختفاء العملية سياسية. ويتحول الحراك السياسي إلى مجرد وسيلة ضغط من أجل تحسين شروط العبودية.

الأسلوب الثاني: القمع العفوي التلقائي

هناك دول يمكن وصفها بأنها ليست قمعية في الأساس، وبالرغم من ذلك قد ينشأ القمع فيها بشكل عفوي وربما غير مخطط نتاج تغيرات مفاجئة علىٰ الأرض أو كعملية انتقامية كرد فعل علىٰ حدث معين، مثل ما حدث في كينيا عام 1980 – والتي لم تكن دولة قمعية حينها – رداً علىٰ اغتيال عدد من المسئولين الحكوميين ورجال الأمن، حيث تم قمع العرقية الصومالية بوسائل مختلفة.[1] في هذه الحالة كان رد فعل الدولة عفوياً ومفاجئاً ولا يمثل سياسة

1 لقراءة المزيد حول هذا الحدث يمكن الرجوع إلىٰ التقرير التالي:

أصيلة ومستمرة لها بحيث يمكن وصفها بالدولة القمعية أو البوليسية.

وحتىٰ في حالات الدول القمعية بالأساس قد تمر الدولة بفترة هدوء نسبي، إلا أن حدثـًا واحداً قد يعيد إشعال شرارة القمع ويفجر الممارسات الوحشية. فعندما تجد القوىٰ الأمنية نفسها عرضة للهجوم من قبل أشخاص أو مجموعات، أو عندما يتم امتهان كرامة أحد المنتمين للمؤسسات الأمنية أو العسكرية، فإنها لا تكتفي بالتعامل مع المعتدين أو من تورطوا في هذا الحدث؛ بل تشن حربـًا شعواء علىٰ المجتمع ككل كرد فعل انتقامي علىٰ ما تعرضت له.

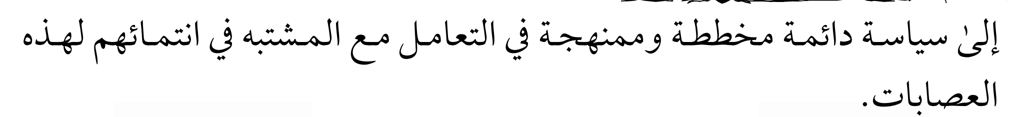
عندما ينشأ القمع بشكل عفوي كرد فعل انتقامي على حدث معين فعادةً ما يُمَارَس لفترة وجيزة في الدول غير القمعية بالأساس، بينما يتحول إلى فعل تصعيدي في حالة الدول القمعية.

الأسلوب الثالث: القمع العفوي يتحول إلى سياسة دائمة

حيث يبدأ القمع كرد فعل عفوي وتلقائي وغير مخطط من قبل أجهزة الدولة رداً علىٰ حدث أو فعل معين، إلا أنه قد يتطور مع الوقت ليصبح عملاً مؤسسيـًا يتطور باستمرار، ويتحول إلىٰ أداة أساسية تستخدمها الدولة كلما احتاجت إليها، وبمرور الوقت يتحول القمع إلىٰ سياسة دولة. وقد حدث ذلك في إيطاليا في بداية المواجهات مع عصابات المافيا، حيث تم وصفها من قبل المؤسسات الدولية في البداية بـ «رد الفعل المبالغ فيه»[1] من قبل الدولة، لتتحول مع الوقت

Amnesty International, Amnesty, International Report 1981 (London: Amnesty International, 1981), pp. 102-104.

1 وهو الوصف الذي تم ذكره نصـًا في البرنامج الوثائقي علىٰ قناة البي بي سي:


إلىٰ سياسة دائمة مخططة وممنهجة في التعامل مع المشتبه في انتمائهم لهذه العصابات.

في بعض الحالات يبدأ القمع عفوياً ويتحول إلى سياسة دائمة تجاه مجموعات محددة

❊ ❊ ❊ ❊

"Terror: To Confront or Concede" (London: British Broadcasting Company, 1979).

الخلاصات

❁ عندما يصبح القمع سياسة دائمة للدولة فهو يعني اختفاء العملية سياسية. ويتحول الحراك السياسي إلىٰ مجرد وسيلة ضغط من أجل تحسين شروط العبودية.

❁ عندما ينشأ القمع بشكل عفوي كرد فعل انتقامي علىٰ حدث معين، فعادةً ما يُمَارَس لفترة وجيزة في الدول غير القمعية بالأساس، بينما يتحول إلىٰ فعل تصعيدي في حالة الدولة القمعية.

❁ في بعض الحالات يبدأ القمع عفويًا ويتحول إلىٰ سياسة دائمة تجاه مجموعات محددة.

❁ ❁ ❁ ❁



الفصل الثالث

الأيديولوجيا



تمثل الأيديولوجيا عاملاً أساسياً من العوامل المؤثرة في إطلاق شرارة القمع. [1] ويتمثل تأثيرها في أمرين: أولهما تأثيرها اللامحدود علىٰ معتنقيها، ليس فقط في تبرير اللجوء لاستخدام القمع؛ بل وأيضاً في مباركته والدعوة إليه والاستبشار باستخدامه مهما بلغت قسوته ووحشيته. وثانيهما أنها تقلل من قيمة احترام الحقوق الإنسانية مقابل إعلائها للمفاهيم المتعلقة بالوطنية والدولة والأمن القومي والاستقرار وعجلة الإنتاج ومؤسسات الدولة وغيرها. ومن ثم توفر تبريراً لانتهاك جميع الحقوق الإنسانية من أجل الحفاظ علىٰ وإعلاء قيمة هذه المفاهيم.

---

1 «**الأيديولوجيا كما عرفها أندرو هيوود**» مجموعة من الأفكار المترابطة بدرجة أو بأخرىٰ، والتي تمثل أساساً لعمل سياسي منظم، سواءً كان الهدف منه حفظ أو تطوير أو هدم نظام توزيع القوة القائم. ومن ثم **فإن كل الأيديولوجيات:**

أ-تعرض شرحاً وتفسيراً للنظام القائم، عادةً في شكل رؤية إقليمية أو عالمية وحضارية.

ب- تقدم نموذجاً للمستقبل المنشود ورؤية للمجتمع الصالح.

ج- تشرح ما يمكن وما ينبغي عمله ليتم هذا التغيير السياسي. بمعنىٰ كيف نتحول من الوضع (أ) إلىٰ الوضع (ب).

وعليه فإن الأيديولوجيا بمثابة نظام موجه للأفكار، فهي ليست سيئة أو جيدة، صحيحة أو خاطئة، واسعة الأفق أو ضيقة، متحررة أو منغلقة، جامدة أو مرنة، فقد تكون خليطاً من كل ذلك.

أما تأثيرها علىٰ الحياة السياسية فنلحظه في عدة أمور نذكر بعضها:

أ- توفر منظوراً نرىٰ ونفهم العالم من خلاله. فتجعلنا نراه كما نحلم وتهدينا للعمل من أجل الوصول إلي نموذج ما.

ب- تحدد الأهداف التي تقود وتوجه النشاط السياسي.

ج- كل السياسيين يسعون نحو امتلاك القوة، ولكن الأيديولوجيا هي التي تحدد ماذا يفعلون بها عندما يمتلكونها.

د- تشكل طبيعة النظام السياسي.

ه- تشكل «**الإسمنت الاجتماعي**»، فتجمع المجتمع الذي يعتنقها علىٰ مجموعة من المعتقدات والأحلام والقيم.

و- تشكل مجموعات أو طبقات اجتماعية جديدة لم تكن موجودة من قبل.

تمثل نوعاً من الضبط الاجتماعي، لأنها – أي الأيديولوجيا – تخلق نوعاً من الطاعة بين أعضائها.

أحمد عادل عبد الحكيم، د. هشام مرسي، م/ وائل عادل، حرب اللاعنف الخيار الثالث، الدار العربية للعلوم – أكاديمية التغيير، بيروت، الطبعة الأولىٰ، 2007، ص 29.

وسنستعرض ثلاثة أنواع من الأيديولوجيات تساهم بشكل مباشر في إطلاق شرارة القمع، متىٰ توافرت الظروف المتعلقة بالعوامل الأخرىٰ في هذا التحليل:

أولاً: الأيديولوجية الاستبدادية:

تغطي الأيديولوجية الاستبدادية طيفاً واسعاً من الدول ومن الأنظمة السياسية. فهناك الاستبداد الديني الذي قد يكون مصدره تفسيراً أو رؤية دينية محددة كما هو الحال في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، أو في بعض الملكيات التي تدعم سلطتها بتفسيرات ومدارس دينية وفقهية تمكنها من بسط سيطرتها علىٰ شعوبها كما حدث في أوروبا في العصور الوسطىٰ، وكما هو حادث الآن في المملكة العربية السعودية.

وقد يكون الاستبداد مصدره تصوراً أو رؤية فلسفية اجتماعيةً واقتصاديةً كما شهدنا في الأنظمة الشيوعية بمدارسها المختلفة، والأنظمة الفاشية مثل النازية التي قامت علىٰ نقاء الجنس الآري، في نظرة عنصرية متطرفة تجعل ألمانيا فوق الجميع. وما نشهده في حالة الأنظمة الرأسمالية الحالية وعلىٰ رأسها الولايات المتحدة الأمريكية والتي تمارس الاستبداد الناعم. حيث تتوهم الجماهير أنها هي المتحكمة وأن لها اليد العليا؛ بينما في الواقع تأثيرها علىٰ قرارات القيادة السياسية المصيرية والمتعلقة بالأمن القومي والتحالفات والمعاهدات ضعيف جداً.

في أغلب هذه الأيديولوجيات الاستبدادية سنجد أن السلطة الحاكمة تميل إلى التالي:

1- تركيز القوة في يد مؤسسة أو مؤسسات بعينها، بحيث تتمكن من فرض رؤاها السياسية والاجتماعية والاقتصادية؛ بل والثقافية، ومن ممارسة عمليات الإجبار عبر المكافئة أو العقاب.

2- ضبط إيقاع واستقرار النظام السياسي بحيث لا يكون عرضة لأي اهتزازات.

ويتم ذلك من خلال عدة خيارات:

أ- الحرص علىٰ تشكيل الحكومات الفنية «**التكنوقراط**» التي تهتم بتسيير شئون الدولة وبالإنجازات في عالم المادة والاقتصاد والتكنولوجيا أكثر من اهتمامها بعالم الحريات والأفكار السياسية والاجتماعية.

ب- أو بناء شبكة الولاء والثقة داخل مؤسسات الدولة وعلىٰ مختلف الدرجات الوظيفية والقيادية بما يضمن قدرتها علىٰ تنفيذ سياسات الدولة، وعلىٰ تطهير نفسها ذاتياً من أي محاولات للابتعاد عن تطبيق هذه السياسات.

ج - أو الإجراءات القمعية الاستثنائية، مثل مصادرة الحريات الشخصية، والموافقات الأمنية علىٰ التوظيف أو الارتقاء في السلم الوظيفي، أو منع فئات وتيارات معينة من الوصول لمناصب رفيعة، وغيرها من وسائل التضييق.

الأنظمة التي يرجع استبدادها أفكار دينية أو اقتصادية أو اجتماعية تلجأ إلى القمع كأحد الأدوات الرئيسة لضمان استقرار النظام السياسي

ثانياً: الأيديولوجية العسكرية:

ليس بالضرورة أن تكون الأيديولوجية الاستبدادية ذات طابع عسكري بالأساس، فالاستبداد الديني قوامه وتسويقه للجماهير ومبرراته المتعلقة بالمكافئة والعقاب تقوم كلها علىٰ تفسير وتصور ديني. والأجهزة العسكرية والأمنية هي

مجرد أدوات يتم استخدامها بل وصبغها بهذا الطابع الديني. كما هو الحال في النظامين السعودي والإيراني. أما الأيديولوجية العسكرية فلها أبعاد أخرىٰ.

فالأيديولجيا العسكرية تغير المنظومة القيمية والحالة النفسية والجذور الاقتصادية والسياسية للدولة. إنها أشبه بعملية تفكيك شاملة للدولة المدنية ثم إعادة تركيبها علىٰ أسس عسكرية تخالف تماماً مواصفات وقواعد الحياة المدنية. فعسكرة الدولة يتم معها تغول الدور السياسي للمؤسسة العسكرية، وربط جميع العمليات الاقتصادية بالتصنيع العسكري وزيادة التسلح والأدوار الأمنية الإقليمية، وتزداد مركزية الدولة وبيروقراطيتها بشكل مضاعف، وتتغير أنماط التوظيف والتنشئة الاجتماعية، وفي القلب من عملية إعادة التركيب هذه تأتي عملية تغيير مفاهيم الولاء والشرف الوطني والبطولة والقانون والقوة، والتي تتحول من مفاهيم تتعلق بتحقيق العدل والمساواة إلي تحقيق سيادة الأمن والاستقرار، وبالتالي تتضاءل قيمة الإنسان مقارنةً بقيمة أمن الدولة واستقرارها.

ويمثل قلب عملية إعادة التركيب أحد أهم الفروق بين الأيديولوجيتين الاستبدادية والعسكرية، فبينما يوفر الفكر الاستبدادي للسلطة الحاكمة شرعية تمثيل وتجسيد الدولة، فإن الفكر العسكري يخلق "شرعية الحذر"، حيث ينشئ حالة اجتماعية عامةً تتسم بالخوف علىٰ أمن واستقرار الدولة، فيكون المجتمع في حالة حذر ويقظة دائمة لا تنتهي، لتفر الحياة من حضن المجتمع إلىٰ حضن المؤسسة العسكرية، ويزدحم المجتمع بجدران الشك التي يشيدها الأفراد والمجموعات، ولا يثق إلا فيما تقوله قيادته العسكرية، وهي الحالة التي تستمد منها السلطة الحاكمة شرعيتها.[1]

---

1 للإطلاع علىٰ تحليل مفصل لعملية عسكرة الدول يمكن الرجوع إلىٰ:

Michael Randle, "Militarism and Repression", Alternatives: A Journal of World Policy, *7*, 1 (summer, 1981), pp. 61-144.

وفي سياق حالتي الخوف والحذر المجتمعي الدائم يتحول القمع من مجرد أداة تستخدم لتحقيق أهداف محددة ليصبح شريان الحياة الرئيسي، ورئتي المجتمع الذي يتنفس قمعاً. فانتشار الدوريات الأمنية والمركبات العسكرية ورجال الأمن والجيش في كل ميدان وكل قرية وأمام كل مؤسسة حيوية يصبح ضرورة لتعزيز الإحساس بأهمية التزام الحذر من جهة، ومن جهة أخرىٰ لتعزيز أهمية الدور الذي يقوم به النظام العسكري في حفظ استقرار وأمن الأوطان.

وفي النهاية فإن أخطر عواقب الفكر العسكري أنه يتعامل بمنطق الحرب، بمعنىٰ أن عالم العلاقات في فن الحرب في غاية البساطة، فالآخرين – سواءً في الداخل أو الخارج – إما أصدقاء أو أعداء، لا يوجد تصنيفات أخرىٰ، وهو ما يتعارض مع الفكر السياسي المدني الذي يرفض هذا التعميم ابتداءً، ويري أن عالم العلاقات في غاية التعقيد والتشابك، ومن ثم فهو يؤمن بالمساحات الرمادية والملونة ويحسن التعامل معها، لأنه لا يسعىٰ إلىٰ تنميط البشر في قوالب جامدة.

أنظمة الحكم العسكرية تبني شرعيتها على فكرة "الحذر"، فلا يصبح القمع أداة في يد النظام؛ بل يصبح هو يد النظام نفسها.

ثالثاً: أيديولوجية الأمن القومي:

الأمن القومي هو «**مجموعة الأفكار التي تفسر وتحدد أهداف التنمية الداخلية والسياسة الخارجية والأمن الجيوسياسي للدولة، والتي تستخدم كل مصادر قوتها من أجل البقاء في ظل المناخ العدائي الذي يسيطر علىٰ العالم**»[1].

1 John Child, "Strategic Concepts of Latin America: An Update," Inter-American Economic Affairs (summer, 1980), p. 76.

وفي كثير من الحالات تفسر الصراعات الداخلية أو عدم الاستقرار الداخلي في ظل أفكار الأمن القومي[1]. ففي الثورات العربية بأمواجها وحالاتها المختلفة سمعنا كثيراً عن المؤامرات الإقليمية والعالمية، والمخطط الصهيوأمريكي ومعسكر الممانعة والمقاومة، وبيع موارد الدولة لأعدائها أو لجيرانها المتحالفين مع أحد التيارات أو الفصائل. وتم تضخيم نظرية المؤامرة في مقابل عدم الاعتراف بالفشل السياسي والاقتصادي ووجوب التغيير،[2] لتستخدم الأنظمة الديكتاتورية «**فزاعة الأمن القومي**» لتبرير قمع الحراك الجماهيري، بدلاً من علاج الأزمات، ويتم تسويق فكرة المؤامرة باعتبار أن الشعوب مخدوعة، ولا يتم تسويق مشروع علاج فعلي للتحديات الداخلية. فيترس الظلم والاستبداد بنظرية «**الأمن القومي**». بل ويخيف الناس، حتىٰ أن بعض بعض الجماهير والنخب والقادة يباركون القمع ويدعون لاستخدامه عن اقتناع

---

1 جوهر فكرة الأمن القومي هو الفكر الجيوسياسي الذي ينظر دائماً إلىٰ الدولة باعتبارها كائن حي له احتياجات يسعىٰ لتحصيلها وتأمين مصادرها. وأن هذه الكائنات الحية (الدول) في صراع مستمر فيما بينها علىٰ تأمين احتياجاتها. ومن ثم فالأصل أن العالم بيئة عدائية، وأن الدول المتجاورة في حالة تأهب مستمر، وأن بادرة ضعف واحدة تطرأ علىٰ إحدىٰ الدول كفيلة بأن تحولها إلىٰ مطمعاً ليس للجيران في الوسط الإقليمي فقط؛ بل لدول العالم أجمع. فالفكر الجيوسياسي منهجه الرئيس هو البحث عن المؤامرة التي تهدف إلىٰ تعطيل أو إضعاف أو هدم عمليات التنمية الداخلية للدولة وإلىٰ دعم وتقوية أعداء الدولة الخارجيين.

2 المنشيء الحقيقي للثورات هو فساد وظلم الأنظمة، وتعبير الغضب الشعبي عن نفسه في شكل حراك مثابر. فالثورات لايصنعها الخارج وإنما ينفذ إليها بحكم تشابك المصالح، ليحاول كل طرف أن يحتويها في صالحه. فالدول الكبرىٰ تبحث عن مصالحها، والدول التي تخاف التغيير أيضاً تبحث عن مصالحها، فتتحول البلدان التي يحدث فيها تغيير إلىٰ مسرح عمل دولي، سواء من الدول الداعمة للتغيير أو الرافضة له والتي تخشىٰ أن تصيبها ألسنته. لذلك ليست الفكرة في أن هناك تخطيطاً عالمياً لإسقاط أنظمة تدعمها شعوبها. ولكن الشعور بالمؤامرة موجود لدىٰ الطرفين، الشعب الثائر يرىٰ مؤامرة تحاك ببلاده من قبل الدول الداعمة للديكتاتوريات، والديكتاتوريات ترىٰ المؤامرة في الدول الداعمة للتغيير الذي تحرك من أجل مطالب عادلة وليست مفتعلة.

كامل بضرر الحراك التغييري علىٰ الأمن القومي للدولة، ويبدأون في نسج خيوط المؤامرة الإقليمية والدولية والكونية المقصود بها إسقاط الدولة في هاوية التخلف والذل والفقر والحاجة؛ بل ويتم تفسير جميع الأحداث والتصريحات الداخلية والخارجية في إطار هذا الوعي بالأمن القومي.

علاوة علىٰ ذلك فقد لوحظ في بعض الحالات أنه عندما يقع القادة السياسيون تحت الضغوط الدولية أو الإقليمية عادةً ما تطفو إلىٰ السطح أيديولوجية الأمن القومي، فيبدأون في ممارسة القمع الداخلي لتحقيق أكبر قدر من الاستقرار الداخلي تحت شعار «**حماية المواطنين**» في مواجهة التهديد الخارجي المحتمل. وهو ما حدث في بولندا في نهاية عام 1981، عندما تم فرض الأحكام العرفية ومصادرة الحريات الشخصية إثر التهديدات التي كانت محتملة بغزو الاتحاد السوفيتي أو حزب وراسو للأراضي البولندية.

ويمكن تلخيص وتجسيد فكرة الأمن القومي في العبارة التالية: «.. من الخطر السماح بالممارسات الديمقراطية الكاملة في البلاد النامية التي تتعرض لتهديدات الأمن القومي، حيث أن هذه الديمقراطية الكاملة ستوفر مساحةً وثغرات يمكن للتهديدات أن تتسرب فيها إلىٰ الداخل وأن تنمو وتتزايد، كما أن الممارسات الديمقراطية تعطي للجماهير تأثيراً قد يؤدي بدوره إلىٰ دولة الرفاه التي تحد من قدرة الأمة علىٰ تطوير وتحديث قدراتها العسكرية والحفاظ عليها»[1]

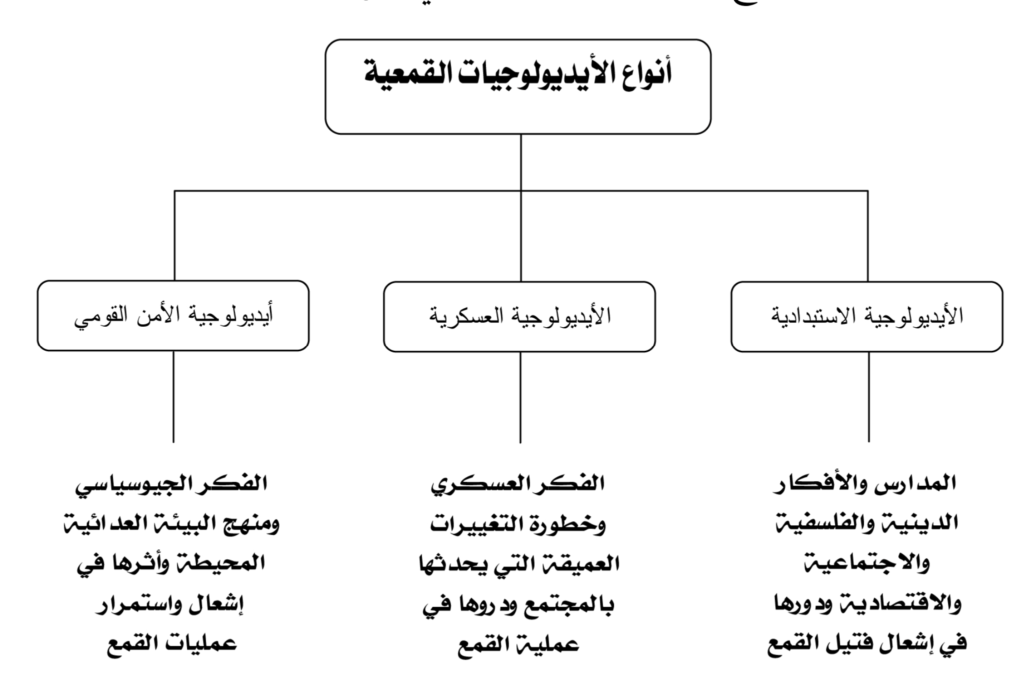
أما اللغة الأشهر لأيديولوجيا «**الأمن القومي**» فهي التخوين، تماماً «**كالأيديولوجيا العسكرية**»، كل من لم يتفق مع الدولة في مشروعها القمعي متحالف مع أعداء الوطن. فيصبح كل مطالب بالتغيير متآمر، وكل متطلع للحرية خائن.

---

1 John Child, "Strategic Concepts of Latin America: An Update," Inter-American Economic Affairs (summer, 1980), p. 77.

يتزايد القمع عندما يتضخم الإحساس والوعي بالأمن القومي في عقول القيادات الحاكمة

هـذه الأيـديولوجيات ليـست منفـصلة تمامـًا عـن بعـضها، فقـد تنـدمج الأيديولوجيا العسكرية مع أيديولوجيا الأمن القومي. وكذلك الأيـديولوجيا الفاشية الاستبدادية مع أيديولوجيا الأمن القومي مثل الحالة النازية.

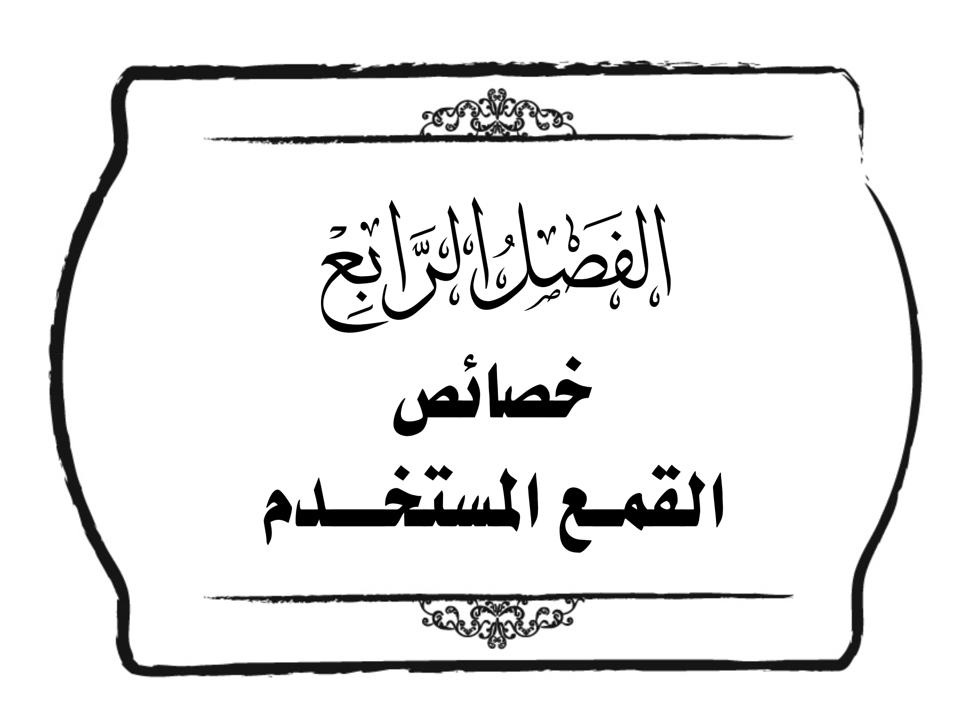


شكل 3: الأيديولوجيا ودورها في تفعيل استراتيجيات وسياسات القمع، حيث تتفق الأيديولوجيات الثلاث في شيطنة المخالف وتبرير سياسات القمع.

الخلاصات

* الأنظمة التي تحركها أفكار دينية أو اقتصادية أو اجتماعية تلجأ إلىٰ القمع كأحد الأدوات الرئيسة لضمان استقرار النظام السياسي.
* أنظمة الحكم العسكرية تبني شرعيتها علىٰ فكرة «**الحذر**»، فلا يصبح القمع أداة في يد النظام؛ بل يصبح هو يد النظام نفسها.
* يتزايد القمع عندما يتضخم الإحساس والوعي بالأمن القومي في عقول القيادات الحاكمة مقابل الوعي بالإنسان وحريته وكرامته.

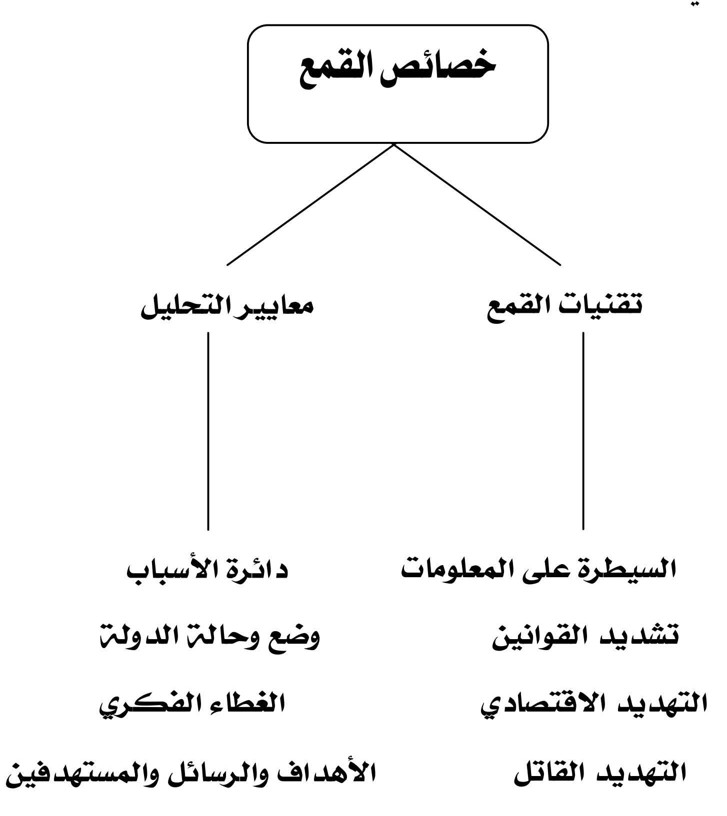
* * * *



الفصل الرابع

خصائص القمع المستخدم

العامل الثالث الذي سنستخدمه في بناء هذا النموذج لتحليل واستشعار القمع هو تحديد أنواعه التي يمكن للدولة أن تستخدمها، وعلاقتها بمنظومة الأهداف التي تريد السلطة الحاكمة تحقيقها.



شكل 4: خصائص القمع الذي تستخدمه القيادات الحاكمة

تقنيات القمع التي تستخدمها الدولة:

1. الرقابة والسيطرة على تداول المعلومات

- مراقبة الأنشطة عن طريق التنصت على المكالمات الهاتفية والمراقبة الشخصية وغيرها.
- مصادرة أو إتلاف وتشويه الوثائق والمستندات الشخصية للخصوم السياسيين.

- الرقابة على الصحف ومختلف وسائل الإعلام.
- توجيه الأفكار عبر السيطرة على المؤسسات الثقافية والإعلامية المختلفة.

2. تشديد القوانين والتشريعات وصرامة تنفيذها

- تشريعات ذات نزعة عنصرية أو تمييزية.
- الترحيل والإبعاد والنفي.
- الاعتقال التعسفي.
- وضع الأشخاص تحت الإقامة الجبرية.

3. التهديد الاقتصادي

- التمييز الاقتصادي ضد مجموعات لصالح فئات أو مجموعات أخرى.
- الابتزاز والرشوة.
- توجيه الاتهامات بسبب ممارسة أنشطة أو تأسيس مؤسسات اقتصادية معينة.

4. التهديد القاتل

- الاستهداف المباشر للأشخاص بالضرب أو القتل.
- الاستهداف المباشر للمنازل أو المؤسسات بالقصف أو التفجير.
- الاستهداف المباشر للمناطق والأحياء بالقصف أو التفجير.
- الاختطاف وإخفاء الأشخاص.
- تهديد عائلات الخصوم السياسيين بالضرب أو الاعتقال أو الاختطاف.
- الاستجواب والتعذيب تحت إدارة الأجهزة الأمنية.

وعادةً تستخدم الدولة خليطـًا مـن هـذه الآليـات لتحقيـق أهـدافها. وقـد تزعم أن ما تفعله ليس قمعـًا أو إكراهـًا للمـواطنين علىٰ اتخـاذ مواقـف بعينهـا؛ وإنما هو دواء تم تصنيعه بمزج مجموعة من الآليات السابقة لعلاج مشكلة مـا. فمثلاً عندما تواجه الدولة مشكلة اقتصادية وتجبر المواطنين علىٰ دفع ضـرائب معينة في توقيت محدد، وتعاقب من لم يلتزم هذا الإجراء، هل يُعَد هذا قمعـًا؟؟ لذا سنشير هنا إلىٰ أربعة معايير أساسية يمكن استخدامها لتحديد ما إذا كان هذا الدواء قمعـًا أم ضرورة لا نجاة للدولة بغيرها.

معايير الحكم على استخدام تقنيات القمع:

1. تجاوز أو توسيع دائرة الأسباب: بمعنىٰ أنه من المنطقي في حالة الحرب أن تعلـن الدولـة حالـة الطـوارئ وتلجـأ للأحكـام العرفيـة والاسـتثنائية، وهو فعل مقبول إلىٰ حد مـا في فـترات الحـرب. أمـا إذا انتهـت الحـرب، وبالتـالي انتفـت أسـباب اللجـوء إلـىٰ الأحكـام الاسـتثنائية، ولـم تعلـن القيادة الحاكمة الرجوع إلىٰ الوضع الأصلي الطبيعي فإن هذا يعد قمعـًا للشعب. كذلك إذا تم توسيع دائرة الأسباب لتتجاوز فكرة الحـرب إلـىٰ فكـرة الأمـن القـومي – غيـر المجمـع عليهـا جماهيريـًا – التـي ذكرناهـا سابقـًا فإن هذا يعد قمعـًا للحريات.
2. حالة الدولة: وهي التي تكلمنـا عنهـا تفـصيلاً في بدايـة شـرح هـذا النمـوذج. إذا انطبقت عليها أحد الحالات الثلاث المذكورة فإن ما تمارسه الدولة يعد قمعـًا.
3. توفير الغطاء الفكري: إذا قامـت الـسلطة الحاكمـة بتـوفير غطـاء أو مـبرر فكري لاستخدام هذه الآليات ضمن رؤية واسعة لدور الدولة ووظائفها وأولوياتها، فنحن أمام رؤية أيديولوجية تبرر عمليات القمع.
4. الأهـداف والرسـائل والمجموعـات المـستهدفة: مـا هـي العلاقـة بـين

الآليات المستخدمة وما تريده الدولة من المواطنين. فالسلطة الحاكمة لا تمارس القمع اعتباطاً، ولكنها تختار أهدافاً محددة، وتصيغ رسائل واضحة تريد تبليغها، وتحدد الجمهور الذي تستهدفه بهذه الرسالة. فعندما تتصدى قوات مكافحة الشغب لإحدى التظاهرات؛ فقد يكون وراء القمع أهداف أخرى غير إصابة المتظاهرين بأذى أو منعهم من الوصول إلى مكان محدد، مثل جر مجتمع المقاومة للعنف. بحيث تكتسب السلطة المبرر القانوني والأخلاقي أمام الناس في الرد بما يتناسب مع هذا العنف. إذن فهدفها جر المجتمع للعنف، ورسالتها للخصوم أن لا سبيل أمامكم للانتصار إلا بحمل السلاح، ورسالتها للمجتمع الدولي أننا في حرب ضد الإرهاب. حينها لا يكفي أن نفكر في كيفية إجهاض مفعول أداة القمع، بل في كيفية إجهاض الهدف من القمع، ثم تحويل الضربات القمعية إلى ورقة فعالة رابحة في يد المقاومة.

5. وجود آليات دستورية تمكن الشعب من أن يساعد في اتخاذ القرار، فإن كانت الدولة تعمل بجد على إيجاد هذه الآليات، عندها يكون القمع عملاً عارضاً، أما إن كانت الدولة تسد منافذ القنوات الدستورية أو تتلاعب بها، حينها فإننا أمام دولة قمعية.

لجوء الدولة لاستخدام ما تمتلكه من أدوات الإجبار والإكراه قد لا يتطور إلى قمع مرفوض في جميع الأحول.. فمراجعة ممارسات السلطة الحاكمة عبر معايير الحكم على استخدام تقنيات القمع يمكننا من تحديد ما إذا كانت الدولة تنتهد سياسية قمعية أم لا.

الخلاصات

* لجوء الدولة لاستخدام ما تمتلكه من أدوات الإجبار والإكراه قد لا يتطور إلىٰ قمع مرفوض في جميع الأحوال.. فمراجعة ممارسات السلطة الحاكمة عبر معايير الحكم علىٰ استخدام تقنيات القمع يمكننا من تحديد ما إذا كانت الدولة تنتهج سياسة قمعية أم لا.

* * * *



الفصل الخامس

آليات الدعم



يعتبر الدعم الذي تتلقاه الأنظمة السياسية من أهم العوامل التي تمكن القيادات الحاكمة في الدول القمعية من الاستمرار في تطبيق استراتيجيات القمع، ليس ذلك فحسب، بل والاستمرار في تسيير شئونها الداخلية وربما الخارجية بشكل طبيعي. فصمود بعض الديكتاتوريات أمام مطارق الشعوب ليس منبعه قوتها الذاتية؛ وإنما تلك القوى الداعمة. وهذا الدعم له وجهان: دعم خارجي وآخر داخلي.

1. الدعم الخارجي

تتلقى الأنظمة القمعية نوعين من الدعم الخارجي؛[1]

الأول: الدعم اللوجيستي بالمال والسلاح والإعلام والخبرات والإمكانات الأمنية بأشكالها المختلفة. وسنسميه هنا (الدعم المباشر) كونه يمثل عنصراً أساساً في معادلة الصراع بين الديكتاتورية وقوى المقاومة.

الثاني: الدعم المعنوي السياسي الدبلوماسي وهو ما سنطلق عليه (الدعم غير المباشر) كونه يمثل عنصراً ثانوياً في معادلة الصراع، وتستطيع الشعوب المقاومة تجاوز تأثيراته بسهولة نسبية مقارنةً بالدعم المباشر.

وحين يأخذ الدعم الخارجي الشكل المباشر، ويكون أحد الأسباب الرئيسة لصمود النظام الديكتاتوري، ولاستمرار استراتيجيات وسياسات القمع التي

---

1 أما فيما يخص تحديد القوى الخارجية الداعمة فتحديدها ليس عسيراً، إذ يكفي تعيين الفاعلين الدوليين – سواءً كانوا دولاً أو أحلاف أو منظمات – المستفيدين من استمرار النظام السياسي القمعي، وبالتالي سيستمرون في دعمه، وفي مباركة عمليات القمع، وتقديم الدعمين المباشر وغير المباشر. فمثلاً عند مراجعة أحداث الثورات السورية واليمينة والثورة المصرية الثانية عقب محاولة عسكرة الدولة، في هذه الحالات الثلاث يتجلى بوضوح الفاعلين الدوليين الذين يريدون استمرار النظام القمعي، ويدعمونه أمنياً وعسكرياً وسياسياً واقتصادياً. فدعم القوى الإقليمية وفي صدارتها الإيرانية والخليجية، والعالمية وفي مقدمتها الروسية والصينية شكل عاملاً حاسماً في استمرار واتساع نطاق الممارسات والاستراتيجيات والسياسات القمعية الممنهجة.

تتبناها القيادة السياسية.

2. الدعم الداخلي

أما الدعم الداخلي[1] فيمكن تقسيمه إلى ثلاثة أنواع:

الدعم اللوجيستي: ويتمثل في الدعم بالمال والإعلام والخبرات والإمكانات بأشكالها المختلفة.

الدعم السياسي: ويتمثل في دعم المواقف السياسية وإضفاء الشرعية علىٰ ممارسات النظام القمعية.

الدعم الجماهيري: وهو أخطرهم علىٰ الإطلاق، فعندما تنجح القيادة السياسية في إقناع نسبة عالية من الجماهير بدعم ممارستها القمعية والوحشية ضد خصومها تحت غطاء أيديولوجي، أو تحت دعاوىٰ الإرهاب وتهديد الأمن القومي، فإن هذا يمثل أخطر ما يمكن أن تتعرض له حركات المقاومة والتغيير.

---

1 ويمكن تحديد مصادر الدعم الداخلي بالنظر إلىٰ الفصائل والمجموعات والتيارات السياسية المستفيدة من استمرار عمليات القمع. قد يبدو هذا سهلاً وواضحاً في بداية الصراع السياسي، أما عندما تصل عمليات القمع إلىٰ ذروتها، ويصبح المجتمع مشحوناً بدرجة تقارب علىٰ الانفجار، وتتدهور أوضاع الدولة في مختلف المجالات – وفي مقدمتها الاقتصاد، يصبح لزاماً علينا عدم الاكتفاء بالبحث عن المستفيدين المباشرين ذوي المواقف المعلنة سواءً كانوا سياسيين أو رموز أو نخب أو اقتصاديين، بل يصبح التنقيب عن القلة الخفية التي "تستثمر" مواردها في هذه الظروف، والتي تمثل لها هذه الحالة الوضع المثالي للفوز، سواءً كان هذا الانتصار سياسياً أو اقتصادياً أو تشريعياً أو اجتماعياً ضرورة يرتبط مستقبل الحراك التغييري باكتشافها واستهدافها.

إذا أضفنا لهذا الوضع الساخن والمتفجر طبيعة الأنظمة القمعية التي تقوم بالأساس علىٰ غياب الشفافية وفوضىٰ المعلومات والشائعات والتسريبات ندرك صعوبة تحديد مواقف الأطراف المختلفة من عمليات القمع. فعملية دعم النظام القمعي وممارساته حتىٰ الرمق الأخير لا يتورط فيها الجميع، ومن يتورط فيها لابد أن يكون لديه خطة انسحاب وتضليل. ومن ثم ففي هذه الحالات لا يكون تحديد الأطراف الداخلية ومواقفها بهذا الوضوح الذي تكون عليه الأطراف في بداية الصراع. إن الإجابة الوافية عن سؤال: من هو الطرف الذي ينتمي لهذا المجتمع، والذي سيحقق مكاسب سياسية واقتصادية واجتماعية وتشريعية من هذا الوضع المتأزم؟ قد يكون أول الطريق لكسب المعركة وكسر حلقة الدعم الداخلي.

وبالرغم من كون الدعم الجماهيري لعمليات القمع يعتبر أكثر أنواع الدعم خطورة على الحركة التغييرية، إلا أنه يعد الأسهل في التعامل إذا أتقنت المقاومة لغة الجماهير وفهمت قواعد التعامل معها والتأثير فيها.

لا يمكن لآلة القمع أن تستمر دون الدعم الداخلي والخارجي، وبينما يوفر الدعم المباشر للنظام القمعي أسباب البقاء، فإن الدعم الجماهيري يوفر له كل أسباب الاستمرار والازدهار

❊ ❊ ❊ ❊

الخلاصات

❋ لجوء الدولة لاستخدام ما تمتلكه من أدوات الإجبار والإكراه قد لا يتطور إلىٰ قمع مرفوض في جميع الأحول.. فمراجعة ممارسات السلطة الحاكمة عبر معايير الحكم علىٰ استخدام تقنيات القمع يمكننا من تحديد ما إذا كانت الدولة تنتهج سياسة قمعية أم لا.

❋ لا يمكن لآلة القمع أن تستمر دون الدعم الداخلي والخارجي. وبينما يوفر الدعم اللوجيستي المباشر للنظام القمعي أسباب البقاء، فإن الدعم الشعبي يوفر له كل أسباب الاستمرار والازدهار.

❋ ❋ ❋ ❋



الفصل السادس

نتائج عملية القمع



من المفترض أن الدولة تلجأ إلىٰ استراتيجيات القمع لتحقيق أهداف سياسية معينة علىٰ اعتبار ما سبق أن أشرنا إليه في بداية هذا الفصل من أن القمع هو امتداد للعملية السياسية ولكن بأشكال وآليات أخرىٰ. واستمرار الدولة في تنفيذ عمليات القمع مرهون بنجاح هذه الآلية في تحقيق أهداف السلطة الحاكمة. فإذا لم يجدِ استخدام القمع ولم ينجح في تحقيق الأهداف المرسومة فإن الاستمرار فيه يصبح فعلاً لاعقلانياً أو فعلاً دفاعياً بحتاً للنجاة والبقاء علىٰ قيد الحياة.

ورغم قدرة القمع أحياناً علىٰ تحقيق أهداف السلطة الحاكمة؛ إلا أنه يظل نجاحاً وقتياً، وبإمكان المقاومة أن تطيح بالسلطة، مثلما حدث في أغلب التجارب القمعية التي انتهت بإزالة السلطة المستبدة في دول وسط وشرق أوروبا وأمريكا اللاتينية وإيران. وبالتالي فإن القمع كأحد أدوات العملية السياسية يحقق النجاح إذا تم استخدامه علىٰ نطاق ضيق، أما إذا أصبح سياسة واستراتيجية دائمة، واعتمدت عليه السلطة الحاكمة كأداة أساسية في تحقيق أهدافها، فإنه يحمل في طياته عوامل تدمير هذه السلطة وإسقاط هذا النظام.

ومن ثم يمكن القول أن استخدام أداة القمع لتحقيق أهداف جزئية وإنجازات بسيطة عادةً ما ينتهي بالنجاح، وبتكرار الحملات القمعية علىٰ مراحل زمنية متباعدة تتراكم الإنجازات وتحقق الأداة الهدف المطلوب منها في إطار العملية السياسية الشاملة. وحتىٰ إذا لم تنجح استراتيجية القمع في تحقيق بعض الأهداف فإن استخدامها لا يؤدي إلىٰ إسقاط النظام بالكلية ولا يؤدي إلىٰ تدمير العملية السياسية. بينما استخدام القمع لتحقيق أهداف شاملة وإحداث تحولات عميقة في المجتمع أو الحياة السياسية فهو يعني استراتيجية قمعية طويلة المدىٰ ومستمرة. بمعنىٰ أن القمع عبارة عن حملة واحدة طويلة

وشاملة وعنيفة. وحتىٰ إذا نجحت هذه الحملة في تحقيق الأهداف فإن نتائجها المباشرة هو تدمير العملية السياسية الطبيعية، لتصبح البنية التحتية للقمع هي نفسها البنية التحتية للعملية السياسية، فالسياسة تحكمها فعلياً الأجهزة الأمنية التي تدير القمع. إنها حالة من التماهي الكامل بين السياسة والقمع. هذه الحالة تحمل في رحمها بذور تدمير النظام برمته. فهو نجاح وقتي يسيل لعاب السلطة الحاكمة، لكنه يحمل لها الخراب والفناء في المستقبل.

وعندما تلجأ السلطة الحاكمة إلىٰ هذه الحملات القمعية الشاملة العنيفة، فقد استخدمت كل أسلحتها، واستنفذت كل خياراتها، فإذا أصر المجتمع علىٰ أن ينال حريته، ولم يثنيه هذا القمع تبدأ هزيمة السلطة بانهيار إرادتها وتغير الوعي بموازين القوة في المجتمع.

حملات القمع الجزئية المتكررة على مراحل زمنية متباعدة قد تضمن نجاة النظام واستمراره
حملة القمع الواحدة والشاملة والمستمرة تضمن سقوط النظام وتدمير أركانه.

مراقبة المعلومات
تشديد القوانين
التهديد الاقتصادي
التهديد القاتل
دائرة الأسباب
حالة الدولة
الغطاء الفكري
الأهداف والرسائل والمستهدفين
تقنيات القمع
تقنيات القمع
الأمن القومي
العسكرية
الاستبدادية
سياسة دائمة
فعل عفوي
عفوي يتحول لدائم
سقوط الديكتاتورية
الضغوط الكبيرة
الحرب الأهلية
مباشر
غير مباشر
الخارجي
مباشر
غير مباشر
الداخلي
جماهيري
نجاة النظام
أهداف جزئية
تدمير النظام
أهداف شاملة

خصائص القمع المستخدم
الأيديولوجيا
آليات الدعم
منهجية استخدام القمع
مخرجات ونتائج القمع
المناخ السياسي

شكل 5 : نموذج تحليلي لفهم منطق القمع، يساعد في تفسير وفهم أسباب انطلاقه ومبررات استمراره ومدى حدته

الخلاصات

❊ حملات القمع الجزئية المتكررة علىٰ مراحل زمنية متباعدة تضمن نجاة النظام واستمراره، بينما حملة القمع الواحدة والشاملة والمستمرة تضمن سقوط النظام وتدمير أركانه.

❊ عندما تلجأ السلطة الحاكمة إلىٰ الأداة القمعية، فقد استخدمت كل أسلحتها، واستنفذت كل خياراتها، فإذا أصر المجتمع علىٰ أن ينال حريته، ولم يثنيه هذا القمع تبدأ هزيمة السلطة بانهيار إرادتها وتغير الوعي بموازين القوة في المجتمع.

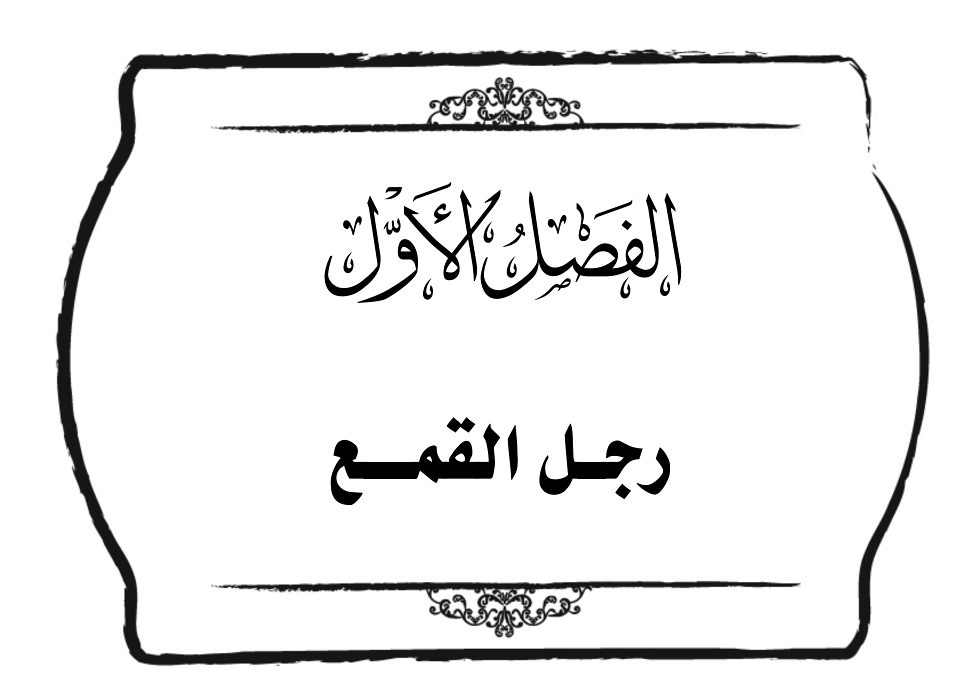
❊ ❊ ❊ ❊



الباب الثاني

أدوات القمع





الفصل الأول

رجل القمع

تتنوع أدوات القمع بين اعتقالات وضرب بالهراوات، وإطلاق لقنابل الغاز والتفريق بمدافع المياه، والكلاب والخيول، وضرب بالرصاص بمختلف أنواعه، وغيرها من أسلحة قوات مكافحة الشغب، أو أسلحة الجيوش في حالات الاحتلال أو الديكتاتوريات المفرطة في القمع أو النظم العسكرية.

ورغم أهمية المعرفة الدقيقة بأدوات قوات القمع وكيفية استخدامها، ووضع الاستراتيجيات والتكتيكات المكافئة لها؛ إلا أن الأهم هو الدراسة الدقيقة للأداة الأساسية التي بدونها لا قيمة لكل هذه الترسانة من الأسلحة.. ونعني هنا «**رجل القمع**».

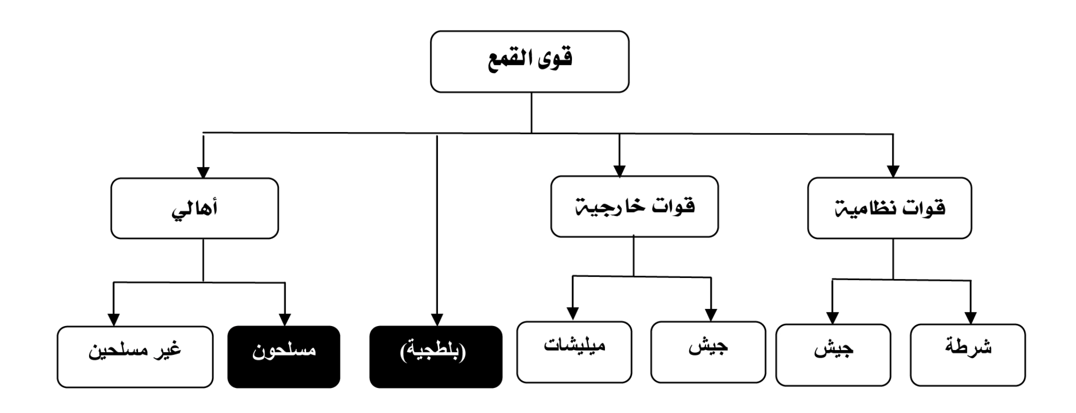
وتنقسم قوى القمع إلى أربعة أصناف:

* قوات نظامية: الشرطة والجيش وكافة الأجهزة الأمنية الأخرىٰ التي تتفرع عنهما أو تلك المستقلة عنهما[1].
* قوات خارجية، قد تكون جيوش نظامية أو ميليشيات،[2] أو شركات خاصة.
* البلطجية.
* الأهالي.

---

1 في بعض الديكتاتوريات تشكل القيادة الحاكمة أجهزة أمنية رسمية غير تابعة لمؤسستي الجيش أو الشرطة؛ وإنما تتبع الحاكم أو أبنائه أو المقربين منه أو الطائفة العرقية أو المذهبية التي ينتمي إليها مباشرةً، وذلك لضمان ولائهم، وليكونوا خط الدفاع الأخير عن النظام السياسي الحاكم في حالة الثورات أو الأزمات. ومن الأمثلة الصارخة علىٰ هذه الأجهزة الأمنية المستقلة كتائب القذافي.

2 الميليشيا هي قوات غير نظامية، لا تخضع للقوانين العسكرية، لكنها مدربة علىٰ القتال، وقد يكون منهم من كانوا في الخدمة العسكرية سابقًا. وأحيانًا تكون تابعة لأحزاب أو حركات. وقد انتشرت الميليشيات في مختلف دول العالم، ومن أمثلتها حزب الله اللبناني، والجيش الجمهوري الأيرلندي، وحركة إيتا الانفصالية في أسبانيا.



شكل 5: قد يواجه المحتجون قمع قوىٰ نظامية من الجيش والشرطة والأجهزة الأمنية، أو قمع قوات خارجية سواء كانت جيشاً نظامياً أو ميليشيات، و قد تواجه في الداخل تحدي البلطجية. كما يشارك الأهالي أحياناً في القمع، وهم إما أهالي مسلحون بحكم بيئتهم، أو غير مسلحين. ويجب التمييز بين البلطجية والأهالي، لأن لكل منهما طريقة للتعامل معه.

أولاً: القوات النظامية

رغم الفرق بين «**قوات الشرطة**» و«**الجيش**» سواء من حيث التركيبة الذهنية وطبيعة الإعداد ومهمة كل منهما؛ إلا أننا سندمجهم معاً في هذا الفصل لما يميزهم عن المجموعة الثالثة «**المرتزقة**»، حيث أنهم يشتركون في أنهم يعملون في مؤسسات للدولة، ويخضعون لنظام الطاعة الإجباري، ويتلقون تدريبات محترفة، كما يشتركون في أن تكوينهم في الغالب نابع من تكوين المجتمع بشرائحه المتنوعة خاصة في مستوىٰ الجنود. وسنطلق عليهم «**رجل القمع**».

كيف يفكر رجل القمع؟

وحتىٰ تحدد كيف تتعامل مع رجل القمع، يجب أن تحدد كيف تنظر أنت له، وهل يمكن أن يصبح له دور في مشروعك أم لا؟ ومن هو رجل القمع؟!

وكيف يراك؟ ولماذا يكرهك؟ وهل حقـًا يكرهك؟! أم أن أحداً أقنعك بهذا تماماً مثلما فعلوا معه حين أقنعوه أنك عدوه اللدود؟! وهل هناك أمل في أن يغير تفكيره أم أن هذا مستحيل؟! وهل التغيير إن حدث يستغرق زمناً أم يتم سريعاً؟!

كل هذه الأسئلة تتطلب جديةً في الدراسة والاطلاع علىٰ تجارب الشعوب، دون الاستسلام للراحة الذهنية التي تجنح إلىٰ أن تغيير موقف "رجل القمع" أمر مستحيل. خاصةً إن وجدنا أن الدليل العالمي لقوات مكافحة الشغب تعرض لموضوع كيفية تحصين القوات حتىٰ لا تتأثر عاطفياً بالمحتجين. مما يؤكد أن تأثرهم وارد وملاحظ، وتم وضع تكتيكات للتعامل معه لضمان طاعتهم للأوامر.[1]

إن من أبرز مداخل تحديد كيفية التعامل مع رجل القمع أن تفهم من هو، وكيف يراك؟ وهل قضيتك تمسه سلباً أم إيجاباً؟ وهل تحسن عرضها له أم أنك تجعله يكفر بها؟ خاصةً أنه في ظل الديكتاتوريات يكون في بيئة تجعله يكفر بكل ما حوله، باعتباره خطراً عليه.

عادة ما يُعبأ الجنود والضباط في معسكرات القمع ذهنياً علىٰ أن من أمامهم عدواً يريد أن يفتك بهم، أو أنه عدو للوطن يريد تخريبه، أو عدو للدين في حالة الأيديولوجيات الدينية المتطرفة. وعادةً ما تبني المؤسسات الأمنية بينها وبين المجتمع سوراً عالياً، فهي لا تختلف كثيراً عن الجماعات الراديكالية أحادية النظرة، والتي غالباً ما يصعب تغيير أفكارها بالإقناع، وإنما بالصدمات العملية للقناعات.

---

1 انظر القاعدة 24 في دليل قوات مكافحة الشغب في ملحق الكتاب.

نفسية رجل القمع

ينشأ رجل القمع - سواء كان جنديًا أو ضابطًا- في بيئة غير مرحبة بقبول مجرد الاستماع للآراء المختلفة، مما يجعل منه شخصية متربصة وحذرة من كل ما لا يشبهها، وهو أيضًا قلق مرتبك، علىٰ عكس ما تبدو صورته في الزي الخادع. خائف من قيادته من جهة، ومن بطش المحتجين من جهة أخرىٰ!! أضف إلىٰ ذلك همومه الحياتية التي تلاحقه، والتي قد تكون أنت جزءاً منها، فبسببك هو ملقىٰ في الشارع لأسابيع، ولم يأخذ أجازة واحدة، فربما ترك أهله.. خطيبته.. أمه.. أبناءه، لعله يعيش أسوأ أيامه!! لعلهم أقنعوه أن الموت سيأتيه علىٰ يديك إن غمض له جفن.. فأنت كابوس جاثم علىٰ صدره، تمامًا مثلما تراه كابوسًا مزعجًا.

إن المحتجين - خاصةً في الصفوف الأولىٰ المواجِهة - يلعبون دوراً مهمًا في رسم صورة الجموع من ورائهم لدىٰ قوىٰ القمع، هم سفراء القضية التي خرجوا لأجلها. فإما أن يؤكدوا لرجل القمع الصورة السائدة المخيفة أو يغيروها. لذلك تبدأ معركة محلها العقل والقلب، وأدواتها الأنشطة المتنوعة التي تجمعهم برجل القمع. يعمل أبطالها جاهدين علىٰ تغيير نظرة رجل القمع للمحتجين بل ومشروع التغيير برمته، مع يقينهم أن جندي القمع - أو الضابط الصغير - في النهاية سيمتثل للأمر وقتما يصدر له. لكن هذا لا يعني أن القصة انتهت بمجرد توجيه الأمر وتنفيذه، وأن كل هذا الجهد أصبح هباء منثوراً.

يُشاع أن رجل القمع في النهاية يستجيب للأوامر العليا، فهو أداة، وبالتالي فمحاولة إقناعه بأي شيء غير مجدية، وإظهار الود له يدل علىٰ ضعف سيستثمره لاحقًا، لأنه فور أن يأتيه الأمر بالاشتباك سينقض كالثور الهائج. يبدو هذا الكلام مقنعًا عند النظرة الأولىٰ، حين نقرر أن نرىٰ البشر آلات

شرسة، لكن بنظرة أدق ستجد قوات الأمن ليست آلات – وإن كان يراد لها أن تكون كذلك. هي مجتمع كامل خلف الزي الرسمي. مجتمع بشري فيه الفرح والألم، وفيه جلسات السمر والمواقف المتأزمة، فيه الكثير من الذكريات والعلاقات الإنسانية خاصة بين المستويات الدنيا (الجنود)، يبكون إن غادرهم أحدهم إلىٰ وحدة جديدة، أو أنهىٰ خدمته.

إمكانية التأثير في رجل القمع

إن درجة رضا هذه المستويات الدنيا عن القيادة المباشرة أو العليا متفاوتة، وتأثرهم ببعضهم البعض حاضر طول الوقت. فالتمكن من تغيير موقف رجل واحد من رجال القمع، كفيل بإحداث هزة وسط الصفوف، ولو علىٰ الصعيد النفسي، خاصة إن كان هذا الرجل محبوباً وسطهم، إما لأنه شهم أو مرح أو صاحب خلق.. الخ.

والعكس تماماً يحدث، فإن استشهد أحدهم، فإنهم قد يتحولون إلىٰ وحوش كاسرة لا قلب لها، يثأرون لصاحبهم وينتقمون له بعد أن تيقنوا أن من أمامهم أعداء. وأحياناً تشعل أجهزة الديكتاتوريات الأمنية الغريزة الانتقامية لدىٰ رجال القمع، فاستهداف واحد منهم أمام زملائه سواءً بالقتل أو الاختطاف من قِبل «**طرف مجهول**» خلال الاحتجاجات يعزز لديهم غريزة الانتقام، ويجعل استجابتهم للأوامر سريعة وحماسية وعنيفة. أحياناً تدبر القيادات الأمنية مثل هذه الحوادث، وأحياناً تحدث بالفعل بسبب تهور بعض المحتجين.

كذلك قد تحدث أعمال تمرد إن اعتبروا قياداتهم هم الأعداء الذين قذفوا بهم في أتون هذه المعركة، ليقتلوا آباءهم وإخوانهم وأقاربهم وأصدقاءهم.

تعامل المقاومة مع رجل القمع

وتقوم فكرة حرب اللاعنف علىٰ نزع أداة القمع من الديكتاتور، وخلق المجتمع القوي الذي يقوم فيه كل قطاع بدوره، ولا يُستثنىٰ من ذلك القطاع الأمني، حيث يحول ولاءه لخدمة المجتمع لا الديكتاتوريات. ولا يتم هذا التحول في الولاء إلا بتحرر في العقول، وتغيير النظرة الكلية لما يجري. وهذه مهمة أساسية لقوىٰ التغيير، فكما تعمل علىٰ تحرير عقول الجماهير، فإنها تعمل علىٰ تحرير عقول قوىٰ القمع. وهذا هدف استراتيجي في حرب اللاعنف.

وعملية تحرير عقول قوات القمع تكمن صعوبتها في أن تلك القوات في الغالب مبرمجة علىٰ النظر للمحتجين بشكل معين، عادةً ما يتسم بالعداوة الشديدة. لذلك يلجأ المحتجون أحيانـًا إلىٰ المبالغة في مظاهر سلميتهم، كإطلاق البالونات في الهواء وإضفاء أجواء من البهجة، والحوار المباشر معهم، وتقديم الطعام لهم، وتقديم الماء مع كتابة شعارات علىٰ الزجاجات من قبيل.. «**أخي.. اشرب لقد تعبت من الوقوف اليوم**».. وتقديم أصحاب الوجوه الهادئة والعائلات والفتيات والأطفال الصغار، والأمهات الكبار الذي يعاملونهم كأبنائهم ويخاطبونهم بود ليكسبوا قلوبهم.

إنهم يحاولون خلق حوار مستمر يجريه المحتجون مع قوات القمع لتغيير نظرتهم أولاً، ومحاولة كسبهم من جهة ثانية. هم لا يخاطبون النظام، بل يخاطبون إخوانهم في المعسكر الآخر.

هذا النموذج للحوار تكرر في حالات عدة، ففي الثورة الصربية عام 2000 حرص المحتجون علىٰ كسب رجال القمع. ومحاولةً منهم لتقليل التوتر قدموا النساء والأطفال وكبار السن وقدامىٰ المحاربين في الصفوف الأولىٰ، بحيث لا

تتوتر قوات القمع أو تُستفز.[1]

وتهدف هذه الإجراءات إلىٰ تغيير التصور وتحرير عقل وقلب رجل القمع. وهي قد لا تؤتي ثمارها من أول مرة، فبعد كل نشاط للمحتجين يدور حوار داخلي في معسكر القمع، هذا يقول إنهم يخادعوننا، فيرد آخر هل رأيت تلك العجوز؟! هل تتصور أنها جاءت لخداعنا؟! ثم يقول ثالث.. أي عجوز؟! ألم تر الشباب يسبنا بأسوأ الألفاظ؟! وآخر يقول.. لقد كان ابن عمي بينهم!!

وفي خضم هذا الحوار يأتي أمر الاشتباك، فيتحرك الجنود والضباط لينفذوا للتو، فإن تأكدت لديهم الصورة وهم يقمعون، يعودون أدراجهم بعد انتهاء اليوم ليتناقشوا، أو ليسترجع كل منهم ذكريات اليوم علىٰ حدة. سيبرر كل منهم لنفسه ما قام به، مستعيناً ببعض المشاهد التي رآها. هذا ألقي عليه زجاجة حارقة، وآخر سب أمه بأفظع الكلمات. لكنه في المقابل يتذكر مشاهد أخرىٰ، عجوز يقول له «**يا بني.. أنا في عمر أبيك**».. وأم تخاطب نخوته.. إنها رسائل متباينة تصل إلىٰ قوىٰ القمع، بعضها يؤكد النظرة العدائية، والبعض الآخر ينفيها تماماً، ومئات الرسائل بين هذه وتلك.

من يتبنون أسلوب اللاعنف يعلمون أن دورهم هو تأكيد رسائل محددة حتىٰ لا تضيع في فوضىٰ الرسائل، ولا يجزعون من استمرار استجابة قوىٰ القمع للأوامر، فهم يعتبرون أن تنفيذ الأوامر يعطيهم المزيد من الفرصة للتفاعل معهم وتأكيد رسالتهم، ودورهم هو التفنن في ردود الأفعال التي تزيد مشاهد تألم قوىٰ القمع مما ارتكبته، في مقابل مشاهد تبرير ما فعلته. كما يعلمون أنهم

---

1 How to start a Revolution (2011). Ruaridh Arrow, D.C. DVD, 180 Min., UK: TVF International.

(نشرت النسخة المدبلجة من الفيلم تحت عنوان "أستاذ الثورة" علىٰ قناتي الجزيرة وبي بي سي العربية)

إن تمكنوا من تحويل موقف قوىٰ القمع لتنفذ الأوامر مكرهةً بعد أن كانت تنفذها راغبةً؛ فإن هذا تحول كبير يبشر بإمكانية تغيير المواقف لاحقًا.[1]

اليأس من التحول في قوى القمع

تتسرع قوىٰ التغيير أحيانًا، وتقول «**لقد جربنا وسائل مشابهة ولم تُجْدِ، هؤلاء لا يشعرون ولن يتأثروا كثيراً بسلميتنا**». لكن الحكم علىٰ جدوىٰ الوسائل ومدىٰ نفعها سابق لأوانه، فتجربة الوسائل لا يعني أن تلمس أثرها مباشرة، أنت ترىٰ رجل القمع يمارس نفس السلوك، لكنك لا تدري ما يجري في عقله، وكيف يغلي قلبه، ولا تعرف شيئًا عن الحوارات الداخلية التي تدار في معسكر قوىٰ القمع، أو في الأجازات حين يتحاور الجندي أو الضابط مع أصدقائه وأقاربه الذين ربما من بينهم محتجون. وربما يأتي في اليوم التالي ليقف أمامك باحثًا عن أجوبة بعينها في سلوكك، فإما أن تؤكد له ما يدور في باله من أفكار قديمة، أو تنتصر للتصورات الجديدة التي بدأت تغزو عقله. لذلك كان كل نشاط في فلسفة اللاعنف قائم علىٰ تحرير العقول ومخاطبة القلوب.

إن ممارسة النشاط ثم القمع ثم العودة لإجراء الحوار[2] عبر أنشطة جديدة يمكن اعتبارها سلسلة متصلة لمخاطبة قوىٰ القمع، هدفها في النهاية أن يتحرر ذلك الرجل وينحاز بدوره للمطالب العادلة.

وكلما أفرطت القيادة في توجيه أوامرها بالقمع، وأفرط المتظاهرون في

---

1 هناك الكثير من الحالات في ظل الديكتاتوريات كان بعض رجال القمع ينفذون الأوامر مكرهين، فلا يتعاملون معها بجدية، مثل تنفيذ أمر مطاردة المحتجين، لكنهم يحرصون علىٰ عدم الإمساك بهم. ومن هذه النماذج شهادة أحد المحتجين في مظاهرات شهدتها القاهرة عام 2009 للتنديد بالمجزرة الإسرائيلية في غزة، حيث جرىٰ الضابط وراء رجل عجوز وقال له: "أسرع.. لا أريد الإمساك بك". وهناك شهادات كثيرة في مواقف متعددة بهذا الشأن.

2 الحوار في لغة اللاعنف لا يعني الكلام، فكل نشاط تقوم به المقاومة يحمل رسالة للخصم، ومن ثم كان النشاط هو لغة الحوار.

المقابل في التعبير السلمي وإيضاح قضيتهم ومدىٰ عدالتها وإصرارهم علىٰ استمرار ذلك الحوار؛ شعر «**مجتمع القمع**» بالبون الشاسع بين سلوك القيادة وسلوك من يفترض أن يقمعهم، وحينها تتضاءل المبررات التي تسول له الإخلاص والحماس في تنفيذ أوامر القمع. هذا ما يُحدث لاحقًا تطوراً في موقف أفراد ثم مجموعات من مجتمع القمع، قد يكون بشكل مباشر كأن تبدأ موجات التمرد والامتناع عن قمع المحتجين، أو بشكل غير مباشر كأن يأخذ شكل التباطؤ في تنفيذ المهام، أو تقديم معلومات خاطئة للقيادة.

ما المطلوب من قوات القمع؟

يتمنىٰ البعض أن تخلي قوات القمع مواقعها، أو تنضم بسلاحها للمحتجين، ولكن هذه خيارات قاسية قد تتسبب في مقتلهم، بحكم التقاليد العسكرية، وعادةً إن تمت بشكل جماعي فإنها تكون في مراحل متأخرة من الصراع.[1] حيث تحسم أمرها بكل وضوح. وقد يرىٰ آخرون أن علىٰ رجل القمع المنشق أن يمارس فعلاً عنيفًا ضد قيادته العسكرية، أو أن يشن هجومًا داخليًا علىٰ وحدته العسكرية، ولكن هذا يلحق أبلغ الضرر بمسار اللاعنف، وقد يتسبب في تحويل الصراع إلىٰ مسارات عنيفة.

---

1 قد لا ينتبه الساخطون علىٰ عدم تمرد قوىٰ القمع (الجنود والضباط الصغار) إلىٰ أن القمع هو وظيفتهم التي يتكسبون منها، وأن هذا الفساد في النظام موجود في قطاعات مختلفة، وليس فقط في هذا القطاع، وأن كثيرين في مختلف الوظائف يطيعون أوامر خاطئة ويسكتون علىٰ فساد ربما يكبد المجتمع خسائر بالملايين، لكنهم لا يتحدثون أو يعلنون العصيان خشية فقدان الوظيفة. ربما يقاومون في الشارع، لكنهم لا يقاومون الفساد في أعمالهم. أي أنهم في عملهم يلعبون نفس دور رجل القمع الذي يحمي النظام. الفرق أن رجل القمع يحمي الفساد ببندقية، وهم يحمونه بأقلامهم وتوقيعاتهم. ليس هذا بالتأكيد تبريراً للسكوت علىٰ الظلم وكتمان كلمة الحق، ولكنه توضيح لما يصيب الطبيعة البشرية في كل مجال وربما لا ينتبه له البعض، مع الفارق في أن عدم الطاعة في الوظائف المدنية العادية قد تكون نهايته فقدان الوظيفة، وهو ما لا يقدر عليه البعض، فيستمر مكرهًا في عمله. أما في معسكر القمع فعدم الطاعة قد يودي بحياة صاحبه.

وقد يكون السبب وراء الأمنيات والآراء أننا ننظر إلىٰ رجل القمع كونه عسكرياً بالأساس، فخبراته وثقافته ومهاراته وطريقة تفكيره كلها تنتمي إلىٰ عالم العسكرية. إلا أن هناك خيارات أخرىٰ كثيرة أمام قوىٰ القمع - ضباطاً وجنوداً - استخدمت في تجارب لعل **من أبرزها:**

* ❊ التباطؤ في العمل.
* ❊ التحايل والالتفاف علىٰ القيام ببعض الأعمال أو التنفيذ الناقص لها.
* ❊ تقديم معلومات خاطئة للقيادة.
* ❊ العمل الجاد علىٰ إيصال الأخبار للمقاومة.
* ❊ حماية المحتجين في الحدود التي يسمح بها العمل ولا يتسبب في عقوبة. **(مثل السماح للبعض بالهروب بدلاً من الاعتقال).**
* ❊ توجيه الرأي العام داخل مجتمع القمع.
* ❊ التمرد وإعلان العصيان ورفض تنفيذ الأوامر.
* ❊ الهروب وترك الخدمة تماماً.
* ❊ الانضمام للمحتجين ودعمهم في الكفاح السلمي.

وفي الغالب فإن انضمام رجل واحد فقط من قوىٰ القمع إلىٰ معسكر المقاومة بشكل واضح، يعني أن هناك مائة ربما يمارسون الأشكال الأخرىٰ من الدعم غير المباشر. كذلك بقاء رجل واحد فقط موال للمقاومة في معسكر القمع، مع العمل علىٰ إيصال المعلومات للمقاومة أو تعطيل قوىٰ القمع، أفضل من فرار عشرة رجال إلىٰ معسكر المقاومة. ففي بعض الأحوال يتطلب الأمر أدواراً نوعية من داخل بنىٰ النظام. مثلما كان في الثورة السورية في بداياتها، حين كان بعض العاملين في مجال الاتصالات يعملون في وظائفهم وينقلون المعلومات للمقاومة.

إن الحركة الخفية في معسكر القمع أكبر من الحركة الظاهرة، مما يجعل الحكم علىٰ مدىٰ تماسك معسكر القمع في حالات الحراك الشعبي أمراً يتطلب قدراً من المعلومات من الداخل. فملاحظة حالة تمرد ميدانية واحدة، قد تعني أن هناك العشرات ممن تم سجنهم أو ربما قتلهم في معسكراتهم لاحقًا.

أما خيار الخروج بالسلاح فهو يؤثر سلبًا علىٰ مسار الكفاح اللاعنيف. وقد يضر أكثر مما يفيد، وربما يدفع قوىٰ القمع للمزيد من العنف. اللهم إلا في حالات المجتمعات المسلحة بطبعها مثل اليمن.

لذلك كان احتضان المجتمع للفارين مهمـًا، بحيث لا يشعرون بغربة أو أنهم مطاردون. مثل ما قام به الثوار في الثورة الإيرانية عام 1979، حين أعدوا مراكز لاستقبال الفارين. كان شعر الجنود قصيراً، وحتىٰ لا يتم التعرف عليهم طلب من جميع الشباب أن يقص شعره.

إن الشعور باحتمال مرجح لانفراط عقد قوىٰ القمع في حد ذاته نذير شؤم علىٰ أي نظام، خاصة حين يكون القمع أحد الركائز الأساسية التي تثبت النظام. فمجرد تمرد مجموعات من قوات القمع سلميًا، فإنها تزلزل النظام من جهة، وتنتصر لمسار اللاعنف من جهة أخرىٰ.

وبصفة عامة تُدرس كل حالة علىٰ حدة بحسب نوعية القمع المضاد وطبيعة المجتمع، وهو ما سنتحدث عنه لاحقـًا في فصل (**خيارات التعامل مع القمع المفرط**).

العناصر المؤثرة في تحول قوات القمع في أجهزة الشرطة

إن تحديد شكل التعامل مع قوات القمع يخضع للآتي:

❋ ما القضية التي تكافح من أجلها؟ ومدىٰ عدالتها؟ وملامستها لهم سلبـًا أو إيجابـًا؟

❋ ما درجة الرضا عن الدور الذي يقومون به؟
❋ ما مستوىٰ رضا الدرجات الدنيا عن القيادة؟
❋ ما هو هدف المقاومة الميداني؟ وما الاستراتيجية المتبعة لتحقيق الهدف؟
❋ ما الرسالة التي تريد المقاومة توصيلها إلىٰ قوىٰ القمع؟
❋ ما طبيعة تلك القوات؟ هل هي قوات قبلية عائلية أم طائفية أم تمثل الشعب بتنوعه؟ فكلما كانت قوات القمع تمثل الشعب؛ كان تحرير عقلها أكثر إمكانية، لأن القضايا التي تشغل الشعب تحيط بالجنود والضباط في بيوتهم، عبر آبائهم وأمهاتهم وإخوانهم وجيرانهم. وقوىٰ القمع من أسر متباينة في الطبقات تمثل المجتمع العادي.
❋ ما المشروع الذي تدافع عنه قيادات القمع؟ هل هو مشروع أيديولوجي يقاتلون في سبيله عن يقين، أم مشروع الحفاظ علىٰ مكتسبات ومصالح شخصية؟! فالذين يتحركون من أجل مصالح شخصية يكونون أقل حدة من أصحاب الدوافع الأيديولوجية.

العناصر المؤثرة في تحول قوات القمع في الجيش

كما يعتمد النظام في بقائه علىٰ قوة القمع، فإن حرب اللاعنف تنتصر إذا تمكنت من نزع مصادر القوة العسكرية والأمنية من يد النظام، وجعلتها ملكًا للشعب. فإن لم تتمكن من كسب هذه القوىٰ أو تحييدها[1] فغالبًا ما يتم إجهاض الحراك التغييري – ولو بشكل مؤقت، أو يتهاوىٰ مسار اللاعنف ويتحول المقاومون إلىٰ المسار العنيف، الذي قد تكون نتائجه ليست أقل سوءاً.

1 لا يشترط أن يكون التحييد موقفًا واضحًا معلنًا، فالتظاهر بانهيار القوات وعدم قدرتها علىٰ المواجهة يقود إلىٰ نفس النتيجة.

ويتحدد موقف الجيش ما بين دعم النظام، أو الحياد، أو الانحياز للشعب بناءً على عدة أمور:

* مدىٰ انشغال الجيش بالسياسة أو تطلعه لدور سياسي في المستقبل.
* مدىٰ فاعلية الجيش كجزء من المنظومة الأمنية الداخلية (**في تونس علىٰ سبيل المثال كان التأثير هامشيًا**).[1]
* مدىٰ شرعية النظام الموجود سواء لدىٰ الجنود أو عموم الناس.[2]
* مدىٰ الحراك الشعبي واحتمال تناميه أو احتوائه.
* مدىٰ انفتاح الجنود وصغار الضباط علىٰ الحراك الشعبي.[3]
* تقدير القيادة لمدىٰ تماسك الجيش في حالة (**الدعم – الحياد – الانحياز للشعب**).
* طبيعة تكوين الجيش عقديًا، فالجيش المذهبي والطائفي عادة ما تستميت قيادته في حماية النظام الذي تنتمي له.
* طبيعة تكوين الجيش نظاميًا، فالجيوش التي تعتمد علىٰ التجنيد الإلزامي أقل تورطًا في الدماء من الجيوش المحترفة.[4] والجيوش التي بها ولاءات قبلية أو سياسية في مناصب عليا تكون عرضة الانقسام فيها أكبر، مثل الجيش اليمني.
* وجود بدائل للجيش في حالة انشقاقات الجنود. ففي حالة الجيوش الطائفية والأيديولوجية تكون حالات الانشقاقات محدودة جداً علىٰ

---

1 مقال "لماذا يبقىٰ معظم الضبّاط السوريين موالين للأسد؟" للكاتب زولتان باراني

http://www.dohainstitute.org/release/dcc214e0-fd11-4b58-9797-b1af02b11eb9

2 نفس المصدر السابق.

3 نفس المصدر السابق.

4 نفس المصدر السابق.

المستوىٰ القيادة العليا. أما المستويات الدنيا من الجنود وصغار الضباط فتكون من شرائح متنوعة في المجتمع، وقد يحدث فيها انشقاقات لا تؤثر بدرجة كبيرة إن كان النظام لديه البدائل، مثل عدم الاعتماد عليهم والاستعانة بقوات خاصة ولاؤها له، أو تسليح مجموعات محلية موالية للطائفة أو الأيديولوجيا، أو المجموعات الخارجية الموالية، مثل استعانة بشار الأسد في سوريا بحزب الله اللبناني والحرس الثوري الإيراني.[1]

* الموقف الدولي ومدىٰ تأثيره في مصالح الجيش.[2]
* وجود صراعات بين الأجهزة الأمنية المتنوعة.
* تماسك القيادة ودعمها الكامل للسياسات المتبعة.
* وبناء علىٰ ما سبق تتحدد إمكانية تحول الموقف ودعم حركة الشارع، أو إمكانية حدوث انشقاقات، وفي حالة حدوثها فما هو مدىٰ تأثيرها. حيث تعتمد القيادات أحيانـًا علىٰ قوات أخرىٰ، أو أجهزة صنعتها خصيصـًا لها، فلا تتأثر كثيراً بالانشقاقات –ولو علىٰ المدىٰ القريب.

تأثيرات استخدام الجيش ضد المحتجين

إن وجود قوات الجيش بصفة عامة في الشارع لفترة طويلة لا يهدد فقط استقرار الدولة؛ بل يهدد أيضـًا القوات ذاتها. فعند النظر إلىٰ قوات الشرطة وما يتفرع منها من قوات مكافحة الشغب سنجد أن هذه القوىٰ الأمنية معدة للتعامل مع المتظاهرين، ليس فقط الإعداد التسليحي والتدريبي الذي مهمته تفريقهم وإلحاق بعض الأضرار بهم؛ بل أيضـًا الإعداد النفسي لدىٰ كل من الشارع وقوىٰ القمع. فالاشتباكات المتكررة بين المحتجين وقوات الشرطة

1 نفس المصدر السابق.

2 نفس المصدر السابق.

موجودة في كل الدول تقريباً. ورغم سوء هذه العلاقة إلا أنها ليست صادمة إلىٰ حد كبير بالنسبة للمحتج، بل أحياناً تتشكل لغة متبادلة بين الفريقين أثناء الاشتباكات.

بينما قوات الجيش – علىٰ النقيض من ذلك – معدة للتصدي لعدو خارجي، ومن ثم فهي من حيث التدريب والتسليح معدة لكي تقتل. ولا توجد بالأساس علاقة عداء بينها وبين الشارع، لأنها معدة فقط لمواجهة أعداء الوطن.

واستخدام قوات الجيش داخلياً في غير تأمين المنشآت العسكرية والحيوية يعد مؤشراً خطيراً علىٰ مستقبل أي دولة، لأنه يؤثر علىٰ الجيش **في التالي**:

* اهتزاز السمعة والتقدير الداخلي. حيث يصيب الجيش ما يصيب القوات الأمنية في الدول القمعية من سوء تقدير وغضب من المواطن العادي. لأنها تشتبك معه بشكل مستمر.
* ضعف إمكانية الردع الخارجي. حيث تتحول الميادين والشوارع إلىٰ جبهات.
* وجود صراعات بين قيادات الأجهزة الأمنية وبين القيادات العسكرية بسبب صراع النفوذ علىٰ السلطة والشارع.
* انهيار النظام السياسي، حيث تعلق العملية السياسية بسبب خضوع السياسيين للقيادة العسكرية.
* انهيار اقتصادي حيث تتركز الميزانية في التسليح ودفع الرواتب السخية لشراء الولاءات. بالإضافة إلىٰ الخسائر الرهيبة في قطاعات الاستثمار والسياحة.
* إحتمال اندلاع حرب أهلية بسبب التعامل القمعي للقوة العسكرية ورغبة مجموعات في الرد والانتقام.

* إمكان نفاذ أعداء الوطن إلىٰ داخله، حيث تستثمر فرصة انشغال الجيش بفرض هيبته علىٰ المواطنين، وتُفرض المعركة عليه داخل المدينة، من خلال ميليشيات مأجورة تسعىٰ إلىٰ صناعة الفوضىٰ والتأليب والمشاحنات.

لماذا تخاطر الجيوش بالنزول للشارع؟

إن كان لنزول الجيوش إلىٰ الشارع كل هذه المخاطر، فما الذي يدعوها إلىٰ ذلك؟!

هناك عدة أسباب تجعل الجيوش تغامر بالنزول إلى الشارع:

* سوء تقدير للموقف (مثل تصور إمكان إجهاض الانتفاضة الشعبية سريعًا).
* اصطفاف طائفي مع قطاع من الشعب ضد آخر.[1]
* التورط في الدماء مما يجعل العودة أمر صعب.[2]
* توقع أن القادم أسوأ في حالة وصول المعارضة إلىٰ سدة الحكم. فلا يوجد ما يمكن كسبه لاحقًا.[3]

حملات استهداف الخطوط الخلفية للنظام

تتعامل حرب اللاعنف مع ملف قوات القمع النظامية باستراتيجية حكيمة، واعية بنقاط القوة والضعف لدىٰ تلك القوات.

فمن نقاط قوة قوى القمع:

* الإعداد الذهني والتدريب العملي لكي تقوم بمهام محددة، وهي قمع من أمامهم.

---

1 نفس المصدر السابق.

2 نفس المصدر السابق.

3 نفس المصدر السابق.

* تقاليد صارمة من السمع والطاعة تجعل عاقبة التردد أحياناً هي الموت. حيث تعتمد هذه الآلة القاتلة في النظم الديكتاتورية على طمس الفطرة وسحق العقل.

* وتحرص الديكتاتوريات على أن تجعل قواتها القمعية تعيش في حالة من التغييب، فلا تسمع إلا صوتها، ولا ترى العالم إلا من خلال أعينها هي، فهي تخشى من تنوع الآراء الذي قد يقود لاحقاً لتفتت في جبهة معسكر القمع.

لكن أيضاً هناك نقاط ضعف في هذا النظام القمعي، منها:

* تعيش مكوناته – من الجنود والضباط - وسط المجتمع، وبالتالي يمكن التأثير عليها بشكل أو بآخر بحكم احتكاكها بالمجتمع.

* المعاملة الآدمية سيئة ولا يوجد فيها احترام لكرامة الإنسان. ليس على مستوى الجنود بحسب، بل حتى الضباط، حيث تقوم العلاقة على الخوف من الرتبة الأعلى، وينتشر النفاق إرضاء للقيادة الأعلى.

استراتيجية "معسكر المجتمع"

وبناء على ما سبق، ولأن الضباط والجنود يعيشون وسط الشعب بشكل طبيعي؛ فإنه يمكن الوصول إليهم من خلال الخطوط الخلفية، وهي بيوتهم، وأسرهم، وحركتهم في الشارع. من خلال حملات مكثفة تتبنى استراتيجية «**معسكر المجتمع**» وهي المضادة لـ «**معسكر القمع**»، حيث نعتبرهم في معسكر المجتمع الذي يقوم بدوره بتأهيلهم بشكل مختلف، وإثارة تساؤلات داخلية مقابل ما يتلقونه في «**معسكر القمع**».

ويمكن تحديد أهداف استراتيجية "معسكر المجتمع" في:

* خلق اتصال مباشر بين المواطنين مع ضباط وجنود الجيش لتوفير مدخلات جديدة للمعلومات، والتأثير فيهم ذهنياً ونفسياً.

❋ خلق حوار داخلي بيني في وسط الجنود والضباط.

ويراعىٰ التعامل بحذر في هذا الملف، بحسب كل حالة، فالهجوم الحاد اللاأخلاقي علىٰ أي جبهة يوحدها، حيث يشعرها بالخطر. وخلق رأي عام يعزل الجنود والضباط عن القيادة يتطلب حكمة.

أفكار عملية لتحقيق استراتيجية "معسكر المجتمع"

1- حملة «**كلم جارك الشرطي**».. حيث يقوم كل شخص بالتحاور مع جيرانه في محل إقامته وأقاربه من الضباط والجنود، خاصة ممن لهم علاقة مميزة به، كما يمكنه أن يكتب عبارات محددة أو يضع صوراً لها مغزىٰ تحت الباب.

2- حملة التحاور مع أبناء وزوجات وأهالي الضباط والجنود، كل في نطاق عمله أو دراسته أو منطقته السكنية، بحيث تكون الحملة موجهة لأناس معروفين لك تستطيع التحاور معهم بشكل طبيعي، ويكون بإمكانهم الضغط علىٰ ذويهم، ولا تيأس أو تستعجل لتنتظر نتائج سريعة.

3- التضامن مع الجنود والضباط المسجونين (حتىٰ ولو لم تُعرف أسماؤهم كلهم).

4- عرض مشاهد فيديو أمام أقسام الشرطة والمنشآت العسكرية توضح الشكل المثالي لتعامل القوىٰ الأمنية مع المواطنين في الدول الديمقراطية.

5- عرض مشاهد فيديو أمام أقسام الشرطة والمنشآت العسكرية تستعرض الانتهاكات.

6- حملات تعريفية بأهم الرموز الوطنية في تاريخ القيادات الأمنية.

7- برامج مصورة تشرح كيف يجب أن تكون علاقة الأجهزة الأمنية

بالمواطنين.

8- الاهتمام بالدعاء والصلاة لمن استشهدوا من الضباط والجنود في مهام وطنية.

9- وقفات سريعة أمام نقاط أمنية لإيصال رسالة متوازنة، وتقديم الورود.

10- وقفة صامتة تبين انتهاكات النظام في أماكن المواصلات التي تقل الجنود.

11- صفحات على شبكة الإنترنت تنشر الخبرات الشخصية في التعامل مع الأجهزة القمعية، وتوثيق طريقة التعامل. سواء من تعامل بشكل مباشر، أو سبق له الخدمة في تلك الأجهزة.

12- دعوة قدامى الضباط المناهضين للاستبداد للاشتراك في شرح موقفهم من الاستبداد.

13- الحوار المباشر مع قوات القمع في المسيرات والاعتصامات، من خلال كلمات موجهة من آباء وأمهات الشهداء، ومن شباب واع، وتوجه الرسالة لقوات القمع عبر مكبرات الصوت، حيث يقف المتحدث في مواجهتهم، يرفع صورة معبرة، أو علم بلاده، ويلقي كلمته. ويراعى أن تكون عاطفية، تحدثهم كإخوة في الوطن، وتحاول أن تعزلهم عن القيادة، كما تتمتع بقوتها في هز الضمائر. كما يمكن عرض مشاهد للجرائم التي ترتكبها القوات. ومثل هذا النوع من الأنشطة مهم جداً، وعادة ما تتجنب القيادة تعريض جنودها لهذه الأنشطة.

14- المقاطعة الاجتماعية، والامتناع عن البيع والشراء والتعامل معهم ومع ذويهم مما يشكل ضغطاً نفسياً في كل بيت.

ويمكن إبداع المزيد من الأفكار في هذا الموضوع، ومجرد الإعلان عن مثل

هذه الحملات بمثابة حرب نفسية على القيادات القمعية، حيث تخشى من فقد سيطرتها على قواتها. كما يراعى التدرج في الحملة فلا تتم المقاطعة الاجتماعية قبل الحوار المكثف.

ثانياً: القوات الخارجية

وتشمل كل من يشارك في القمع من من خارج الدولة، مثل الاستعانة بميليشيات أو جيوش أجنبية. يمكن تصنيفها بحسب قربها ثقافياً وأيديولوجياً من أهل البلد كالتالي:

* **وحدة الثقافة والأيديولوجيا:** قوات تنطق بلغة أهل البلد وتحمل نفس ثقافتهم ولا تتحرك بدافع أيديولوجي.
* **وحدة الثقافة واختلاف الأيديولوجيا:** قوات تنطق بلغة أهل البلد وتحمل نفس ثقافتها لكنها معبأة بأيديولوجيا مخالفة (دينية أو مذهبية أو عرقية)، وعادةً ما يقاتلون بشراسة. مثل استعانة النظام السوري بقوات من حزب الله اللبناني للتصدي للثورة السورية.
* **اختلاف الثقافة والأيديولوجيا:** قوات أجنبية تختلف في اللغة والثقافة، مثل المرتزقة الأفارقة الذين استعان بهم القذافي في مواجهة الثوار الليبيين.

وفي هذه الحالة يتم العمل على مسارين:

* استهداف مصالح الدول الداعمة بحملات لا عنيفة داخلها وخارجها.
* وضع استراتيجية للتعامل مع العنف المفرط، بالإضافة إلى الاستفادة من بعض تكتيكات التعامل مع البلطجية،[1] التي أنتجتها بعض خبرات وممارسات ثورات الربيع العربي. وهنا لابد من التذكير بوفرة وتنوع ما

---

1 يمكن الرجوع لفصل التعامل مع القمع المفرط.

في جعبة ترسانة أسلحة اللاعنف من عمليات وتكتيكات، وهي تزداد بحسب تراكم الخبرة الإنسانية المقاومة للاستبداد. ومن أفضل مايمكن استخدامه في ذلك «**خارطة التكتيكات**» كما سيتم شرحها بإيجاز لاحقاً.

ثالثاً: البلطجية

طبيعة تكوين معظمهم إما جنائيون كانوا مسجونين تستغلهم أجهزة الأمن، وتعدهم بعدم الملاحقة وإسقاط ما عليهم من أحكام إن نفذوا ما يطلب منهم، أو قاطعو طرق ومجرمون محترفون أو بائعو أو مستهلكو مخدرات، وكل هؤلاء تسلطهم الأجهزة الأمنية علىٰ من تريد. وبصفة عامة هذا الصنف لا يتحرك في الغالب من تلقاء نفسه، فتحركه مشروط بالمال والمصالح.

وقد يفوق خطر هذا الصنف بالنسبة للمحتجين خطر قوات الشرطة، فقوىٰ الأمن مدربة بشكل كبير علىٰ التخويف والتفريق وفض التجمعات لا القتل، وهي تقمع بأساليب مدروسة تتميز بقدرٍ من ضبط النفس، كما يردعها أحياناً حسها القانوني خشية الملاحقة القضائية. أما البلطجية فلا يتمتعون بهذا القدر من التدريب والدراسة فيتعاملون بوحشية كبيرة ولامبالاة. [1]

والتعامل مع البلطجية تنطبق عليه قواعد التعامل مع أدوات القمع، من حيث التفكير في كيفية استثمارها لصالح المقاومة، قبل التفكير في مجرد دفع أذاها. فربما اكتشفت المقاومة أن البلطجية هم الثغرة التي سيكشفون من خلالها فساد كبار رجال النظام وضلوعهم في إدارة الجريمة. في هذه الحالة ستتعامل المقاومة مع البلطجة كفخ تنصبه للنظام، وسيتغير منظور التعامل كاملاً.

---

1 لا ينطبق هذا علىٰ قوىٰ القمع التي تم تدريبها علىٰ ممارسة جرائم القتل، وهو مايحدث غالباً في أواخر عمر الديكتاتوريات والدول الأمنية، ونجاتها مرهونة بمدىٰ إصرار المجتمع الإنساني محلياً وعالمياً علىٰ المطالبة بحقة الإنساني، وعدم السماح لشريعة الغاب أن تسود.

وتعتمد طريقة التعامل مع البلطجية علىٰ دراسة نقاط قوتها وضعفها، وحشد نقاط قوة المقاومة في مواجهة نقاط ضعف البلطجية مثل: الخوف من الحشود الكبيرة، وأن المال هو المحرك الأساسي لهم وليس الفكرة، وأنهم غير محبوبين شعبيًا، وأن من يوظفهم هو أول من يتخلص منهم حين يزداد الضغط، حيث لايمثلون إلا كبش فداء. أو قد تتم تصفية بعضهم لكتم الأسرار. يضاف إلىٰ نقاط الضعف هذه ميلهم إلىٰ المواجهات المباشرة وقلة لجوئهم إلىٰ الحيلة والخداع.

وفي ضوء نقاط الضعف نذكر أمثلة لاستراتيجيات التعامل مع البلطجية من خلال دراسة لكل من تعامل الثورتين اليمنية والمصرية مع هذا التحدي:

الاستنزاف المباشر

وتراهن هذه الاستراتيجية علىٰ أنه برغم ما يمثل هؤلاء البلطجية من ألم للمتظاهرين، غير أن الفاتورة التشغيلية لهم أيضًا مكلفة، ومن ثم فالاستمرار في استئجار البلطجية غالبًا لن يستمر، خاصةً إن قوبل من قِبل المقاومة بالمزيد من الإصرار علىٰ الاحتجاج. ويسعىٰ المقاومون هنا إلىٰ توفير أدوات الحماية اللازمة مثل الدروع الفردية والجماعية (سنتحدث عنها لاحقًا) والتي من شأنها تقليل الخسائر النفسية والجسدية. والرهان علىٰ استنزاف الموارد المالية للممولين.

تجفيف المنابع

لأن البلطجية لا يتحركون من تلقاء أنفسهم، فإن مواجهتهم أحيانًا لا تكون مجدية بقدر ما تكون مواجهة المسؤول عن تمويلهم، لأنه إن توقف عن التمويل توقفوا. فهؤلاء في الغالب لا يقاتلون دفاعًا عن مبدأ أو فكرة. ويمكن اعتماد استراتيجية تجفيف المنابع من خلال:

* توثيق صور البلطجية والتعرف عليهم ومناطقهم.
* التعرف علىٰ الشخصيات المحركة لهم وفضحها إعلامياً.
* رفع الدعاوىٰ القضائية علىٰ الممولين وإعلان أسمائهم كمجرمين، وشن حملات محلية ودولية للضغط عليهم.
* شن حملات لاعنيفة علىٰ مصالحهم تشمل وسائل الاحتجاج واللاتعاون والتدخل المباشر.
* شن حملات لا عنيفة علىٰ أسرهم للضغط النفسي.

الحشود الضخمة

لا يجرؤ البلطجية علىٰ المواجهة المباشرة أو التصدي للحشود الضخمة، ربما تطلق بعض الأعيرة النارية علىٰ الأطراف، أو تناوش من مسافات بعيدة أو من فوق المباني. لكنها تفر هاربة إذا ما استهدفتها الحشود بشكل مباشر. لذلك فالحشود الضخمة دواء فعال لمواجهة البلطجية، أو علىٰ الأقل تقليل أخطارها. وفي هذا يفيد بشكل كبير تواجد مجموعات عمل مدربة تدريباً خاصاً ضمن الحشود الضخمة، تقوم بالتصدي لهم أو الإمساك بهم، والتعامل معهم بوسائل لاعنيفة مختلفة في أماكن آمنة، ويمكن استخدامهم لاحقاً في جلب معلومات بعد تحويل ولائهم، وقد يتم إقناعهم أن من قام بخطفهم أفراد منشقون عن النظام الخاسر، أو جهاز آخر من أجهزة النظام.

التصدي لهم

ويكون التصدي من جهة مسؤولة تتحمل ما تقوم به، وإلا تحول الأمر إلىٰ فوضىٰ عنف. مثل أن تقوم بالتصدي لهم مجموعات من الجيش لا ترتضي الوقوف إلىٰ جوارهم، أو الصمت علىٰ إجرامهم، أو عائلات وقبائل مشهورة بنفوذها، أو حركة تتبنىٰ الموضوع، أو مجموعات "حفظ السلام" التي تحمي

المسيرات والمدربة علىٰ التعامل مع هذه الحالات. المهم ألا يُترك الأمر لآحاد الناس، حيث يزيد احتمال الانحراف الكامل عن المسار السلمي. كما تزيد نسبة الإصابات بسبب التعامل العفوي. بالإضافة إلىٰ إمكانية المحاسبة والمساءلة في حالة التساهل في الدماء أو تمت تصفيات جسدية للبلطجية، حتىٰ وإن كانت المساءلة والمراجعة من قبل المقاومة ذاتها، بحيث لا ينحرف المسار.

كما يجب تحديد طبيعة التصدي، وحدود الرد، هل هو قذف بالحجارة أم مجرد الإمساك بهم وتوقيفهم. يتوقف الأمر علىٰ طبيعة السلاح الذي يحمله البلطجية، ومدىٰ تأثيره (**مجرد تخويف أم يلحق إصابات أم يقتل**). والقدرة كذلك علىٰ التوثيق الإعلامي لكل ما يجري. علىٰ أن يكون الرد في النهاية يصب في مصلحة المقاومة، ولا ينال من التعاطف الشعبي؛ بل يزيده.

التوقيف

الإمساك ببعضهم إما باليد أو باستخدام تكنيك الشباك التي ترمىٰ عليهم.[1] مع الاهتمام **بعد توقيفهم بالتالي**:

* حسن المعاملة.. خاصة أولئك الذين يرجىٰ منهم تحول في الموقف.
* تصويرهم وتوثيق أسمائهم وعناوينهم.
* تسليمهم للجهة الأكثر تعاونـًا (**الشرطة أو الجيش**) بحسب الحالة، ليتم التحقيق معهم ومحاكمتهم.
* وفي حالة أن أجهزة الأمن والجيش في الدولة غير متعاونة، بل وتستخدم المرتزقة لصالحها؛ حينها يتم التعرف علىٰ هوياتهم، والفضح الإعلامي، واللجوء إلىٰ خيار تهديد العائلات الكبرىٰ وشيوخ القبائل لعائلاتهم أو خيار المصالحة مع كبار البلطجية «**المِعَلِّمْ**» الذي يحركهم ويديرهم.

---

1 انظر "سلاح خيوط العنكبوت" في باب تكنولوجيا مواجهة القمع.

تهديد العائلات وشيوخ القبائل

فيمكن بسهولة لأبناء أي حي أن يعرفوا البلطجية فيه، ومن ثم يمكن للعائلات الكبرىٰ وشيوخ القبائل أن تستخدم نفوذها في التهديد المباشر للبلطجية الذين يقتلون المحتجين السلميين بدم بارد. خاصة كبيرهم الذي يحركهم، ويتوعدونهم أنهم إن قُتل منهم شخص سيقتصون منه. وعادة ما تقود هذه الأمور إلىٰ المصالحة إن تم التعامل معها بجدية.

المصالحة والتحييد

تعويضات مالية لعائلات البلطجية وعمل مصالحة بألا يعتدي أحد منهم علىٰ المتظاهرين السلميين، بل وأحيانًا يكونون لاحقًا درع حماية للمنطقة من أي بلطجية من عائلات أخرىٰ، سواء من داخل المنطقة أو خارجها.

التجنب

تجنب الدخول في الأماكن المعروف تواجد بلطجية فيها. وحين تكون الأعداد قليلة وتتوقع أن يأتوا هم إليك؛ تجنب الدخول في مواجهة معهم. اعتمد الوقفات القصيرة، ولا تتحول إلىٰ هدف سهل، أو تنشغل بمعركة لا فائدة منها. خاصة إن كان البلطجية من نفس الحي الذي تقف فيه، إن قمت بالاشتباك معهم، فسيشتبكون معك بقوة، وسيعودون المرة القادمة بأعداد أكبر وروح انتقامية أعلىٰ، لأنهم لا يقبلون أن يهانوا في منطقتهم. فيتحول الحراك إلىٰ عراك، كل يوم في شجار. اختر معاركك بعناية وتذكر نصيحة سان تسو: «**توجد طرق عليك ألا تسلكها، وجيوش يجب ألا تهاجمها، ومدن يجب ألا تحاصرها، ومواقف يجب ألا تقاتل فيها بضراوة**».[1]

1 سان تسو، فن الحرب، ترجمة رؤوف شبايك، نسخة إلكترونية، ص50.

كسب البلطجية

ويحدث عندما يطال القمع البلطجية أنفسهم، إما لعدوان من قوىٰ الأمن، أو لإصابة أو مقتل أحد المقربين منهم. فالبلطجية في النهاية جزء من المجتمع بتعقيد شبكة علاقاته، فقد تجد من بينهم من فقد صديقاً استشهد، أو ذا قرابةٍ كان من بين المتظاهرين. خاصةً حين يطال المصاب إحدىٰ العائلات الكبرىٰ المشهورة بالبلطجة. في هذه الحالة تحول ولاءها بالكامل، وتعتبر نفسها درعاً للمتظاهرين الذين يمرون في مناطقها، فتحميهم ضد أي اعتداء، سواءً من الأمن أو من بلطجية قادمين من مناطق أخرىٰ.

الخداع والحيلة

فالعضلات لن تصمد أمام عقل متقد ذكي، فإن كانت نقطة قوة البلطجية تكمن في عضلاتها وأسلحتها، فإن نقطة قوة المقاومة تتركز في عقلها ودهائها. فيمكن خداعهم وجرهم إلىٰ مكان لا نية للمقاومة في التواجد فيه، أو دفعهم إلىٰ أماكن يمثل وجود البلطجية فيها أمراً غير مرغوب فيه للنظام.

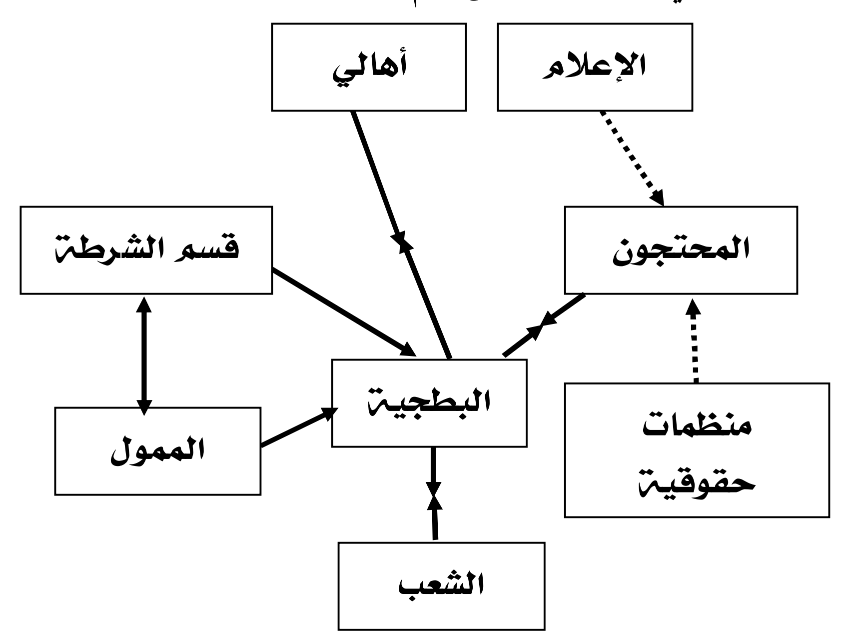
وبذلك نجد أن الخيارات تتنوع ما بين الاستنزاف المباشر، وتجفيف المنابع، والحشود الضخمة، والتصدي، والإمساك، والتهديد، والمصالحة والتحييد، والتجنب، والكسب إلىٰ الصفوف والخداع والحيلة. ويتوقف الخيار بحسب الاستراتيجية العامة للمقاومة، وقد تدمج بين بعض هذه الخيارات، أو تتطور الخيارات بحسب المرحلة. فيمكن التناغم بين الخيارات، كالالتزام بالصبر الجميل لمدة محددة يتم فيها توثيق كل ما يجري من اعتداء، ثم البدء في الإمساك.. وهكذا.

إن التعامل مع ملف البلطجية يتطلب التعامل في ضوء دراسة فعلية لنقاط القوة والضعف بحسب كل بلد، والخروج من أزمة التفكير في كيفية الرد علىٰ البلطجية وحماية المحتجين إلىٰ كيفية إفقاد هذا السلاح قيمته لدىٰ الخصم.

كيف يكون في يده لكنه غير قادر على استعماله. فاللجوء إلى تكتيكات اللاتعاون لا يمكن للبلطجية أن يتعاملوا معها، لأنها تكتيكات تقوم على الاختفاء من الشارع والتسلل عبر شرايين النظام.

كما يمكن استخدام «**خارطة التكتيكات**» في التخطيط للتعامل مع البلطجية، حيث يتم حصر شبكة العلاقات الذين هم جزء منها، ثم اختيار الاستراتيجيات والتكتيكات المناسبة للتعامل مع كل طرف، مثل خطة التعامل مع الممولين والموجهين.[1]

فإذا أخذنا مثالاً البلطجية في منطقة محددة، ورسمنا شبكة العلاقات المتصلة بهم سواء كانت علاقات إيجابية أو سلبية، سنجد علاقة تربطهم بقسم الشرطة، وبالممول، وبأهالي المنطقة، وبعموم الشعب، وبموقف المنظمات الحقوقية والإعلام منهم. وهكذا تضاف كل العناصر المرتبطة بالبلطجية، والتي قد يكون منها بلطجية آخرون في المنطقة معادين لهم.



شكل 6: تصور جزئي كمثال لخارطة بعض علاقات حركة البلطجية.

1 يمكن الرجوع إلى كتاب "مسرح عمليات اللاعنف" من إصدارات أكاديمية التغيير.

في هذه الخارطة يرمز السهم في الاتجاه الواحد لعلاقة النفوذ، مثل علاقة الممول بالبلطجي، ويرمز الخط الذي به سهمان متقابلان في المنتصف لعلاقة التضاد، مثل علاقة البلطجي بالمتظاهرين والأهالي وعموم الشعب، ويرمز السهم المنقط لعلاقة الدعم مثل علاقة الإعلام بالمتظاهرين، ويرمز الخط الذي به سهمان في الطرفين إلىٰ علاقة المصلحة المتبادلة مثل علاقة قسم الشرطة بالممول. يتم استهداف كل علاقة بتكتيك أو عدد من التكتيكات التي تستهدف التقوية أو الإضغاف أو الكسر.

وبهذه الخارطة يمكن للمحتجين شن حملة ممنهجة، يُستثمر فيها موقف الأهالي منهم، واستثمار الإعلام في فضح الممارسات، وفضح العلاقة التي تربط البلطجية بالممول، أو ربما بقسم الشرطة أيضاً، كما تستثمر قوة العلاقة بين المنظمات الحقوقية والمحتجين. وقد يلجأ المتظاهرون إلىٰ تكتيكات لا تدع مجالاً للاشتباك مع البلطجية. كل ذلك يخضع للخطة والهدف.

ويساعد رسم مثل هذه الخارطة في تحديد طريقة التعامل، فإن كان الأهالي في حالات معينة يعادون المحتجين، في هذه الحالة ستختلف شكل العلاقة بين الأهالي والبلطجية، وبناء عليها يتخذ قراراً بمدىٰ فاعلية النشاط في هذه المنطقة، وهل يمكن تنفيذه أم لا.

هذه الخارطة مجرد مثال توضيحي، لبيان طريقة التفكير في التعامل مع البلطجية، كما يمكن عمل خارطة أخرىٰ للممولين، وأقسام الشرطة، والمخبرين، والمتعاطفين، وللإعلاميين.. الخ، ورصد شبكة علاقاتهم ومصالحهم هم وذويهم، وبالتالي يمكن استهدافهم بحملات لا عنيفة، وتكوين وتدريب مجموعات عمل متخصصة لكل فصيل مستهدف، مما يعطي

المظاهرة وحملة المقاومة قيمة نوعية تمثل نقطة قوة للحراك الشعبي.

إن دراسة شبكة العلاقات قد يظهر عدداً هائلاً من العلاقات التي لم تكن في الحسبان، والمنتصر هو الذي سيكتشف العلاقات الذهبية، تلك العلاقات التي إن تم التعامل معها باستراتيجيات وتكتيكات واعية، أصبح النجاح محققاً.

إن التعامل مع البلطجية يخضع للرؤية الكلية للمقاومة، والمقاومة الواعية تدرس كيفية التعامل معهم في إطار أنهم مجرد أداة، إن تم الضغط علىٰ مستخدمها فلن يلجأ إليها. فالتفكير في تفادي العصا، يختلف عن التفكير في إجبار من يحمل العصا علىٰ طرح عصاه أرضاً.

إنها معركة عقول، وعقول المقاومين تتفوق بدرجات علىٰ عقول البلطجية. ولأنها تعمل من أجل تقوية المجتمع فهي تمتلك طاقة إبداعية في البناء، كما أن لهلا طاقة خلاقة في مواجهة الاستبداد وأدواته. وحين يدرس المجتمع ذي العقل الراجح نقاط ضعف البلطجية، فسينتصر عليهم مهما بلغ حجم عضلات وتسلح هذا العقل الضعيف، وهنا تأتي عبقرية الحيلة والخداع.[1]

رابعاً: الأهالي

أحياناً يكون الأهالي ساخطين على المقاومة لأسباب عدة منها:

* الاختلاف مع مطالب المحتجين.
* الاختلاف مع الأساليب التي ينتهجها المحتجون.
* الضرر المباشر الذي يقع عليهم إما في الأرزاق أو في تعطل الحياة بصفة عامة.
* ويكون تعبيرهم عن السخط متباين ما بين أهالي مسلحين وغير مسلحين.

---

1 يمكن العودة إلىٰ دراسة رياضة الجوجيتسو وكيف يستطيع المتمرس فيها من خلال العقل والمهارات التغلب علىٰ القوىٰ العضلية والسلاح.

الأهالي غير المسلحين

قد يعبرون عن رفضهم من خلال العنف اللفظي، أو إلقاء بعض الأشياء علىٰ المحتجين مثل أكياس المياه، أو يشتبكون بالأيادي. وفي جميع الأحوال هذا الصنف من الناس ينبغي أن يتم التعامل معه **من خلال**:

امتصاص الغضب وعدم إثارته: بمنع أي اشتباك أو إيقاف أي تلاسن، فدور حركة المقاومة أن تنير عقول هؤلاء وتشرح لهم قضيتها، فهؤلاء في النهاية لديهم رأي مخالف. ولا ينبغي الاعتداء عليهم بأي حال من الأحوال.

الاهتمام بالتحاور معهم: من خلال الهتافات الموجهة لهم، والكلمات المعدة لتصل إليهم عبر مكبرات الصوت، والإشارات والتلويح إلىٰ الشرفات بالورود والأعلام، ورفع رايات "من حقك أن تختلف معنا"، في حالة المرور بمنطقة معلوم عداؤها للفكرة علىٰ نحو كبير.

الأهالي المسلحون

وهؤلاء الذين أشرنا سابقاً إلى أن البعض يخلط بينهم وبين البلطجية، وهؤلاء يعاملون نفس المعاملة السابقة مع وضع الاعتبارات التالية:

* ضرورة التنسيق معهم مسبقـًا في حالة أن هناك اعتصام سيضرب خيامه في منطقتهم، أو مسيرة ممتدة لفترة طويلة في منطقتهم.
* عدم الاستهانة بموقفهم لأنهم قد يدخلون في عداوة لأسباب ليست سياسية، ولكن بسبب الاعتداء علىٰ منطقتهم. فإن لم يتم كسبهم فيفضل تجنب المناطق التي يتواجدون فيها.
* الاشتباك معهم قد ينتج عنه تطور العنف وليس نهايته، حين يعودون في اليوم التالي بأعداد ضخمة للانتقام.
* توجد إمكانية لإقناعهم بعدم التعرض للمتظاهرين السلميين، كما يمكن

أحيانـًا أن يعـدوا بحمايـة المتظـاهرين المـارين في منـاطقهم في حـالات تعرضهم لاعتداء من مجموعات أخرىٰ.

❋ شـكرهم بعـد العمـل علـىٰ جهـودهم، فكثيـراً مـا يلعبـون دوراً في حمايـة المتظـاهرين الفـارين مـن بطـش الـشرطة أو المرتزقـة، فيرشـدونهم إلـىٰ الطرق الأفضل للعودة والإفلات من الكمائن المنصوبة في الطرق.

❋ ❋ ❋ ❋

الخلاصات

* عـادة مـا يُعبـأ الجنـود والـضباط في معـسكرات القمـع ذهنيـًا علـىٰ أن مـن أمامهم عدواً يريد أن يفتك بهم، أو أنه عدو للوطن يريد تخريبه، وعادة ما تبني المؤسسات الأمنية بينها وبين المجتمع سوراً عاليًا، فهي لا تختلف كثيراً عن الجماعات الراديكالية أحادية النظرة، والتي غالبـًا مـا يـصعب تغيير أفكارها بالإقناع، وإنما بالصدمات العملية للقناعات.
* إن تغير موقف «**رجل القمع**» فلا معنىٰ لوجود ترسانة الأسلحة.
* لا تتعجل تغيير رجل القمع لموقفه، فأحداث قمع غير مبررة قد تغير المشهد برمته.
* لا تنتظر بالضرورة تغييرات حادة في المواقف فهناك ممارسات أخرىٰ منحازة للتغيير مثل تسريب المعلومات.
* انضمام رجل واحد فقط من قوىٰ القمع إلىٰ معسكر المقاومة، يعني أن هناك مائة ربما يمارسون الأشكال الأخرىٰ من الدعم غير المباشر.
* بقاء رجل واحد فقط موالٍ للمقاومة في معسكر القمع، مع العمل علىٰ إيصال المعلومات للمقاومة أو تعطيل قوىٰ القمع، أفضل من فرار عشرة رجال إلىٰ معسكر المقاومة.
* لا تتوقع أن معسكر الخصم متماسك لمجرد أنك لم تلحظ حالة تمرد ميدانية واحدة، أنت لا تعرف عدد من تم سجنهم أو ربما قتلهم في معسكراتهم لاحقًا.
* استراتيجية «**معسكر المجتمع**» تعني شن حملة توعية مكثفة علىٰ الضباط

والجنود المتواجدين فعلياً وسط المجتمع.

* تحول المتمردين من معسكر القمع إلىٰ الكفاح المسلح قد يمثل كارثة علىٰ مسار التغيير. يكفي فقط أن تصل الرسالة إلىٰ القيادة المستبدة، أن معسكره قد يتفتت إن استمرت نفس الممارسات.

* إذا لم يتمكن المقاومون من كسب مصادر القوة العسكرية والأمنية أو تحييدها فقد يتم إجهاض المشروع التغييري برمته أو يتهاوىٰ اللاعنف ويتحول المقاومون إلىٰ المسار العنيف.

* من المهم أن يدرك المقاومون العوامل التي تحدد إمكانية حدوث انشقاقات داخل الجيش، وفي حالة حدوثها فما هو مدىٰ تأثيرها.

* المرتزقة من خارج البلاد يعاملون معاملة قوات الاحتلال ويتم طردهم بالوسائل التي يقرها القانون الدولي لمقاومة الاحتلال.

* يجب التمييز بين البلطجية المرتزقة والأهالي.

* استراتيجية التعامل مع المرتزقة المحليين تتنوع ما بين الصبر الجميل، وتجفيف المنابع، والحشود الضخمة، والتجنب، والتصدي، والإمساك، والتهديد، والمصالحة والتحييد، والكسب إلىٰ الصفوف.

* استراتيجية التعامل مع الأهالي غير المسلحين تدمج بين امتصاص الغضب والتحاور معهم.

* استراتيجيات التعامل مع الأهالي المسلحين تسعىٰ إلىٰ وضع اعتبارات لهم ومحاولة كسبهم سواء بالتحييد أو الحماية.

* * * *



الفصل الثاني

أدوات القمـــع

بعد أن تناولنا كيفية التعامل مع قوات القمع، نتناول كيفية التعامل مع أدوات القمع، من عصي إلىٰ قنابل غاز إلىٰ رصاص،.. الخ. ويراعىٰ قبل التعامل مع أي أداة مراعاة الدراسة الجيدة للأداة، وطريقة استخدامها. ورغم وجود دليل عالمي لقوات مكافحة الشغب (**مرفق أجزاء منه في الملحق آخر الكتاب**)، إلا أنه لا يغني عن الدراسة المحلية لطبيعة وطريقة استخدام أدوات القمع حيث تختلف من دولة لأخرىٰ بحسب طبيعة الديكتاتورية.

دراسة أدوات القمع

ويتم دراسة أدوات القمع من حيث:

* **التكوين الفيزيائي**: المكونات، بلد الصنع، الجزء الضار، أهم جزء (**أحيانـًا لا يكون أهم جزء هو الضار، فمدفع الدبابة هو الذي يلحق الأذىٰ، لكن ماذا لو لم تتمكن من السير؟!!**).
* **طريقة العمل**: وتشمل نقاط قوة الأداة وضعفها (**قد تكون من نقاط قوتها أنها قاتلة، ومن نقاط ضعفها أنها تؤلب الرأي العام**)، كذلك يدخل في طريقة العمل البحث في مدىٰ اعتمادها علىٰ أدوات أخرىٰ معها، فهي لا تعمل بمفردها بكفاءة.
* **أثر الأداة**: الأثر المادي، ويشمل طبيعة التأثير (**قتل – إصابة – اختناق – الخ**)، ومرمىٰ التأثير (**علىٰ بعد كم متر تحدث الأضرار**)، وعدد المتضررين من التأثير (**الرصاص الحي يصيب شخص واحد، بينما قنبلة الغاز قد تؤثر في عدة أفراد**)، كما يدرس الأثر المعنوي مثل الترويع.
* **طبيعة استخدام النظام**: وتشمل هدف النظام من استخدامها. (**تعطيل – قتل – تخويف – الخ**)، مدىٰ جرأته علىٰ استخدامها، ومعدل الاستخدام (**متكرر أم في أضيق الحدود**)، وحالات الاستخدام (**معتدي أم معتدىٰ**

عليه)، ومؤشرات جدية النظام في استخدامها: قد تكون توافر مدرعات معينة في المكان، أو لبس أقنعة غاز، أو وجود مرتزقة في المكان .. الخ. من الذي يستخدمها **(قوات نظامية أم مرتزقة)**. وتكتيك الاستخدام **(مثل الإعلان التحضيري القبلي عن استخدامها، وتكتيك الاستخدام، وكم الأذىٰ المراد إلحاقه بالمتظاهرين، وضرورة اعتلاء مباني)**.

* **التعامل المضاد:** كيفية إبطال مفعول عملها **(مثل حرق الإطارات في حالات قنابل الغاز)**، أو تعطيلها تماماً مثل إيقاف مدرعة. وتحديد الاستراتيجية الأفضل في التعامل مع هذه الأداة. **(التجنب – صناعة دروع – الخ)**. وتحديد المواد والأدوات المضادة لهذه الأداة **(مثال: الخل مقابل الغاز، ومادة الكفلر Kevlar Thread مقابل الرصاص)**.

* **خبرات المقاومة:** تسجيل الخبرات السابقة في التعامل مع الأداة، سواء عالمياً أو محلياً، وتحديد الأسئلة والتحديات التي لم تتوفر لها إجابة بعد.

ومن المهم أن تعكف مجموعة في كل حركة علىٰ دراسات التأمين، ليتركز دورها في الاحتجاجات في مراقبة سلوك قوىٰ القمع، وتوفير الأجوبة علىٰ أهم الأسئلة التي تساعد في فهم طبيعة عمل كل أداة من أدوات القمع، وأهم الأفكار للتعامل معها. وتصنيع أدوات الحماية واختبارها، بالإضافة إلىٰ الرجوع إلىٰ المصادر العلمية بهذا الشأن.

* * * *

جدول دراسة أدوات القمع

<table dir="rtl">
<tr><td colspan="4">اسم الأداة:..</td></tr>
<tr><td rowspan="4">الطبيعة الفيزيائية</td><td colspan="2">المكونات</td><td></td></tr>
<tr><td colspan="2">الجزء الضار</td><td></td></tr>
<tr><td colspan="2">الجزء المهم</td><td></td></tr>
<tr><td colspan="2">بلد الصنع</td><td></td></tr>
<tr><td rowspan="3">طريقة العمل</td><td colspan="2">نقاط القوة</td><td></td></tr>
<tr><td colspan="2">نقاط الضعف</td><td></td></tr>
<tr><td colspan="2">اعتمادها على أدوات أخرى</td><td></td></tr>
<tr><td rowspan="4">الأثر</td><td rowspan="3">الأثر المادي</td><td>مرمى التأثير</td><td></td></tr>
<tr><td>عدد المتضررين</td><td></td></tr>
<tr><td>طبيعة التأثير</td><td></td></tr>
<tr><td colspan="2">الأثر المعنوي</td><td></td></tr>
<tr><td>استخدام النظام</td><td colspan="2">هدف الاستخدام</td><td></td></tr>
</table>

	حالات الاستخدام	
	من المستخدم	
	مدى الجرأة	
	معدل الاستخدام	
	مؤشرات الجدية	
	تكتيك الاستخدام	
التعامل المضاد	إبطال المفعول	
	التعطيل	
	مواد مضادة	
	استراتيجيات وتكتيكات مضادة	
خبرات المقاومة	رصيد خبرات سابقة	
	أسئلة لم يتم الإجابة عنها	

جدول 1 : **دراسة أدوات القمع**

أفكار أولية للتعامل مع أدوات القمع المتنوعة

أبدع المقامون حول العالم وسائل متنوعة للتعامل مع أدوات القمع، نستعرض بعضها علىٰ سبيل المثال:

الـــزي

إن الزي الذي يرتديه رجل القمع يلعب دوراً مهمــاً في صناعة الصورة الذهنية لدىٰ المحتجين، وهو من أهم أدوات حمايته، فهو الذي يحجب الشخصية الحقيقية. ليرىٰ المحتج أمامه قطعــاً بشرية متراصة كالأحجار، لا يستطيع أن يميز بينها، فيستحيل لديه الأمل في التأثير فيها. لذلك يشعر المحتجون – خاصة الذين يشاركون لأول مرة – ببعض الراحة إن رأوا الجندي أو الضابط يخلع خوذته، أو يمسك منديلاً ليجفف عرقه، أو يكلمهم.. فقد انتبهوا للتو أن أمامهم إنسانـاً.

إن أهمية الزي تكمن في أنه أول شيء يراه المحتج أمامه، هو العنوان الأساسي لمعسكر القمع. وهو في حد ذاته يساهم بشكل كبير في الحالة النفسية للمحتجين، خاصة الجدد منهم.

لذلك كان تقديم الورود والحلوىٰ والمياه.. الخ إلىٰ الجنود والضباط، ليس فقط من أجل طمأنة «**رجل القمع**»، وإعلان سلمية الاحتجاج، ولكنه يفيد كذلك المحتج نفسه، وهو يراقب ردود الفعل سواء بالقبول أو الرفض. ليرىٰ السلوك البشري لرجل القمع، ويتأكد أنه يواجه شخصــاً من جنسه، فهو لا يواجه آلة أو كائن أسطوري خرافي.

وحتىٰ لو لم يتمكن كل محتج من فعل ذلك، فإنه يراقب مثل هذا السلوك من المحتجين القريبين من قوىٰ القمع، ويتأثر به ويعتبره في حد ذاته حدثـاً

مهمـًا، ربما يحكي لزملائه عنه، ويعطيه أولوية في رواية ما شاهده في يومه.

لذلك تفيد مثل هذه الأنشطة التي تعتمد إجراء حوار مع «**رجل القمع**» في ضبط الحالة النفسية للمحتج، وتصحيح الصورة الذهنية، وكسر الحاجز النفسي الذي يصنعه الزي.



صورة 1 : **الزي العسكري يلعب دوراً في التأثير النفسي علىٰ المحتجين.**

كذلك يقوم المحتجون بأنشطة تدلل علىٰ أنهم لا يكترثون كثيراً بهذا الزي، متعمدين إيصال رسالة اللامبالاة به، بل وأحيانـًا جعله موضع سخرية، **ومن أمثلة ذلك:**

* خروج المحتجين في مواجهة الشرطة وهم يمسكون بألعاب مثل عوامات البحر والبالونات، ويستخدمونها كدروع، وهم يعلمون أنها لن تحميهم من الضرب، لكنها أمام الإعلام ستظهر سخافة ما تقوم به قوىٰ القمع.

* حمل أقلام ضخمة دلالة علىٰ أن المقاومة تواجه السلاح بالعلم والعقل.

* تقبيل الدروع التي تحملها قوىٰ القمع.
* الكتابة علىٰ الدروع .
* القيام بمسح الدروع وتنظيفها.
* حمل مرايا كبيرة علىٰ بعد ثلاثة أمتار مثلاً لترىٰ قوات القمع نفسها.
* تقليد وقفات قوات الأمن وحركاتهم بشكل ساخر.
* اللعب بفقاعات الصابون التي تطير في الهواء أمام الصف الأول لقوات القمع.
* إخراج الجنود من هيئتهم الآلية بوضع أشياء أمامهم قد تربكهم، أو تلفت انتباههم، مثل وضع ديك علىٰ الأرض أمامهم، أو مجموعة من الدجاج أو الكتاكيت أو البط أو الأرانب، ويتم تصوير ردود أفعال قوىٰ القمع، ونظراتهم، وحركاتهم، وكيف سيتعاملون معها. كما يتم تتبع حركة هذه الحيوانات بالكاميرا في حالة القمع، ماذا ستفعل، وماذا ستفعل قوىٰ القمع معها؟!
* إلقاء البيض أو ألوان الطلاء علىٰ الزي، وهي وسيلة مستفزة يلجأ إليها البعض كرد فعل في الحالات التي تستخدم فيها قوات القمع العنف، وتعتمد المقاومة استراتيجية المقاومة والثبات والإنهاك أطول فترة ممكنة. وبدلاً من الرد بالحجارة تلجأ لمثل هذه الوسائل، التي يظل أثرها مع رجل القمع مدة طويلة، وأحيانـاً تكون فلسفة الاستفزاز هي إخراج رجل القمع من خلف زيه، ليبدو كطفل غاضب أحياناً. وفي كل الأحوال لا يستخدم هذا التكتيك إلا كرد فعل، لينفس المحتجون عن غضبهم إزاء الهجمات العنيفة.
* مواجهة الزي بزي مضاد. فبدلاً من أن ينشغل المحتجون الجدد بالنظر

إلىٰ زي قوات القمع، ينشغلون بالنظر إلىٰ الأزياء الغريبة للمشاركين معهم في الصفوف الأولىٰ، كما يقل توتر أصحاب الزي من قوات القمع، لأنهم مشغولون بردود الأفعال علىٰ ملابسهم أكثر من انشغالهم بالنظر لقوات القمع. كذلك تتغير المعادلة من زاوية قوات القمع، حيث تتابع باندهاش أزياء المحتجين، بعدما كانوا هم من يتهيبون زي قوات القمع. وبذلك تفوز المقاومة في معركة الزي، أو بالأحرىٰ معركة خطف الأنظار.



صورة 2: **نشطاء حركة جرين بيس في طوكيو يرتدون زي العيون العملاقة، كدلالة علىٰ الرقابة، ويرفعون لافتون أمام خارج مقر وزارة الاقتصاد والتجارة والصناعة، رافعين لافتات "هل نسيتم أن الشعب يراقبكم؟!"**



صورة 3: مجموعة من الطلبة في كولومبيا يلقون مواد الطلاء على الشرطة احتجاجًا على ارتفاع رسوم الجامعة.



صورة 4: محتجون يواجهون الشرطة بدروع من العوامات في مشهد يؤكد سلميتهم ويظهر سخافة الشرطة وحماسها غير المبرر للقمع.



صورة 5: **فتاة من جيش المهرجين تقف خلف الشرطي وتقلد وقفته.**



صورة 6: **واحدة من المحتجين تقبل درع رجل الشرطة.**



صورة 7: **عضو في جيش المهرجين تنظف خوذة الشرطي.**



صورة 8: **محتجون يحملون أقلامًا ضخمة، يمكن أن تستثمر في إيصال رسالة أن المقاومة تواجه جهل القمع بالعلم.**

ويراعىٰ انتقاء المناسب من الوسائل بحسب الحالة، وتُختار المجموعة الأنسب من الأفراد للقيام بهذا العمل. مع مراعاة الموازنة بين كسر الصورة الذهنية لدىٰ المحتجين وعدم استفزاز قوات القمع، فبعض الوسائل التي ذكرناها إن لم تتم بشكل صحيح تتحول إلىٰ وسائل استفزازية. وقد تتطلب في بعض الأوقات استئذاناً مباشراً من «**رجل القمع**» مثل الكتابة علىٰ درعه. فكل هذه الممارسات في النهاية فرصة لإجراء حوار مع رجل القمع، ونحت الزي الأسود لتظهر من خلاله شخصيته الحقيقية، تماماً مثلما يخرج النحات إنساناً من الحجر.



العصي

- حقائب الظهر.
- الدروع الخفيفة (**سواء كان تصنيعها منزليًا[1] أو شراؤها من محلات بيع الأدوات الرياضية والمنزلية).**



صورة 9: **درع خفيف وحقيبة ظهر لتلقي الضربات.**



صورة 10: **دروع فردية في مواجهة الهراوات وعليها صور أشخاص.**

---

1 للمزيد من التفاصيل حول تصنيع الدروع يمكن الرجوع لكتاب "الدروع الواقية من الخوف"، من إصدار أكاديمية التغيير.



صورة 11 : **محتجون يحملون دروعـًا علىٰ هيئة كتب، ويكتب كل محتج اسم الكتاب الذي يواجه به القمع.**



صورة 12 : **أحد المحتجين يصد بدرعه ضربة هراوة رجل الشرطة.**



صورة 13: **درع رياضي يمسكه المدرب في رياضات الدفاع عن النفس، ويسدد المتدرب ركلاته نحوه.**

❊ ❊ ❊ ❊

مضخات المياه

- سد المضخة.
- دروع جماعية.



صورة 14: **دروع جماعية للوقاية من المياه.**

في حالة استخدام قوىٰ القمع لمياه من الصرف الصحي يمكن صناعة الدروع مع لصق صورة المسؤول الذي يتم التظاهر ضده عليها، بحيث تغطيه مياه الصرف الصحي. هذا المشهد سيحول المقاومين من مفعول به تلطخه المياه القذرة، إلىٰ فاعل يلطخ خصمه، ويورط قوىٰ القمع في هذا المشهد المهين لزعيمهم.

قنابل الغاز

❊ إشعال النار في الإطارات لإنطلاق الدخان في الهواء[1].

❊ إطفاء القنبلة في براميل الرمل ولفها في «**بطانية**».

❊ إمساك القنبلة ورميها في مكان بعيد أو نحو قوات القمع.

❊ ارتداء أقنعة غاز ونظارات.

1 لا يفضل استخدام هذا التكتيك إلا في حالات ثورية حاسمة إن لزم الأمر، فهو يوحي وكأن هناك أعمال شغب، مما ينفر البعض من المشاركة، ممن لا يعرفون فائدة هذا التكتيك، كما أنه يزيد توتر المشاركين، وقد يعرقل عملية التصوير.

❋ وضع كمامات.

❋ استخدام محاليل مثل الخل والمشروبات الغازية.

❋ استخدام مساحيق وملطفات تباع في الصيدليات.[1]

الرصاص غير القاتل (البلي)

❋ نظارات بحر للوجه، يمكن تغطيتها بطبقة من المعدن الشبكي.

❋ مصدات في المناطق الحساسة من الجسم مثل الكوع وأطراف الأصابع وقصبة القدم.. الخ.

❋ دروع بلاستيكية أو من مادة معدنية، أو أي مادة أخرىٰ تخفف من الصدمات، خاصةً تلك الناتجة عن المقذوفات من علىٰ مسافات بعيدة.

❋ دروع جماعية من الألواح المعدنية المستخدمة في صناعة أبواب المحلات، أو من ألواح خشبية أو بلاستيكية.

❋ عربات القمامة.

❋ دروع رياضية مثل التي تستخدم في ألعاب الدفاع عن النفس.



صورة 15 : **محتجون يحمون أذرعهم وصدورهم، ويمكن أن تغطىٰ هذه الأدوات بأشكال أكثر جمالية.**

---

1 انظر التفاصيل حول التعامل مع قنابل الغاز في الملحق.



صورة 16 : دروع من ألواح أبواب المحلات المعدنية وبعض الأخشاب.



صورة 17 : دروع جماعية من ألواح أبواب المحلات المعدنية.



صورة 18: **دروع فردية تعكس رسالة المحتجين.**



صورة 19: **درع يباع في ألعاب المحلات الرياضية الخاصة بألعاب الدفاع** عن النفس.





صورة 20: **درع رياضي كبير يصلح استخدامه علىٰ المسافات القريبة، وهو درع يبلغ طوله 120سم، وعرضه 100سم، وسمكه 12سم.**

❊ ❊ ❊ ❊

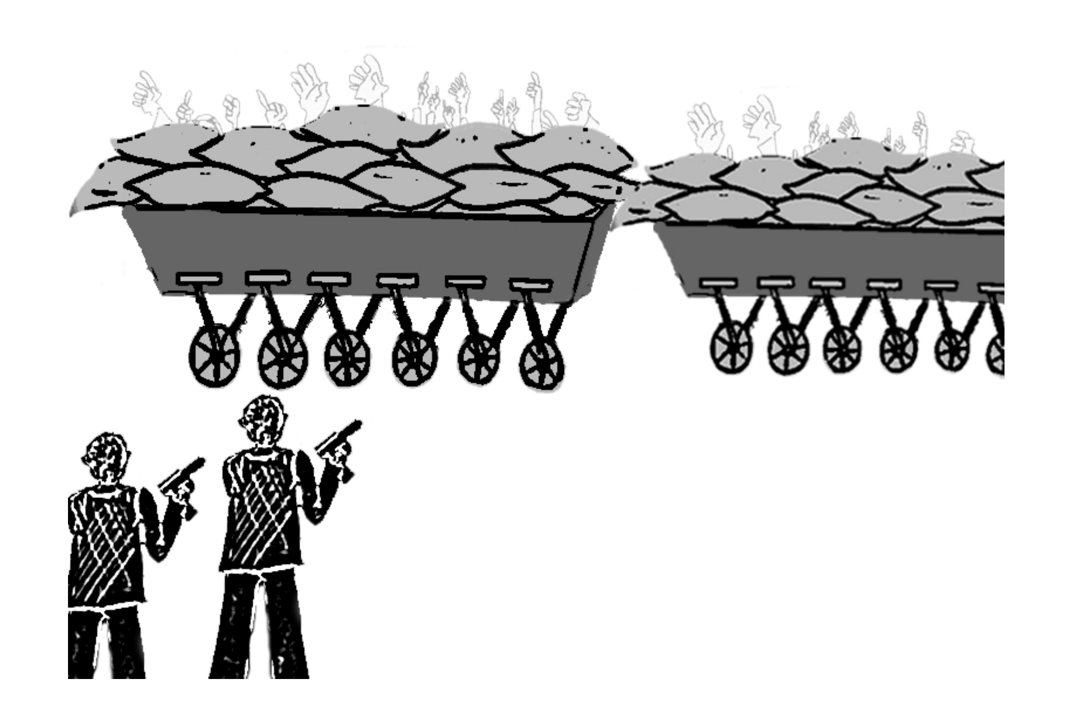
الرصاص الحي

- المصورون يرتدون دروعـًا واقية من الرصاص.
- دروع معدنية سميكة.
- الاختباء خلف المباني والسيارات.
- متاريس خرسانية ثابتة ومتحركة علىٰ عجلات.
- متاريس شكارات رملية ثابتة ومتحركة علىٰ عجلات.
- «**سحابة الردع**»، وتتكون من مظلات خرسانية تُجر علىٰ عجلات أو مظلات شكائر الرمل لحماية رءوس المحتجين.[1]



صورة 21: **علىٰ اليمين متاريس من شكارات الرمل الثابتة، وعلىٰ اليسار متاريس خرسانية ثابتة.**

1 انظر سحابة الردع في فصل تكنولوجيا مقاومة العنف.



صورة 22: **متاريس متحركة للتعامل مع الرصاص الحي.**

المدرعات

❋ الرش باللون الأسود علىٰ النافذة الأمامية.

❋ رش زيت السيارات المستعمل علىٰ الأرض لتعطيل المدرعات.

❋ تعطيلها بمتاريس.

❋ وضع مسامير علىٰ الأرض.

❋ سد الطريق بتلال رملية.

إرشادات عامة لاستخدام أدوات الحماية

❋ اختيار طريقة الحماية مرتبط ارتباطاً كلياً بالاستراتيجية، فربما تكون الاستراتيجية هي تحمل الضربات بصدور عارية وافتراش الأرض أمام المدرعات بدلاً من رش الزيت علىٰ الأرض، أو قد تكون الاستراتيجية

هي تجنب الاشتباك تماماً وتفويت الفرصة علىٰ الخصم. وتذكر أن أفضل طريقة لصد الهجوم، ألا يهاجمك خصومك من الأساس.[1]

كلما طورت من أدوات الحماية طور خصمك أيضاً من أدواته، وهكذا تطورت تكنولوجيا الحروب، فمع كل ابتكار لدرع جديد، تبتكر قذيفة مضادة له.

* لا قيمة لوسائل الحماية إن كانت ستقود للحفاظ علىٰ الأرواح في مقابل نفور الناس، فكما أن أنشطة المقاومة اللاعنيفة تُختار بعناية بشكل ينسجم مع الناس، فإن وسائل الحماية بدورها يجب أن تكون في إطار مقبول بشكل عام، وإلا فما قيمة أن تحصن نفسك بدرع، ثم تلقي سلاحك.. وسلاحك هنا هو عموم الناس. أحياناً يكون درع الحماية للمقاومة أن يراها المجتمع حيث يريد.. فارس أعزل يتحدىٰ الدبابة.
* يجب التمييز بين الحماية والرد، فهدف الحماية هو تحصين الأرواح والعقول، فكما يصيب القمع جسدك، فإنه يسعىٰ إلىٰ إفقادك اتزانك في التفكير، فإن ترنح جسدك أمام الضربات فثابر من أجل أن يظل عقلك متماسكاً. إن أدوات الحماية تساعد في الاحتفاظ بعقلك وقدرتك علىٰ التدبير أطول فترة ممكنة.
* يجب التمييز بين الاحتجاجات التي تهدف إلىٰ مجرد التعبير عن الرأي والمقاومة الثورية التي دخلت مع النظام في صراع صفري. فالأولىٰ قد لا تتطلب جهوداً كبيرة في الحماية، ومبالغة المقاومين والثائرين في إجراءات الحماية قد يُساءُ فهمها من قبل قوات القمع وعموم الجماهير. فعلىٰ سبيل المثال رش زيت السيارات المستعمل أمام المدرعات في أجواء

---

1 روبرت غرين، 33 استراتيجية للحرب، مكتبة العبيكان وكلمة، ط1، 2009، ص9

احتجاجية عادية قد يمثل ثغرة يستغلها النظام، خاصة إن أشعل هو النيران في الزيت ليدعي إجرام المحتجين، بينما في الحالات الثورية يكون الرأي العام مهيأ، ولن تجدي كثيراً الدعاية المضادة.

كلما تمكن المحتجون من تقديم وسائل الحماية في أشكال مبهرة كان ذلك أقرب لرسالتهم الحضارية، مثل كتابة كلمات أو رسم جرافيتي معبر علىٰ الدروع، أو صناعة الدروع علىٰ هيئات فنية تلفت انتباه الناس.



صورة 23: **مجموعة من المحتجين ضد الدرع الصاروخي لحلف شمال الأطلنطي، وخلف هذه الهيئة يمكن أن توضع الدروع المختلفة سواء علىٰ العين أو الصدر لحماية المحتج.**

❊ ❊ ❊ ❊

الخلاصات

❋ قبل التعامل مع أي أداة من أدوات القمع يجب مراعاة الدراسة الجيدة لها، وطريقة استخدامها.

❋ المقاومة المحترفة تعد سجلاً لكل أداة وتسجل أهم محاولاتها في تطوير وسائل التعامل معها.

❋ يتم دراسة التكوين الفيزيائي للأداة، وكيفية عملها، وحدود تأثيرها، وكيفية استخدام النظام لها، وكيفية التعامل المضاد معها، وخبرات المقاومة العالمية والمحلية بها.

❋ ❋ ❋ ❋

الباب الثالث

قواعد استراتيجية عامة



هناك بعض القواعد الاستراتيجية التي ينبغي وضعها في الاعتبار عند التفكير في كيفية التعامل مع القمع:

1. حدد منهجية التعامل مع القمع في ضوء رؤية كلية للصراع.
2. حدد الهدف الفعلي من القمع وخطط لإفشاله.
3. ادرس الأرض جيداً.
4. لا تضع النواة الأساسية في معركة مباشرة مع الخصم.
5. احمِ نفسك وترقب خطأ خصمك.
6. اختبر خطط خصمك واختبر قدراتك علىٰ الدفاع والمناورة.
7. أفقد الخصم قدرته علىٰ التخطيط.
8. ارفع تكلفة القمع علىٰ الخصم.
9. لا تواجه الخصم حيث تتركز قوته.
10. غَيِّرْ قواعد اللعبة.
11. استثمر القمع في إجراء حوار واعتبره امتداداً للنشاط.
12. قاوم الخوف واليأس.
13. تمسك بالمسار وتسلح بالانضباط، ولا تحركك غريزة الانتقام.
14. بعد الضربات القوية اهتم برفع المعنويات.
15. اصنع المعضلة للخصم.
16. احذر عند استخدام استراتيجية التدخل الخشن.
17. تأكيد السلمية من اليوم الأول يقطع الطريق علىٰ تهمة «**الإرهاب**».
18. اجعل التخلص منك ليس في صالح خصمك.
19. قدرة المقاومة علىٰ مواجهة القمع مرهونة بقوة بنيتها التحتية.

القاعدة الأولى

حدد منهجية التعامل مع القمع في ضوء رؤية كلية للصراع



يجب أن تكون منهجية التعامل مع القمع في إطار رؤية كلية للصراع، وأن تنطلق من تفكير كلي لما تريد أن تصل إليه المقاومة، بعيداً عن مأزق التفكير الجزئي الذي يتناول القمع كحادثة، ويفكر في كيفية التعامل معها.

حين يسأل أحد المقاومين بحماس، إننا نُضرب.. ماذا نفعل؟! في هذه الحالة فمن الأفضل ألا نقفز مباشرةً إلىٰ إجابة مريحة علىٰ غرار.. «**حسنًا.. اضرب من يضربك.**»

إن مشروع التغيير أشبه بثوب، مصنوع من خيط واحد، وفلسفة المقاومة وأخلاقياتها أشبه بهذا الخيط، الذي يتسرب في كل جزئية من ثوب المقاومة، فيغزل الاستراتيجية وينسج التكتيك.

وتشمل الفلسفة أهداف المقاومة وشكل المجتمع الجديد الذي تريد، والسمات الأخلاقية لهذا المجتمع، ودور السلاح فيه، ومدىٰ تماسك مكونات المجتمع المختلفة. هي باختصار تشمل الرسالة التي ينطلق منها ولها مشروع التغيير. وينبغي لهذا المستوىٰ أن يهيمن علىٰ المستويين اللاحقين (**الاستراتيجية والتكتيك**)، بحيث يكونان تجسيداً عمليًا له، ولا يُسمح لهذين المستويين أن يتمردا عليه، فينطلقان من قيم مخالفة لقيم الفلسفة. فعلي سبيل المثال إن كان من أهداف مشروع التغيير تأسيس مجتمع حر، ينبغي للاستراتيجية أن تدعم حرية العمل، وتلجأ إلىٰ أسلوب مجموعات العمل المبادِرة، بينما إن أُديرت المجموعات بشكل ديكتاتوري، فهذا يعني الانقلاب علىٰ قيم الفلسفة، وهو ما سيؤثر بدرجة كبيرة علىٰ طبيعة المنتج النهائي لمشروع التغيير. ونضرب مثالاً آخراً بالحراك التغييري الحالم بتمدين الصراع السياسي، الذي يعلو فيه الحديث عن المجتمع الذي لا ينتصر فيه من يمتلك القوة العسكرية، حينها ينبغي أن تخدم الاستراتيجيات والتكتيكات هذا

الغرض، فيعتمد المحتجون علىٰ قوتهم اللاعنيفة. وهم حين يثابرون في سبيل التمسك بذلك، إنما ينزعون فعلياً قوة السلاح من المجتمع، ويؤسسون لمرحلة جديدة في إدارة الصراع السياسي.

لذلك تقل الرغبة الانفعالية في التعامل مع القمع، كلما كانت الرؤية الكلية واضحة، وعرف المقاومون ماذا يريدون تحديداً، وانتبهوا إلىٰ أن ما يريدونه ينبغي الوصول إليه بطريقة تنسجم تماماً مع الهدف. فلا يمكن أن تدعو لدولة الصدق واستراتيجياتك وتكتيكاتك تمارس الكذب ونقض العهود، ولا يمكن أن تدعو لدولة تسع الجميع وهتافاتك تملؤها الطائفية أو العنصرية.

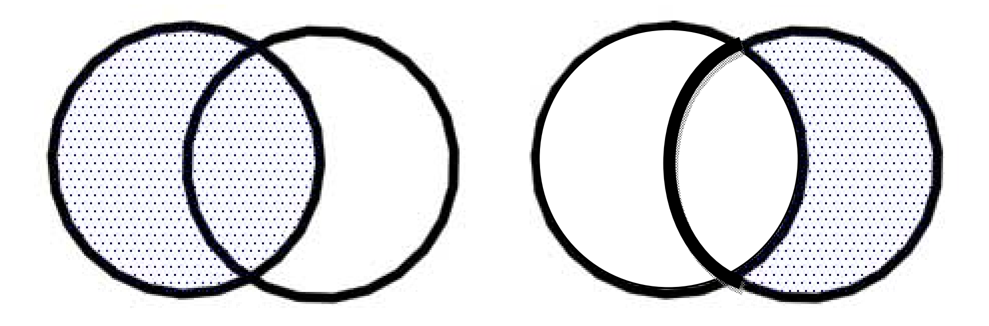
وكلما كان المقاومون علىٰ علم بما يريدونه؛ تمكنوا من رؤية القمع في مكانه الصحيح، كجزء من لوحة التغيير. فاللون الأسود لن يستبعد من اللوحة، وهنا ينبغي للمقاومين وللحركات التغييرية أن تسأل نفسها، هل علينا أن نمزق اللوحة أو نستأصل ونقتطع منها هذه المنطقة المرسوم فيها جندي القمع، أم أنه يمكننا استثمار هذا المكون وتحويله إلىٰ قيمة تضفي بهاءً علىٰ اللوحة؟ حينها لن يكون السؤال كيف نتعامل مع القمع لنتجنب البطش؟ بل كيف نتعامل مع القمع ليكون خادماً للرؤية الكلية للمشروع.

إن أهمية التفكير في كيفية التعامل مع القمع تكمن في كونه يعتبر نقطة التماس بين مشروعين. مشروع الحرية في مواجهة مشروع الاستبداد. فهو ليس مجرد مشهد اشتباك عابر بين فريقين، ولكنه المشهد الأكثر وضوحاً في التعبير عن لقاء رؤيتين في ساحة واحدة، رؤية الأمس مقابل رؤية المستقبل، والتحضر مقابل التخلف، والحلم مقابل الكابوس. لذا ينبغي أن يطغىٰ مشروع الحرية برؤيته المستقبلية والمتحضرة والحالمة، وبأفكاره واستراتيجياته وتكتيكاته

ووسائله وإبداعاته، علىٰ مشروع الاستبداد برؤيته القديمة المتخلفة، وبأفكاره واستراتيجياته وتكتيكاته ووسائله.

فكيف ستعرض المقاومة مشروعها في أبهىٰ صورة ليتضح للجميع الفارق الكبير؟! هل ستخضع للقمع باستخدام نفس آلياته ومنطق عمله، أم ستعلن التحدي بمنطقها الفريد وآلياتها المذهلة؟!

إن كل خطوة في مشروع التغيير تتصل بالمستقبل اتصالاً وثيقًا، فالاستراتيجيات والوسائل إما أن تكون كالطرق والجسور التي تمهد السبيل للمجتمع، أو كالأخاديد والحفر التي يتعثر فيها. وكل خيار لمشروع التغيير اليوم سيشكل غداً جزءاً من ذاكرة المجتمع، إما أن يساعده علىٰ التسامح والتلاحم، أو التباغض والتلاعن. لذلك كان مشهد القمع يخص المستقبل أكثر من الحاضر. هو الابتلاء الحقيقي لمشروع التغيير وأهدافه، وشكل المجتمع الذي يريد.



شكل 7: مشروع الاستبداد (الدائرة الرمادية) يشتبك مع مشروع الحرية المستقبلي (الدائرة البيضاء). والمساحة المشتركة بين الدائرتين تمثل القمع. فهل يستطيع مشروع الحرية أن يفرض أفكاره وأساليبه علىٰ مساحة القمع كما هي الحالة في الصورة اليمنىٰ، أم أنه سيستسلم لأفكار وأساليب مشروع الاستبداد ويقلده في أفكاره وطرائق عمله كما هي الحالة في الصورة اليسرىٰ؟



القاعدة الثانية

حدد الهدف الفعلي من القمع وخطط لإفشاله

من أوائل الأسئلة التي يطرحها المقاومون في مواجهة الديكتاتوريات.. كيف يمكن تفادي الضربات الأمنية، أو صدها، أو الرد بشكل يردع المعتدين؟!

لكن الأهم من التفكير في تكتيكات الردع والمقاومة هو التفكير في إجابة سؤال ما هو هدف القمع؟ ومتىٰ يحقق أهدافه؟ فقد يكون وراء القمع أهداف أخرىٰ غير إصابة المتظاهرين بأذىٰ أو منعهم من الوصول إلىٰ مكان محدد، مثل جر مجتمع المقاومة للعنف. بحيث تكتسب السلطة الحق القانوني والأخلاقي أمام الناس في الرد بما يتناسب مع هذا العنف. حينها لا يكفي أن نفكر في كيفية إجهاض مفعول أداة القمع، بل في كيفية إجهاض الهدف من القمع، ثم تحويل الضربات القمعية إلىٰ ورقة فعالة رابحة في يد المقاومة.

إن خطوة البداية تكمن في فهم عقلية مدبر القمع، وهو ما عبر عنه روبرت غرين قائلاً: "ينبغي ألا يكون هدف استراتيجيتك مواجهة جيش ما، بقدر ما هي مواجهة العقل الذي يقف وراءه، وإذا فهمت كيف يعمل هذا العقل، تمتلك مفتاح الخداع والسيطرة. [1]

هدف القمع

وتتنوع أهداف القمع بحسب كل حالة، وهنا يأتي دور المخططين في المقاومة لمحاولة تحديد الهدف الفعلي من القمع، بحيث يمكن بعد ذلك تحديد كيفية التعامل معه بأفضل طريقة تقطع الطريق علىٰ هذا الهدف، بل وتصب في صالح المقاومة.

ومن هذه الأهداف على سبيل المثال:

التخويف: تخويف المحتجين والمجتمع من المشاركة في عملية التغيير، حتىٰ لو كانت المطالب عادلة.

---

1 روبرت غرين، 33 استراتيجية للحرب، مكتبة العبيكان وكلمة، ط1، 2009، ص10.

التأديب والانتقام: فقوىٰ القمع أحيانـًا تأخذ الأمور بمحمل شخصي، لتدخل في عملية انتقام شخصية من أشخاص بعينهم. بسبب كلمة نابية، إو إشارة بذيئة صدرت من أحد المحتجين. مما يترتب عليه توقيع عقوبة قاسية، وربما أحيانـًا بدون أوامر من قيادات القمع.

كسر المعنويات: وإشعار المقاومة وعموم الناس باستحالة التغيير.

عزل القيادات: عن طريق اعتقالها واختبار قدرة الحركات علىٰ مواصلة أنشطتها وأعمالها. وقد يكون العزل من خلال استهداف السمعة والتشكيك في الولاءات. حينها يتشكك عموم المشاركين في جدارة القيادة، بل وأحيانـًا في مشروعية هدف المقاومة.

الحصول علىٰ معلومات: حول جاهزية المقاومة للتعامل مع القمع، أو معرفة خططها من خلال اعتقال بعض المشاركين أو القيادات.

حماية مناطق ومنشآت: فقد يكون الهدف هو منع المحتجين من الوصول إلىٰ أماكن محددة بغرض حماية منشآت لها أهمية.

جر المقاومة للعنف: فعادة ما تجد أجهزة القمع صعوبة في التعامل مع الأنشطة اللاعنيفة، حيث أن معظم أسلحتها وتدريباتها وطريقة تفكيرها تقوم علىٰ التصدي لأعمال عنف. هنا تقف عاجزة أمام عمل شعبي يتنامىٰ، فتسعىٰ لتسديد ضربات عنيفة لجر المقاومة للعنف، لعزلها عن الشارع من جهة، ودفعها إلىٰ اللعب بقواعد العنف التي تتقنها الأجهزة القمعية، بل وتتفوق فيها. وفي بعض الحالات تسهل قوىٰ القمع للمقاومين الحصول علىٰ السلاح.

القتل والإبادة: بعض النظم الدموية لا تتورع عن إبادة وقتل الشعوب، كما يحدث في التصفيات العرقية. حين يصل القمع إلىٰ حد القصف بالطائرات

والمذابح الجماعية..الخ.

هدف المقاومة

«**لا تفعل أبداً ما يتمنىٰ خصمك أن تفعله**».. تلك هي حكمة نابليون القديمة، لذلك يتركز هدف المقاومة في النيل من هدف القمع. وبناء علىٰ هذا الهدف تتحدد كيفية التعامل مع القمع. فإن كان الهدف هو تخويف المحتجين يكون الرد الأساسي باستمرار الاحتجاج وإن تنوعت أشكاله، وأحياناً يساهم في كسر حاجز الخوف تقديم نماذج الاستبسال والصمود وتحدي آلة القمع بصدر عار.

وإن كان الهدف تخويف عموم الناس من المشاركة، تكون الدعوة لأنشطة لا يحدث فيها اشتباكات مثل البقاء في المنزل وعدم الذهاب للعمل، أو الامتناع عن دفع فواتير، أو عمل مسيرات في الأحياء بعيداً عن أعين الأمن.

وإن كان الهدف هو جر المقاومة للعنف، حرصت الحركة أشد الحرص علىٰ سلميتها وحصار العنف قدر المستطاع، وتجنبت أشكال وأماكن الاحتجاج التي يُتوقع فيها صدام مباشر، واستعدت لتأمين المنشآت التي قد يتم مهاجمتها من قبل المتظاهرين الغاضبين.

وإن كان الهدف حماية المنشآت، يجب التأكد من مدىٰ أهمية أو ضرورة الذهاب لتلك المنشأة أو استخدام تكتيكات تقلل التوتر كما سنذكر لاحقاً.[1]

وإن كان الهدف عزل القيادات، تعتمد الحركات أسلوب اللامركزية بحيث لا يكون مشروع التغيير مرهوناً بقيادات بعينها.

وهكذا يتم الرد علىٰ كل هدف من أهداف القمع باستراتيجية مضادة. وهو ما

1 انظر فصل "التعامل مع القمع المحدود".

يجعل التفكير في كيفية التعامل مع وسائل القمع ذاتها خاضعاً للاستراتيجية المتبعة. فهي التي تملي تجنب الرد، أو تحمل الضربات، أو تفويت الفرصة على حدوث اشتباك من خلال تكتيكات اللاتعاون بدلاً من التدخل المباشر.

هدف القمع	استراتيجية المقاومة
التخويف	• الاستمرار. • الاستبسال وإيجاد نماذج تتحدى بلا عنف. • دعوة الناس لأنشطة لا يُتوقع فيها اشتباك مثل جمع التوقيعات.
التأديب والانتقام	• تجنب تحويل الخصومة العادلة إلى خصومة شخصية مع القائمين بالقمع. • الاعتراف بالأخطاء في حالة حدوثها.
كسر المعنويات	• رفع المعنويات وإبداع استراتيجيات ووسائل جديدة. • تحقيق نجاحات جزئية تجعل الناس تؤمن بإمكانية التغيير.
عزل القيادات	• إيجاد قيادات ميدانية بديلة. • اعتماد اللامركزية.
جمع معلومات	• تأسيس حركات قائمة على العلانية. • توفير الحد المعقول من المعلومات.
حماية منشآت	تجنب المنشآت الحيوية، أو الاحتجاج بأساليب تنزع

	التوتر.. الخ
جـــر المقاومـــة للعنف	التمسك التام بالسلمية وحصار العنف.

جدول 2: **نماذج لأهداف القمع واستراتيجيات مقترحة للتعامل مع كل هدف.**

❋ ❋ ❋ ❋



القاعدة الثالثة

ادرس الأرض جيداً

إن الثبات على الأرض وقت الشدة يرجع في جزء كبير منه إلى الدراسة الجيدة للأرض، ومعرفة ما تمنحه للمقاومين وما تسلبه منهم، فليست كل أرض تعمل لصالحهم، وليست كل أرض تحتفي بخصومهم.

فوائد دراسة الأرض

1. تحديد المكان المفضل لعمل النشاط.
2. تحديد طبيعة (شكل ومدة وتفاصيل النشاط).

وندرس في الأرض التالي:

- التركيبة السكانية (الثقافية – الدينية – الاجتماعية).
- التضاريس (شوارع – منشآت).

التركيبة السكانية

فمن المهم معرفة:

* التشريح الثقافي والسياسي والديني والاجتماعي للمجموعات التي تسكن على الأرض التي سيأتيها المقاومون لعمل أي نشاط. ومدى اتفاقهم مع القضية التي يطرحها المحتجون. ومعرفة أهم الاحتياجات التي تشغل بال أهل المنطقة.
* الذاكرة التاريخية للمنطقة من حيث قبولها أو رفضها للوجود الاحتجاجي المتعلق بهذه القضية. وقد لا توجد مشكلة في المنطقة، ولكن هناك شارع محدد فيه بيت شخص لديه ثأر مع المقاومة، في هذه الحالة يجب التفكير في التعامل مع هذه الحالة وعدم تركها للمصادفة.
* درجة الحدة في التعامل من حيث العنف والاشتباك، فالمناطق الأرستقراطية تختلف عن المناطق الشعبية في ردة الفعل.

التضاريس

تضاريس طبيعية: مثل التلال والجبال والترع والأنهار.

الشوارع: طبيعة الشوارع هل هي واسعة أم ضيقة، هل تتفرع منها أزقة وحواري أم شوارع واسعة، ما هي أفضل المخارج في حالة الهروب أوالاعتداء. ويدخل في دراسة الشوارع درجة الميل، وسهولة الصعود والهبوط. وتأثير الشارع في بقية الشوارع (**شارع مركزي أم فرعي**). كما يدخل في ذلك وجود إشارات المرور الضوئية من عدمه. وحجم الكثافة المرورية فيه.

الميادين: هل يوجد ميدان وما درجة أهميته في السيولة المرورية، والشوارع المؤدية إليه.

المنشآت

الكباري: يجب الحذر في المناطق التي توجد بها كباري، فغالباً ما تسيطر عليها قوات الأمن وترمي المتظاهرين من فوقها بقنابل الغاز أو الرصاص. وبالتالي فالتواجد في منطقة بها كباري يقتضي السيطرة عليها أولاً ثم إمكانية الدفاع عنها. أو يكون النشاط لفترة محدودة. وفي ذلك حكمة صينية قديمة، «**إذا سبقك العدو لاحتلال المرتفعات، لا تتبعه، ولكن انسحب وأغره بالنزول ورائك**».[1]

المحلات التجارية: فمعرفة طبيعة المحال التجارية ونوعية الخدمات التي توفرها يفيد في الحوار مع أبناء المحلات، وربما شراء جميع المستلزمات منهم بدلاً من شرائها من منطقة أخرى، وذلك أدعى لكسبهم. وفي بعض الحالات يكون من الواجب أن تهتم مجموعة بالحوار معهم وطمأنتهم، وإعلامهم بتفاصيل مدة النشاط، والوقوف بجوارهم لحماية عقاراتهم، ثم توجيه الشكر لهم في النهاية.

المنشآت الخدمية: مثل محطات البنزين، يجب أيضاً التواصل مع القائمين

---

1 سان تسو، فن الحرب، ترجمة رؤوف شبايك، نسخة إلكترونية، ص65.

عليها، ومساعدتهم في حمايتها من أي مخربين يحاولون إشعال النيران فيها.

دور العبادة: كالمساجد والكنائس والمعابد والأديرة وغيرها تعتبر «**نطاقات سلام**» لا يصح اقتحامها بأي حال، ومن دخلها كان آمناً طالما أنه يحتمي بها ولا يستخدمها لإيذاء أحد. كما أن حمايتها من العابثين واجب علىٰ المقاومين وأهالي المنطقة، إن كان يُتوقع اعتداء عليها.

العمارات السكنية: يراعىٰ تأمين مداخلها حتىٰ لا تستخدم للتصويب علىٰ المحتجين، وكلما شارك في ذلك أهل العمارة أنفسهم أو المنطقة كان أفضل، كما يراعىٰ احترام سكانها أياً كانت آراؤهم.

منشآت عسكرية وأمنية: تُدرس جدوىٰ التواجد في محيطها، وهل قضية الاحتجاج تمس الجهات العسكرية والأمنية أم لا، فإن كانت لا تمس فلا يُتوقع خطورة من الاقتراب منها، وإن كانت تمسها وجب الحذر والتفكير في كيفية التواجد.[1] كما تراعىٰ الرسائل الموجهة لهم في حالة أنها تمسهم، بالإضافة إلىٰ مراعاة إجراءات حمايتها في جميع الحالات. والإعلان بوضوح عن عدم استهدافها، وإلقاء التحية علىٰ الجنود والضباط في الطريق، ونزع التوتر من الموقف.

منشآت أخرىٰ: سينما – مدارس – الخ . تدرس كل منشأة علىٰ حدة وتحدد أفضل طريقة للتعامل معها.

كيفية التفكير في التعامل مع المنشآت

الاستثمار: يتم رسم خارطة بكافة المنشآت وتحديد أفضل صيغة لاستثمار المنشأة في إيصال رسالة المقاومة، ومن ثم يساعد المكان في إضفاء لمسة خاصة بالنشاط، فلا تتساوىٰ الأنشطة في جميع المناطق. المنطقة التي بها مدرسة يمكن الوقوف أمامها ورفع لافتة «**مدرسة التغيير**»، وتقال من أمامها

---

1 انظر "استراتيجية الاقتراب الحذر" في فصل "التعامل مع القمع المحدود.

كلمة عن التغيير وهدفه وقيمة العمل السلمي، وإرشادات التظاهر، كما يمكن استثمار السور في رسوم الجرافيتي.. وهكذا ينظر لكل مكون من مكونات الشارع باعتباره قيمة مضافة للوحة النشاط يمكن استثمارها.

التجنب: بعض المنشآت قد يكون الأفضل تجنبها واعتبارها نقطة ضعف في اللوحة، وقد تهدد النشاط برمته، وقد يترتب بسببها استبعاد المكان، فلا تعقد فيه الأنشطة.

السكان		
البند	**التفصيل**	
الحالة الاقتصادية		
التشريح السياسي		
التشريح الديني		
الموقف الفكري من القضية		
الموقف العملي من القضية		
التقدير النهائي للموقف		
الرسالة التي ستوجه لهم		
التضاريس		
التضاريس الطبيعية		
الشارع		
المنشآت		
التقدير النهائي للأرض		
الشكل النهائي للنشاط	**المدة**	

	التوقيت	
	تفاصيل الأنشطة	
	طريقة الانسحاب	

جدول 3: جدول دراسة طبيعة الأرض يسجل فيه التشريح السكاني، وفي النهاية يكتب التقدير النهائي للموقف العملي الواجب اتخاذه تجاههم، والرسالة التستوجه لهم. ثم يتم دراسة التضاريس بحسب مكوناتها، وفي النهاية يحدد التقدير النهائي للتعامل مع الأرض ومدىٰ صلاحيتها، ويكتب فيه تصنيف الأرض من حيث إمكانية الاستخدام، والشكل النهائي للنشاط الأنسب.

تصنيف الأرض

بناء علىٰ دراسة العناصر السابقة جغرافيـاً وسكانيـاً، يمكن تقسيم الأرض إلىٰ:

درجة (أ): أرض تدعم طبيعة تضاريسها[1] ومنشآتها وسكانها العمل فيها.

درجة (ب): أرض تدعم طبيعة تضاريسها ومنشآتها العمل فيها، بينما لا يدعم السكان ذلك (**وسلوكهم عدائي**).

درجة (ج): أرض تدعم طبيعة تضاريسها ومنشآتها العمل فيها، بينما لا يدعم السكان ذلك (**لكن سلوكهم سلبي غير عدائي**).

درجة (د): أرض سكانها يدعمون العمل فيها، بينما هناك مشكلة في التضاريس.

---

1 الأرض التي تدعم تضاريسها العمل هي التي يمكن الوصول إليها بسهولة، ويمكن الانسحاب منها بسهولة، وتقل فيها نسبة التهديدات. ويسهل فيها توفير خطوط الإمداد. وهو أمر تقديره نسبي يمكن إعطاؤه درجة مئوية في حالة مقارنة مجموعة من الأراضي ببعض.

درجة (هـ): الأرض المستحيلة[1] (**لا يمكن أن تبادر المقاومة بالتواجد فيها قبل قوات القمع**).

ثم يتم دراسة نفس هذه العناصر من منظور القمع، وسنغير أسماء الدرجات لنتمكن من التمييز بينهما.

درجة (1): أرض تدعم طبيعة تضاريسها ومنشآتها وسكانها القمع فيها.

درجة (2): أرض تدعم طبيعة تضاريسها ومنشآتها القمع فيها، بينما لا يدعم السكان ذلك (**وسلوكهم عدائي**).

درجة (3): أرض تدعم طبيعة تضاريسها ومنشآتها القمع فيها، بينما لا يدعم السكان ذلك (**لكن سلوكهم سلبي غير عدائي**).

درجة (4): أرض سكانها يدعمون القمع فيها، بينما هناك مشكلة في التضاريس.

درجة (5): الأرض المستحيلة (**لا يمكن أن تبادر قوات القمع بالتواجد فيها قبل أن تتواجد المقاومة**).

ويمكن استخدام الجدول التالي لتحديد تصنيف الأرض من حيث الجاهزية:

القمع / المقاومة	1	2	3	4	5
أ					
ب					
ج					

1 أطلق سان تسو على هذا النوع من الأرض "الأرض المعَوِّقة".

د					
هـ					

جدول 4: **تحديد جاهزية الأرض، المحور الأفقي به تصنيف الأرض من منظور القمع، والمحور الرأسي به تصنيف الأرض من منظور المقاومة، فقد تكون الأرض داعمة للمقاومة، وداعمة أيضًا للقمع، وقد تكون الأرض في تضاريسها تخدم القمع ولا تخدم المقاومة.**

القمع / المقاومة	1	2	3	4	5
أ					
ب					
ج				ج4	
د					
هـ					

جدول 5: الأرض (ج4) تعني أنها من الدرجة (ج) من منظور المقاومة ومن الدرجة (4) من منظور القمع، فهي بالنسبة للمقاومة مناسبة تضاريسيًا بينما سكانها غير مؤيدين لكنهم غير عدائيين، بينما لقوىٰ القمع السكان يدعمون القمع، لكن التضاريس غير مناسبة. ومن ثم فرهان المقاومة هنا في اختيار الأرض سيكون علىٰ نقطة ضعف قوات القمع من ناحية التضاريس **(مثل الحارات الضيقة)**.

وبعد تحديد الخيار الأفضل في الجدول، يتم سد الثغرات في هذا الخيار من

خلال الأنشطة، فإن كان السكان غير داعمين لكنهم غير عدائيين، يمكن إجراء اتصالات معهم قبلها، أو الاهتمام بالقيام أنشطة موجهة لهم خصيصاً مثل تقديم الحلوىٰ وإلقاء التحية .. الخ.

* * * *

ضوابط عامة

* دراسة الأرض تعني التفكير في كل العناصر السابقة، ثم تحديد أفضل الطرق للتعامل مع البشر والمكان.
* في حالة غياب المعلومات يتم انتداب فرقة استطلاع للتعرف على المنطقة.
* دور الشرطة حماية المنشآت، هذا هو الأصل، أما في أحوال الصراع مع الديكتاتوريات فلا توجد قواعد تحكم. وينبغي للمقاومين أن يضعوا في حسبانهم أن الشرطة قد لا تحمي المنشآت، ومن ثم يكون لديهم البديل الذي لا يفسد عليهم عملهم. وفي هذه الحالة فإن المسؤولية الأخلاقية والعملية للمقاومة تفرض عليهم وحدهم تأمين أنشطتهم. وهي مسؤولية تختلف عن المسؤولية السياسية والقانونية.

إن الوعي بأهمية دراسة الأرض ضروري للقيام بأنشطة ناجحة، ويقي الكثير من المخاطر. وكما أن الأرض الزراعية تتطلب رعاية حتىٰ تؤتي أطيب الثمار؛ فإن الأرض في عالم المقاومة يجب أن تُحرث بشكل جيد حتىٰ تترعرع فيها أزاهير التغيير. وتكمن عبقرية المقاومة في أن تجعل الأرض تلين لها، فتحتوي المقاومة وتضمها وتحرسها من كل سوء.

* * * *

القاعدة الرابعة

لا تضع النواة الأساسية في معركة مباشرة مع الخصم

في بداية تأسيس الحركات، يكون من الأفضل الحفاظ علىٰ النواة الأولىٰ، القادرة علىٰ التخطيط وتدريب الكوادر، ومن المفيد عدم إظهار قوتها، أو لفت الانتباه إليها. وأي نشاط للحركة في البدايات ينبغي أن يهدف إلىٰ زيادة الموارد **(البشرية والمالية)**، لا وضع الحركة في معركة مصيرية. لا تتسرع في الهجوم، وتذكر أن إمكاناتك الهجومية مرتبطة بقدراتك الدفاعية. فكيف ستتمكن من حماية هجومك؟!

وكما تبحث قوىٰ التغيير عن نقاط ضعف خصومها، عليها أن تعلم أن خصومها كذلك يتربصون بها، ويحاولون استهداف الدعامات الأساسية التي تقف عليها الحركة، مثل القيادة والتمويل والدعم الشعبي.

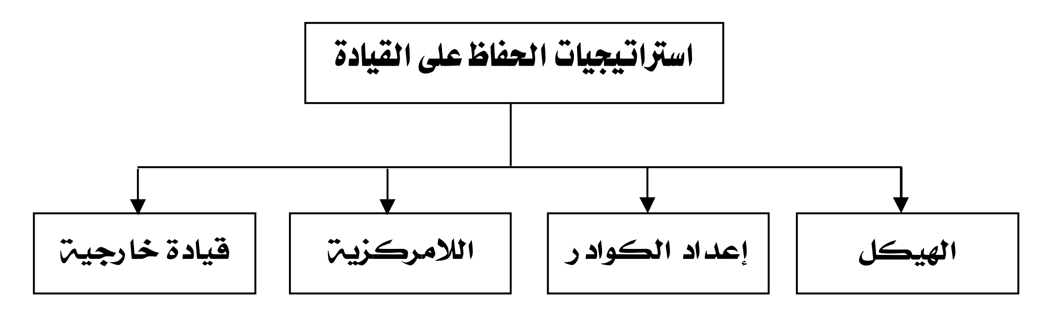
إن الشباب المدرب الواعي هم رأس مال أي حركة، فهم الذين أُنفقت عليهم آلاف الساعات حتىٰ يصلوا إلىٰ هذا المستوىٰ، لذلك كان من المهم وضع استراتيجية لحماية القيادات – خاصة في البدايات في حالات الأنظمة القمعية التي لا تسمح بهوامش حرية كبيرة للحركة. ومن هذه الاستراتيجيات:

الهيكل الوهمي: وتكون الحاجة إليه فقط في الأنظمة الديكتاتورية الشديدة القمع، حيث يتم إعلان أسماء قيادات تلعب دوراً حقيقياً في الحركة لكنها ليست هي القيادة الفعلية التي ترسم المسارات، وفائدة إعلان الهيكل الوهمي ألا تظل قوىٰ الأمن في حيرة تبحث عن القيادة، فتوفير المعلومات أحياناً يكون أحد خطوط الحماية.

إعداد الكوادر: حيث يكون هناك اهتمام بالإعداد القيادي للكوادر المؤهلة للقيادة، فتكون عملية صناعة الكوادر القيادية الكامنة مستمرة، خاصة في فترات الهدوء والرخاء. لتصبح مدربة علىٰ تولي القيادة والتوجيه في وقت الأزمات.

اعتماد اللامركزية: فيكفي القيادة وضع الخطوط العريضة للمرحلة، بينما تتحرك الحركة بكل مرونة في إبداع وسائل تحقيق هذه الأهداف، وبالتالي يمكن تواجد القيادة في الداخل أو الخارج. كما يمكن بناء قدرة الحركة علىٰ الاستمرار باعتماد أسلوب مجموعات العمل، من خلال إجراء تجارب ميدانية تختبر فيها الحركة قدرتها علىٰ العمل في حالة غياب القيادة، أو في حالة أن التوجيهات تكون من خلال صفحة علىٰ الإنترنت، ثم تُدرس بعد التجربة الأخطاء والسلبيات التي وقعت فيها الحركة. وتحدد طبيعة الأنشطة التي بإمكانها القيام بها إن غابت القيادة، والأنشطة التي يتعذر عليها القيام بها.

إيجاد قيادة خارجية: خارج البلد، تظهر في حالة الضربات القوية لتكون ممثلاً للحركة، إن تطلبت الاستراتيجية ذلك.



شكل 8: **استراتيجيات الحفاظ علىٰ القيادة في البدايات تتنوع ما بين وجود هيكل وهمي، وإعداد كوادر، ولامركزية في الحركة، مع إيجاد قيادة خارجية. كل ذلك يساهم في حماية (القيادة) كوظيفة ضرورية للحركة، وليس فقط كأشخاص.**

وبصفة عامة فإن تأمين دور «**القيادة**» بغض النظر عن أشخاصها أمر ضروري لاستمرار الحركة. ومن المهم أن يكون جزءاً من برامجها التدريبية العملية التخطيط لشكل التحرك في حالة غياب القيادة العامة أو الميدانية. إن التدريب

علىٰ العمل في حالات الطوارىء يقي الحركات الضغوط النفسية التي تتعرض لها أوقات الأزمات، كما يتيح لها اختبار نظام العمل في تلك الحالات.

❊ ❊ ❊ ❊



القاعدة الخامسة

احمِ نفسك وترقب خطأ خصمك



يقول سان تسو: «**تقع مسئولية حماية أنفسنا من الهزيمة علىٰ عاتقنا نحن. أما هزيمة عدونا فتحدث نتيجة خطأ يقع فيه**»[1]. فاحم نشاطك جيداً بالتخطيط، واحمه في أعين الناس من التشويه، وانسجم مع ثقافة المجتمع وتقاليده. وحين يخطيء خصمك في التعامل معك؛ حينها تكون ساعة النصر قد اقتربت.

وتنقسم الحماية إلى قسمين:

- حماية نقاط الارتكاز.
- حماية الأنشطة.

حماية نقاط الارتكاز

ونعني بها حماية المفاصل التي تقوم عليها الحركة، والتي إن سقطت انهارت الحركة أو تأثرت بدرجة كبيرة. مثل القيادة، ومصادر التمويل، وشبكة العلاقات، ونظام الاتصالات، والصورة الذهنية لدىٰ الشارع. وتختلف نقاط الارتكاز بحسب وظيفة كل مجموعة أو حركة، فإن كانت هناك مجموعة متخصصة فقط في التصوير، فإن المصورين ومعدات التصوير، ستكون من نقاط الارتكاز الأساسية التي بدونها لا وجود للمجموعة. وإن كانت مجموعة وظيفتها تنظيم المظاهرات فإن من نقاط الارتكاز مجموعات التأمين والحماية، والأشخاص الذين لديهم قدرة علىٰ الهتاف، والمصورين.

ومن المفيد للحركات أن تدرب مجموعات العمل لديها علىٰ الحماية الذاتية لنقاط ارتكاز كل مجموعة، بحيث تكون كل مجموعة قادرة بذاتها وبشكل مستقل علىٰ أداء عملها بنظام فعال وآمن.

---

1 سان تسو، فن الحرب، ترجمة رؤوف شبايك، نسخة إلكترونية، ص25.

حماية الأنشطة

وتكون حماية الأنشطة بمجموعة من الإجراءات:

قبل النشاط: مثل التخطيط الجيد واختيار التوقيت والمكان السليم.

أثناء النشاط: من خلال الانضباط والالتزام بالخطة وعدم الانجرار في ردود الأفعال الخاطئة. والتأكد من وصول رسالة النشاط بوضوح لكل الأطراف المعنية.

بعد النشاط: بالتعامل السريع مع أي أخطاء حدثت، والتعامل مع أي تشويش في وصول الرسائل إلىٰ الأطراف المستهدفة.

ومع الاهتمام بالحماية والدفاع فيجب الانتباه إلىٰ أن المقاومين يصعب أن يظلوا في حالة دفاع، وإلا سيبقون في خانة رد الفعل، ولكن المقصود أن الهجوم يفضل أن يكون مرهوناً بخطأ يرتكبه الخصم، وإلا تحول في الوعي الشعبي إلىٰ عدوان. كما أنه مرتبط بثغرة يمكن النفاذ إليه منها، مثل مجزرة دموية، أو كذب واضح.

فليس المقصود هو البقاء علىٰ الحالة الدفاعية، وإنما تحين فرصة خطأ الخصم للهجوم عليه. وهنا يجب حماية هذا الهجوم، لأنه بدوره قد يحمل في ثناياه أخطاء تمكن الخصم من استثمارها. لذلك كان الهجوم مرهون بالقدرات الدفاعية، وبالمعرفة الجيدة بالإمكانات، وتذكر أن «**علمك بعدوك يعرفك كيف تدافع، وعلمك بنفسك يعلمك كيف تهاجم. الهجوم هو سر الدفاع، والدفاع هو التخطيط للهجوم**»[1].

والدفاع عن الهجوم يشمل:

- التعرف الجيد علىٰ الذات وقدراتها.

1 سان تسو، فن الحرب، ترجمة رؤوف شبايك، نسخة إلكترونية، ص24.

- التعرف الجيد على الخصم وقدراته.
- التخطيط الجيد. واختيار الزمان والمكان والوسائل المناسبة ومراعاة عنصر المفاجأة والمراوغة.
- الانضباط الكامل.
- التدريب والثقافة المتعلقة بحرب اللاعنف، التي تصنع وعياً جمعياً بهذا الأسلوب في التغيير.
- الالتزام بالمسار السلمي وعدم الرد على الخصم بنفس وسائله.
- أن يتناسب مع الحماقة التي مارسها الخصم، ولا يتحول بدوره إلى طغيان، من خلال التورط في ردود أفعال تفوق جرائم الخصم.
- أن يكون هناك رضا شعبياً به. **(حتى غير المؤيدين للقضية لا ينكر عمومهم الوسيلة المستخدمة)**.
- اختيار الخطاب الجماهيري ببراعة.
- اختيار الوسائل المناسبة التي تزيد من دعم الناس.
- سرعة معالجة الأخطاء، فلا تُترك لتتحول إلى منصة هجوم من الطرف الآخر. **(مثال: إن ظهر أشخاص لديهم الرغبة في تحويل المسيرات السلمية إلى اتجاه عنيف يتم التعامل معهم سريعاً وإبعادهم عن المسيرة، وتحذير الناس منهم)**.
- الاستعداد للسيناريوهات المتوقعة لرد الفعل المضاد من السلطة على الهجوم.
- وضع خطة «**الانسحاب المشرف**»، للّجوء إليها إن استدعى الأمر. فليس من الحكمة تعريض المقاومين للتهلكة. حدد نهاية المعركة، واستراتيجية الخروج، وتجنب المعارك التي لا يوجد بها مخارج واقعية.[1]

---

1 روبرت غرين، 33 استراتيجية للحرب، مكتبة العبيكان وكلمة، ط1، 2009، ص12.

اسم المعركة:

الأهداف	
الهدف	معيار الإنجاز

الهجوم			
تكتيك الهجوم	التدريب اللازم	الوسائل المستخدمة	المجموعات المنفذة

نقاط القوة	أساليب دعمها
نقاط الضعف	أساليب حمايتها

السياسات		
حصار العنف	تأكيد السلمية	الخطاب الشعبي

السيناريوهات		
	سيناريوهات ردود الأفعال	السيناريوهات المضادة
من قوات القمع		
من النظام		

من المنافسين		
من عموم الناس		
نهاية المعركة		
متىٰ تنتهي؟		
خطة الانسحاب المشرف		

جدول 6: **يبين التخطيط الدفاعي للهجوم، وتظهر فيه الأهداف مع وضع معيار ومؤشر يدل علىٰ تحقق الهدف، ثم يتم تحديد تكتيكات الهجوم والمجموعات المنفذة لها، والوسائل المستخدمة لتنفيذ التكتيكات والتدريب اللازم لها، ثم تحدد نقاط القوة في الهجوم وكيفية دعمها، ونقاط الضعف التي قد تأتي منها الأخطاء وكيفية حمايتها. بعد ذلك توضع الكيفية التي سيتم بها حصار العنف، وتأكيد السلمية، ودقة وتحديد الرسالة من النشاط للشعب، وكيفية توصيلها ميدانياً، ثم يتم تحديد السيناريوهات المتوقعة كردة فعل للنظام، ويوضع أمام كل سيناريو آخر مضاد، وأخيراً يجب تحديد متىٰ تنتهي المعركة؟ وما خطة الانسحاب المشرف في حالة الحاجة إليها.**

الانسحاب المشرف

عادة ما تتبادر إلىٰ الذهن معاني الهزيمة والجبن إن ذُكرت كلمة «**الانسحاب**»، لكن الانسحاب أحياناً يكون هو القرار الأفضل. فالقائد الماهر هو الذي يعرف متىٰ يبدأ ومتىٰ يتوقف ومتىٰ ينحسب، بناء علىٰ تقديره لجدوىٰ استمرار المعركة، لأن الاستمرار في معركة خاسرة لن يفيد المقاومة أو المجتمع في شيء، ودور القائد أن يخوض معاركه بأقل الخسائر المادية والبشرية.

وحتىٰ علىٰ المستوىٰ الفردي، فرغم أهمية الإقدام والمجازفة؛ إلا أن

المقاوم ينبغي أن يكون حذراً، لا يعرض نفسه للخطر بدون ضرورة، فيتخذ كافة الاحتياطات الممكنة لاجتناب النهاية غير الموفقة أو الهلاك.[1] لذلك يوطن نفسه على المراوغة والهروب وألا يجعل نفسه يباد.[2]

«إن التراجع في وجه عدو قوي ليس علامة على الضعف؛ بل على القوة، فحين تقاوم إغراء الرد على معتدٍ، تشتري لنفسك وقتًا ثمينًا: الوقت لتتعافى، لتفكر، لتكسب مسافةً تساعدك على رؤية الصورة الشاملة».[3]

إذن ليست المشكلة في الانسحاب إن كانت الضرورة تقتضي ذلك، بل أحيانًا تكون المشكلة في عدم الانسحاب. لكن كيف يمكن الانسحاب بأقل الأضرار المعنوية والمادية؟!

* تحديد إشارة الانسحاب، مثل رفع لافتة محددة، أو راية كبيرة مخصصة لذلك. وليكن مثلاً مكتوب عليها «**ثورة العقول**»، أو «**الانتصار هو الخيار الوحيد**».
* الانسحاب المفاجيء أو التدريجي بحسب الحالة، ويمكن للون الراية أن يعبر عن ذلك.
* لا يفضل الاعتماد في خطط الانسحاب على التواصل عبر الهواتف تحسبًا لضعف الإرسال أو انقطاعه.
* الختام الرسمي: يمكن ختام النشاط بشكل مقصود مثل إلقاء كلمة، أو أغنية محددة. وبالتالي يظهر وكأن المتظاهرين بالفعل قرروا ختام نشاطهم بمحض إرادتهم، وليس بشكل ارتجالي عفوي.

---

1 تشي جيفارا، مباديء حرب الغوار، دار الفارابي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1998. ص40.
2 نفس المصدر السابق، ص16.
3 روبرت غرين، 33 استراتيجية للحرب، مكتبة العبيكان وكلمة، ط1، 2009، ص10.

* تكتيك «**الانشطار**»: حيث يتفتت النشاط الكبير إلىٰ المزيد من الأنشطة المتفرقة المتنوعة، خاصة في حالات التفريق بعنف، مثل أن يلصق كل مشارك وهو يجري صورة صغيرة (متفق عليها) علىٰ الجدران، فإن كان الحضور ألف فسيختم النشاط بلصق ألف صورة. أو يلتقي المتظاهرون فوق جسر محدد أو في مكان محدد يكون للتواجد فيه رمزية واضحة. أو يتفرقون كمجموعات في وسائل المواصلات يغنون ويهتفون، أو ينتشرون بأعداد رمزية في الميادين يرفعون لافتاتهم. وبذلك يخرج المتظاهرون بمعنويات مرتفعة، فقد انسحبوا ولكن بعد أن أزعجوا خصومهم.
* تكتيك الإخلاء الخادع: وفيه يعقب الانسحاب وصول رموز لها وجاهة اجتماعية من سياسيين، وبرلمانيين، وصحفيين، الخ، وكأنهم امتداد للنشاط، وبذلك يكون الانسحاب أقرب إلىٰ إخلاء الساحة من المشاركين لتحل محلهم مجموعة أخرىٰ أكثر نوعية من حيث إمكانية التعامل القمعي معها. كمن يستبدل سلاحه بآخر، فسلاح المجموعات النوعية تم استخدامه بدلاً من سلاح عموم الناس.
* تكتيك الإلهاء: من خلال تقدم مجموعات للصفوف الأمامية، تشغل قوات القمع في التعامل معها، في حين تكون المجموعات الأخرىٰ قد انسحبت، وبالتحديد الأشخاص أو المعدات (**مثل المعدات الصوتية**) التي يجب الحفاظ عليها. كما يمكن أن تحاصر المجموعات التي تقوم بعملية الإلهاء قوات القمع من أكثر من اتجاه (**مثل الشوارع الجانبية**)، بحيث يمكن تشتيتها أطول فترة ممكنة. وغالباً ما تكون هذه المجموعات عرضة للاعتقال، لذلك لا يتم اللجوء إلىٰ هذا التكتيك إلا

في الحالات التي تتطلب تغطية انسحاب أكبر قدر من المشاركين. مثل حالات الاقتحام الأمني التي تهدف إلىٰ اعتقال أكبر قدر من المشاركين.

تكتيك الانسحاب للأمام: وفكرته تحويل الأنظار إلىٰ نشاط آخر، يفرض علىٰ الخصم وقف القمع، مثل إعلان مبادرة محرجة، تتطلب منه وقتاً للتفكير في رد عليها، ومن ثم تعطي المقاومة متسعاً من الوقت للتفكير أو للانسحاب وإعادة ترتيب الأوراق.

* يتطلب الانسحاب المعرفة الجيدة بالأرض،[1] ومعرفة المناطق الموالية للمحتجين والمعارضة لهم، بحيث تُبنىٰ خطة الانسحاب علىٰ هذا الأساس.

* تتطلب هذه التكتيكات معرفة المتظاهر دوره جيداً في حالة الانسحاب، وبالتالي فهو أثناء الانسحاب لا يفكر في الماضي، وإنما يتطلع للمستقبل، لا يفكر في النشاط الذي انتهىٰ بل مشغول بالنشاط اللاحق الذي سيبدأ. فهو لا يرىٰ في الانسحاب نهاية للنشاط، بل الارتقاء به إلىٰ مستوىٰ آخر. فعملية الانسحاب في حد ذاتها تحولت إلىٰ نشاط مثير.

* يمكن لكل مجموعة صغيرة أن تتفق علىٰ شكل الانسحاب الخاص بها في حالة أنها مجموعات لا تنتمي إلىٰ حركة، ومن ثم فهي تتصرف من تلقاء نفسها.

* يكون الانسحاب في معظم الحالات في شكل مجموعات تحسباً لاعتقال أو مضايقة من يسير بمفرده.

* وجود فرقة لتأمين الانسحاب، تخبر المحتجين بأفضل الممرات أو الشوارع التي يتم الانسحاب منها.

---

1 انظر القاعدة الاستراتيجية الخاصة بدراسة الأرض.



القاعدة السادسة

اختبر خطط خصمك واختبر قدراتك على الدفاع والمناورة

المقاومة في حاجة دائمة إلىٰ التعرف علىٰ التكتيكات الجديدة لدىٰ قوىٰ القمع، وهذا يتطلب منها أن تقوم بأنشطة استطلاعية، تهدف إلىٰ معرفة السياسات القمعية في المرحلة الراهنة. هذه السياسات لا تكتب أو تنشر في الغالب، ويمكن معرفتها من خلال:

* التواصل مع بعض الضباط.
* التجربة العملية والاختبار.
* فرق جمع المعلومات.

أولاً: التواصل مع الضباط

سواء بشكل ميداني أثناء الأنشطة، أو من خلال الصداقات التي تكون بين ضباط وأعضاء في الحركة، أو من خلال التحقيقات، حيث يتعمد المحققون أحياناً إيصال سياستهم القمعية الحالية إلىٰ المقاومين.

ثانياً: التجربة العملية والاختبار

من خلال أنشطة تهدف إلىٰ معرفة السياسات القمعية، مثل الدعوة للاعتصام أو التظاهر في مكان محدد ورصد ردود الأفعال الأمنية والاستعدادات، **وفي هذه الأنشطة يكون الهدف:**

* التعرف علىٰ رد الفعل.
* سرعة التحرك.
* حجم ونوعية القوات المحتشدة وطبيعة التسليح.
* المكان الذي تحركت منه القوات.
* الطرق التي تأتي منها.
* أماكن التجمع وطريقة توزيع القوات.

❋ القيادة الميدانية إن أمكن (**ومعرفة مدىٰ شدتها أو لينها**).[1]

❋ درجة التوتر والاستعداد لاستخدام العنف.

وبجانب المجموعات التي تمارس النشاط نفسه، تتواجد فرقة استطلاع قبل وأثناء وبعد النشاط في محاولة لتوفير المعلومات حول البنود السابقة. ويكون النشاط في النهاية هدفه أن يمكن هذه الفرقة من جمع المعلومات. فهو نشاط خادم لهذه الفرقة.

وتخضع طبيعة النشاط لنوعية وكم المعلومات المراد جمعها. فإن كان الهدف اختبار الجاهزية القمعية للعمل المفاجيء، يكون النشاط بدون إعلان مسبق، وإن كان الهدف اختبار الجاهزية في حالة المعرفة الكاملة بالنشاط يتم الإعلان عنه.

إن المعلومة تساعد كثيراً في اتخاذ القرار السليم، وفي حقن الدماء بشكل كبير. وفي تغيير الخطط بحيث تنسجم مع الواقع ومتغيراته.

---

1 في معظم الدول الديكتاتورية تكون القيادة الأمنية فردية، فلا توجد ديمقراطية في اتخاذ القرار، وهنا لا يكون تقدير الموقف وحده هو الحكم في اتخاذ القرار، وإنما طبيعة القيادة نفسها. فالتركيبة الذهنية والنفسية للقياة تلعب دوراً كبيراً في مدىٰ نهمه للقمع. وقد أورد روبرت غرين في كتابه قواعد السطوة نماذج للأنماط الشخصية منها:

المتكبر: يرد علىٰ أي شيء يشعره بالتجاوز أو الإهانة بعنف شديد. فإنه يحمل الأمور بمحمل شخصي، منتصراً لنفسه.

المرتاب: لا يرىٰ الأمور إلا بالصورة التي يود أن يراها عليها، ويفترض في من أمامه أسوأ النوايا. وأن كل من حوله يتربصون به ويحاولون إيذاءه، ويكون لديه اضطراب حقيقي، مما يجعل إمكانية التلاعب به، وتحويل شكوكه إلىٰ آخرين.

الثعبان: هو صنف لا ينس ثأره، قد لا يرد مباشرة، فلديه قدرة علىٰ ضبط النفس، حتىٰ تأتي الفرصة، فيمارس الانتقام دون رحمة.

البسيط المتبلد: يفسر حرفياً أي كلمة يسمعها، ويفتقد الخيال، ومن ثم يصعب خداعه، لأنه ببساطة لن يرىٰ الطعم الذي ترميه له حتىٰ يلتقمه، لن يؤذي أو يضمر سوءاً، ولكنه سيهدر وقت من يفكر في خداعه.

اختبار القدرات الدفاعية

كذلك تفيد مثل هذه المناورات في تجربة التكتيكات الجديدة للتعامل مع القمع، واختبار أثرها وقدرتها علىٰ نزع التوتر، أو تقليل أثر الهجمات، بحسب الحالة، والغرض من المناورة، من أجل الوقوف علىٰ نقاط القوة ونقاط الضعف وتحديد مجالات التطوير. فالتدريبات النظرية والعملية غير كافية لاختبار التكتيكات، إذ ينبغي أن توضع علىٰ المحك العملي، لذلك كان التعلم الميداني في الواقع له دور كبير. فلا يكفي فقط اعتبار الجانب التقني، فأجواء الحماسة والخوف والإقدام والإحجام كلها تلعب دوراً كبيراً في إدارة العمل ميدانياً وطبيعة الأداء، وهو ما لا يُكتشف إلا بالممارسة العملية في أجواء الصراع.[1]

ويخوض المقاومون هذه المناورات التجريبية في جو من المتعة، فقد أعدوا أدواتهم وخططهم الجديدة، وهم الآن بصدد تجريبها ميدانياً، وأياً كانت النتيجة، فهم مستمتعون بأنهم علىٰ طريق الاحتراف.

ثالثاً: فرق جمع المعلومات

تعتمد عملية صناعة القرار السليم بشكل أساسي علىٰ توفر المعلومة الصحيحة، وللمقاومة أساليب متعددة لجمع لمعلومات منها:

* الأفراد الذين يتوددون لأناس مقربين من النظام أو بالفعل هم جزء من النظام.
* الصحفيون الكبار المطلعون علىٰ بواطن الأمور والقريبون من صناع القرار في السلطة.
* أفراد المقاومة الذي يخترقون الكيانات الأخرىٰ. وغالباً لا يُظهر المخترقون ولاءاتهم الفعلية أبداً، سواء انتصرت المقاومة، أو كانت في محنة. فهؤلاء لا يغادرون مواقعهم أبداً.

---

1 الفريق سعد الدين الشاذلي، مذكرات حرب أكتوبر، دار بحوث الشرق الأوسط الأمريكية، سان فرانسسكو، الطبعة الرابعة، 2003. نسخة إلكترونية، ص7.

* قدامىٰ رجال النظام، حيث تكون لهم علاقات مع أفراد في النظام من الداخل.
* هدايا الموالين للمقاومة والكامنين داخل النظام في كل قطاع. وهؤلاء يكون لهم دور في تسرب الكثير من المعلومات. وقد تكون هذه الهدايا المعلوماتية سببها تصارع أفراد أو أجهزة النظام، وليس بالضرورة الولاء للمقاومة. لكن أيضـًا يُحذر من هؤلاء لأنهم قد يعمدون إلىٰ تسريب معلومات خاطئة للتضليل. فهذا المصدر وحده أحيانـًا يكون غير كافيـًا.
* القرصنة الإلكترونية علىٰ المعلومات، مثل القرصنة علىٰ بعض الحسابات الشخصية للأفراد وتتبع رسائلهم، أو القرصنة علىٰ مراكز المعلومات الكبرىٰ ويعتبر النموذج الأشهر في ذلك هو تسريبات ويكيليكس.[1]

نصائح

* في حالات جمع المعلومات من أفراد، احرص علىٰ أن يبدو كلامك معهم

---

1 صاحب موقع "ويكيليكس" الإلكتروني هو جوليان أسانج الذي بدأ معركته ضد وزارتَي الخارجية والدفاع الأميركيتين بهجمات إلكترونية بحجّة السعي إلىٰ فضح الحقيقة في شأن الحرب وأجهزة الاستخبارات والفساد علىٰ أعلىٰ المستويات. أمضىٰ عشرة أيام في سجن انفرادي و590 يومـًا قيد الإقامة الجبرية في لندن. ويبدي أسانج اقتناعه بأن الولايات المتحدة تريد «الانتقام» منه. لأنه علىٰ حد قوله "هزم إمبراطورية برمتها.

كما يرىٰ أنّ الدولة عبارة عن علبة تدخل إليها معلومات معيّنة، وتخرج منها أخرىٰ. وداخل هذه العلبة، يتمّ إخفاء بعض المعلومات بعناية، إذ من الممكن أن تكون هذه الأخيرة مرتبطة بمسائل التعسّف في استخدام السلطة، وبأعمال الظلم، وأمور الفساد. وأيضـًا، إذا ما أراد المواطنون ممارسة سيطرة ديموقراطيّة علىٰ الدول التي ينتمون إليها، ينبغي أن يعلموا ما هي محتويات العلبة. بمعنىٰ آخر: يجب أن تكون الدولة عبارة عن علبة شبه شفّافة .

ويرىٰ أنه من الصعب أن تنجح دولة في منع أي شخص يعمل لحسابها من الكشف عن الفضائح المخفية في أوساطها. (منقول من حوار مع مؤسس موقع "ويكيليكس"، وقد نشرت هذه الترجمة لموناليزا فريحة في مجلة الدوحة في عددها رقم 70، في أغسطس 2013. وأصل الحوار منشور في مجلة **PHILOSOPHIE** الفرنسية، في عددها رقم 70).

أقرب لثرثرة كلامية وليس لقاء جمع معلومات، فلا يجب أن تكون مكشوفاً في تركيزك علىٰ المعلومات المهمة، وإلا فإن أسئلتك ستكشف عنك وعن نواياك، أكثر مما تمنحك من معلومات عن الآخرين.[1]

* لا تنخدع بالمظاهر، فمن لديه قلب أفعىٰ قد يظهر الطيبة حتىٰ لا ينكشف أمره، ومن تراه كثير التهديد والوعيد قد يكون في حقيقته جباناً.[2]

* لا تعتمد علىٰ إحساسك وفطنتك في تقييم خصومك، فسوف ترتكب أخطاءً مزعجةً إن اعتمدت علىٰ المؤشرات غير الدقيقة، لا شيء يغني عن المعلومات الدقيقة، فخذ ما شئت من الوقت مهما طال في التعرف علىٰ خصمك.[3]

* لا تفترض في خصمك ما يريح قناعاتك الأساسية، مثل الخيانة. احرص علىٰ أن تبني قناعاتك علىٰ معلومات صحيحة، وانظر في الأسباب التي تدفعه لممارسة السلوك الذي ترفضه. كن مرناً قادراً علىٰ تغيير أفكارك بدلاً من أن تخوض معارك وهمية. وتجنب أولئك الذين يرددون ما استقر في ذهنك، واحرص علىٰ الاستماع الجيد للمخالفين.

* لا تحجب مخالفيك في مواقع التواصل الاجتماعي علىٰ شبكة الإنترنت، بل احرص علىٰ معرفة كيف يفكرون، واحرص علىٰ متابعة الصفحات الرسمية.

* * * *

1 روبرت غرين، قواعد السطوة، إيلاف معات لعلوم النفس والشخصية، الطبعة الأولىٰ، 2011، ص181.

2 نفس المصدر السابق، ص179.

3 نفس المصدر السابق، ص 234.



القاعدة السابعة

أفقد الخصم قدرته على التخطيط



من عوامل نجاح عمليات القمع قدرتها علىٰ توقع الخطوة القادمة للحركة، ومن ثم بناء خطط المواجهة، وتطوير برامج التدريب والإعداد والتأهيل للقوىٰ الأمنية لتنفيذ هذه الخطط، أو تفعيل خطط الطوارئ المتاحة بالفعل، والتي يتم تدريب قوىٰ الأمن عليها بشكل دوري.

الهجوم أو النشاط المفاجئ وغير المتوقع الذي يخرج عن إطار خطط الطوارئ يجعل الخصم في حالة ارتباك شديدة، ويجعله يرتكب الكثير من الأخطاء، وهو ما يمهد الطريق أمام الحراك التغييري لتحقيق الانتصار.

ويمكن تحقيق ذلك من خلال:

استراتيجية التضليل: أو تشتيت ذهن الخصم، وشد انتباهه إلىٰ اتجاه بينما الفعل الأساسي يحدث في اتجاه آخر مخالف تماماً. «**فالأمور المتعلقة بالحرب تعتمد علىٰ الخداع، فعندما نستطيع الهجوم يجب أن نبدو وكأننا عاجزين عنه، وعندما نناور ونتحرك بالقوات يجب أن نبدو خاملين، وعندما نقترب يجب أن نجعل العدو يظن أننا بعيدين، وعندما نكون بعيدين يجب أن نجعل العدو يظن أننا قريبين**».[1]

استراتيجية السبق التكتيكي: وتعني عدم تكرار التكتيكات والوسائل الناجحة لأنها أصبحت متوقعة، ومن ثم فإن قوىٰ القمع طورت من خططها وقدراتها بما يمكنها من التعامل مع هذا التكتيك ووسائله الناجحة. أما الوسيلة الجديدة حتىٰ ولو كانت أقل إبداعاً إلا أنها تمثل تهديداً وتحدياً أكبر لقوىٰ القمع. فوسيلة اليوم الجديدة ستكون غداً قديمة ويمكن توقعها. لذا لابد أن تسبق المقاومة آلة القمع بخطوة واحدة علىٰ الأقل تكتيكياً، وأن تفقدها قدرتها علىٰ التوقع ومن ثم قدرتها علىٰ التخطيط والإعداد.

---

1 سان تسو، فن الحرب، ترجمة رؤوف شبايك، نسخة إلكترونية، ص15.

نأخذ مثالاً حالات التخطيط لاجتياح أماكن أو احتلال ميادين:

1- إجبار الأجهزة الأمنية على تفريق قواتها وذلك بتوسيع وتعديد مسارح العمليات (أماكن التظاهر أو الاعتصام أو الإضراب أو غيرها). وهذا كفيل بتغيير ميزان القوة على المستوى التكتيكي بين قوى القمع والمقاومة.

2- الابتعاد عن مسرح العمليات الرئيس (**كالميادين الكبرى ومؤسسات الدولة التي يتم حصارها في لحظات الحسم**)، ومحاولة تحقيق الفوز أولاً في المسارح الثانوية (**كالجامعات والمناطق السكنية المزدحمة والأسواق**)[1]. مع الإبقاء على مجموعات في الميادين الكبرى لتشتيت قوى القمع.

3- استراتيجية التضليل: وذلك بتحديد مجموعة من المسارح الثانوية لكل مسرح عمليات رئيسي. فإذا كانت المقاومة تستهدف منطقة معينة بأحد الأنشطة، تخطط لمجموعة من الأنشطة الفرعية في المناطق المحيطة بتلك المنطقة لتشتيت التوقعات الأمنية. فالقائد الماهر لا يخبر خصمه بأي الأماكن التي عليه الدفاع عنها.[2] فعندما تستهدف المقاومة منطقة في الشمال عليها أن توجه أنظار خصومها إلى الجنوب، وإذا كانت تستهدف الشرق فلتوحي لخصومها أنها تستهدف الغرب.

---

1 هذه النجاحات الجزئية في مسارح العمليات الثانوية تزيد من ثقة النشطاء والجماهير في قدرتها على المقاومة. ونقصد بتحقيق الفوز هنا:

- اكتساب المزيد من الجماهير المشاركة في تلك الأنشطة.
- اكتساب القدرة على المناورة بسلاسة بهذه الجموع الغفيرة.
- الصمود أمام الأجهزة الأمنية.

2 سان تسو، فن الحرب، ترجمة رؤوف شبايك، نسخة إلكترونية، ص36.

4- تحقيق السبق التكتيكي، وذلك بمحاولة ابتكار وسائل جديدة دائمـًا، وعدم اعتبار الوسيلة الناجحة هي نهاية المطاف، آخذين في الحسبان أن أجهزة القمع تطور من تكتيكاتها لتتناسب مع تكتيكات المقاومة. ومثال ذلك التحول من الاعتصامات إلىٰ الوقفات الصامتة، أو تظاهرات شرفات وأسطح المنازل.. الخ.

5- «**إن كان الخصوم عدوانيين، فدعهم يتقدمون وانصب لهم الفخاخ ليقعوا في الخطأ، ويشنوا هجومـًا متسرعـًا ويقعوا في الفخ**».[1] اصنع السراب، وجرهم إلىٰ المكان الذي لا يجدون فيه أحداً، حيث تكون نقلت نشاطك في مكان آخر. ففي حالات الاعتصامات علىٰ سبيل المثال، يتم تسليط الضوء علىٰ مكان وهمي للاعتصام، وتظهر أمارات الاعتصام فيه، بينما التجهيز يكون لمكان آخر، أو ربما تكتيك مختلف تمامـًا غير الاعتصامات.

6- اعتمد استراتيجية «**الليل الطويل**»، التي تهدف إلىٰ جعل قوىٰ القمع في حالة إنهاك وتأهب مستمر تحسبـًا لظهور أي بوادر لفعاليات المقاومة، ومن تكتيكاتها «**الغارات اللاعنيفة**»، وفيها تبدأ مجموعة صغيرة الاحتجاج فجأة، وبعد أن تتصدىٰ لها قوات القمع بعض الوقت، تقرر هذه المجموعة الانسحاب في موعد محدد، وعندما تهدأ قوات القمع وتظن أن النشاط قد توقف، يظهر احتجاج مفاجيء أضخم، تتأهب له قوىٰ الأمن مجدداً، ثم تنسحب المجموعات بعد فترة. وبذلك يعتمد هذا النوع من الاحتجاج علىٰ المفاجئة والإنهاك وجعل القوات تتوقع ظهور المقاومين في أي وقت، مما يمنعها من الاسترخاء البدني أو الذهني،

---

1 روبرت غرين، 33 استراتيجية للحرب، مكتبة العبيكان وكلمة، ط1، 2009، ص9.

ويجعلها دائماً واقعةً تحت ضغط الشارع، وضغط القيادات العليا السياسية أو الأمنية الغاضبة.

7- إذا كان التفوق واضحاً في حجم قوات الأجهزة القمعية مقارنة بحجم المشاركين في النشاط المقاوم؛ فأمام قيادة المقاومة:

* إما أن تنهك تلك القوات بسلسلة من الأعمال الهجومية الجزئية بغرض إنهاكها وتشتيت صفوفها في عمل دفاعي، ثم تتبع هذه الهجمات الجزئية بهجوم كاسح مفاجئ غير متوقع.

* أو ألا تبادر بالهجوم، وإنما تنظم صفوفها وترتقب هجوم خصومها، حينها لابد من محاولة استيعاب وامتصاص زخم الهجوم وشله، ثم إتباع ذلك بهجوم مضاد لاعنيف ضد القوات التي أنهكت في عملية الهجوم وتشتت صفوفها بدرجة من الدرجات في مطاردة المتظاهرين.

* وفي الحالتين نحن نتحدث عن هجوم كاسح مفاجئ غير متوقع يلي عمليات الإنهاك والتشتيت بما يقلب طاولة الوضع ميدانياً. ويقتضي هذا الهجوم وضع عدد لا بأس به من النشطاء والفاعلين في الخطوط الأمامية لتشجيع المشاركين علىٰ الاستمرار في المناوشات والهجمات الجزئية، مع وضع كتلة معتبرة كبيرة نسبياً من النشطاء والفاعلين في الصفوف الخلفية، وهي الكتلة التي ستندفع من الخلف بكامل نشاطها وعزمها إلىٰ الأمام في اللحظة الحاسمة، رافعةً الأعلام، عاكسةً اتجاه الجموع المتراجعة، ومحمسةً ومشجعةً لها لتندفع خلفها في هجوم جرئ نشيط كاسح ومفاجئ.

8- في عمليات المقاومة المدنية لا يمثل الاحتفاظ بالمواقع أو حصارها

أمـراً ذا قيمـةٍ كبيـرة، اللهـم إلا في لحظـات الحـسم الأخيـرة حـين يـتم محاصـرة أو احـتلال ميـادين كـبرىٰ أو رئيـسية. ومـن ثـم فـإن الوصـول للتـوازن الاسـتراتيجي مـع قـوات القمـع النظاميـة وغيـر النظاميـة يقتـضي اعتمـاد التيـار المقـاوم علـىٰ الحركـة الدائمـة والـسريعة والمفاجئـة وغيـر المتوقعة.

وكما تدرس المقاومة هدف القمع، وتحاول فهم عقلية القيادة القمعيـة؛ فـإن القيادة القمعية علىٰ الناحية الأخرىٰ تفهم عقلية قيادة المقاومة من نمط الحركة المتكـرر، وبالتـالي تتوقـع ردود الفعـل والتكتيكـات المـستخدمة. لـذلك اجعـل قاعدتك «**إن لـم يفهـم خـصمك مـا في رأسـك، لـن يـستطيع أن يحاربـه أو يتـآمر ضده.**» [1]

❋ ❋ ❋ ❋

1 روبرت غرين، قواعد السطوة، إيلاف معات لعلوم النفس والشخصية، الطبعة الأولىٰ، 2011، ص179.

ويجب التمييز بين الخداع التكتيكي الذي تكون فيه بعض الأسرار من باب استثمار عنصر المفاجأة، وبين سرية لحركة، فحركات العصيان تتسم بصفة عامة بالعلانية ووضوح التوجهات والأهداف والأنشطة.

القاعدة الثامنة

ارفع تكلفة القمع على الخصم



يجب إقناع الخصم أن تكلفة استخدام القمع أعلىٰ من تكلفة التخلي عنه، بأن تكون نتيجة استخدام القمع - بعد أن استثمرته المقاومة - هي زيادة التعاطف الشعبي والدولي، وتصدع معسكر الخصم.

ويضع قادة المقاومة اللاعنيفة نصب أعينهم هدفين أساسيين:

1. الحد من فاعلية أداة القمع وتحويلها إلىٰ نقطة قوة للحركة التغييرية ونقطة ضعف للنظام (**تجريد النظام من إحدىٰ أدوات قوته والمتمثلة في القمع**).
2. تدريب النشطاء علىٰ كيفية التعامل مع القمع.

وتحقيق هذين الهدفين يتطلبان من الحركة التغييرية أن تتبنىٰ استراتيجية إيجابية.

ولتوضيح المقصود من استراتيجية إيجابية سنتأمل هذا المثال:

لو اضطر لاعب الدفاع في لعبة كرة القدم إلىٰ عرقلة مهاجم الفريق المضاد داخل منطقة الجزاء، كيف ينظر كلا الفريقين لهذه الحركة؟

الفريق المدافع:

1 - الفريق المدافع اضطر إليها كمحاولة ربما يائسة لمنع تسديد الهدف.

2 - هناك نتيجة إيجابية ترتبت علىٰ هذا التصرف، ألا وهي تأخير الهدف وليس منعه. أو بمعنىٰ أدق حوَّل هذا التصرف مرتبة الفريق المهاجم من الفوز الأكيد إلىٰ مرتبة احتمال الفوز.

3 - وهناك نتائج سلبية قد تترتب علىٰ هذا التصرف، مثل أن الهدف سيسجل حتماً لو أحسن الفريق المهاجم استثمار الفرصة، أو احتمال طرد لاعب الدفاع المعتدي، وحرمانه من المباراة القادمة أو علىٰ الأقل حصوله علىٰ الكارت الأصفر.

4 - قد لا يحسن الفريق المهاجم استغلال الفرصة فيهدر التسديدة، وعندها تصبح مخاطرة لاعب الدفاع مقبولة.

الفريق المهاجم:

1 – علىٰ الفريق المهاجم ضمان تسديد الهدف عن طريق اختيار أفضل لاعب تم تدريبه علىٰ تسديد ضربات الجزاء، وتنحية أي شعور بالأنا أو المصالح الشخصية بعيداً من أجل مصلحة الفريق.

2 – هناك مكاسب أخرىٰ ممكنة مثل طرد اللاعب المدافع، ومن ثم معاقبة الفريق المدافع واضطراره إلىٰ أن يلعب بفريق أقل عدداً، أو الفوز الكامل بالمباراة عن طريق حجب الأهلية عن الفريق المدافع، وإخراجه من الدورة كلية إذا قام بالتصعيد ولم ينصع لأمر الحَكَم.

3 – أسوأ احتمالات الفريق المهاجم أن يضيع كل هذه الفرص بسبب جهل أو أنانية أو سوء تدريب.

وهكذا فإن المطلوب من الحركة التغييرية إمعان النظر والتفكير في كيفية استثمار الأعمال القمعية لتحويلها إلىٰ أداة فعالة في يد المقاومة والمجتمع في صراعه ضد الديكتاتور، وهنا يتحول القمع من وسيلة عقوبة للمقاومة إلىٰ هدية تحيي الآلاف.



صورة 24: **ترىٰ كيف ينظر اللاعب في منطقة الجزاء لمنافسيه، هل يتمنىٰ أن**

يصوب هدفه بهذه الوضعية، أم يتمنىٰ أن يطرحوه أرضـًا؟! وهـو مـدرب علـىٰ التعامل مع الوقوع بحيث يأخذ أكبر قدر من المكاسب. في هـذه الحالـة ربمـا لا يخشىٰ اللاعب القمع، بل يتمناه، لأنه جزء من الخطة، ترىٰ ماذا لو قـام اللاعـب مغضبـًا بعـد أن وقـع أرضـًا وركـل منافسيه؟ هـل أضـاع فرصـة ذهبيـة لإحـراز هدف؟!. لم يعرقله خصمه إلا لمنعه من تسديد الهـدف، وهنـا يكـون الـرد علـىٰ العرقلة... تسديد الهدف.

هدايا القمع للمتظاهرين

قد يتصور المتظاهرون أن القمع يؤثر فيهم وحدهم، لذلك يشتكون غاضبين من فكرة «**السلمية**»، وأن القمع يجب الرد عليه. غير أنـه علـىٰ صعيد آخـر يـؤثر القمع بشكل كبير علىٰ النظـام، خاصـة إن تـم التعامـل معه مـن قبـل المقـاومين بشكل سلمي، مع ما يصاحب هذه «**السلمية**» من التغطية الإعلامية المناسبة.

فلا يُنظر للقمع بأنه خصم من رصيد المقاومة، بل أحيانـًا يكون بمثابة الهدايا التي يقدمها لها النظام دون أن يدري. فكـل قنبلـة غـاز أو رصاصـة أو اعتقـال أو قتل، قد ترتد أثرها لتصيب النظام في مقتل، وكأن النظام يصوب قمعه تجاه قلبه. فتحدث تأثيرات ضخمة علىٰ مستوىٰ المقاومة وعلىٰ مستوىٰ النظام.

تأثيرات القمع على مستوى المقاومة

- صناعة رموز للمقاومة، سواء رموز تتعلق بالأماكن مثل اسم ميـدان محـدد، أو الأشخاص كالمصابين والمعتقلين والشهداء.
- توحيد المتظاهرين علىٰ اختلاف توجهاتهم لشعورهم بالخطر.
- اكتساب تعاطف قاعدة شعبية واسعة.
- انضمام المزيد إلىٰ المقاومة.
- تعاطف المجتمع الدولي والضغط علىٰ حكوماته.

وإن تمكنت المقاومة من استثمار القمع لصالحها، بالالتزام بمنهج اللاعنف من جهة، والتغطية الإعلامية المتقنة من جهة أخرىٰ، يتحول أثر هذه الضربات ليصيب النظام والدعامات التي يعتمد عليها.

تأثيرات القمع على مستوى النظام

القمع يصيب النظام في مقتل، حين ينتج عنه:

- تآكل الشرعية، فلا شرعية لنظام دموي.
- هزة في التأييد الشعبي، قد ينتج عنها انهيار مخيف في الدعامة الشعبية.
- تأثيرات اقتصادية سيئة، حيث تبدو الدولة غير مستقرة وغير صالحة للاستثمار أو التعاون الاقتصادي الدولي.
- تفتيت معسكر النظام، حين يتبرأ بعض رموزه من أفعاله. خاصة حين تسيل الدماء دون مبرر مقنع.[1]
- انهيار أو ضعف الدعم الدولي.

متطلبات الاستراتيجية

1. **التفكير العميق في كيفية تحويل الإجراءات القمعية** التي يلجأ إليها النظام من نقطة قوة يضبط من خلالها المعترضين إلىٰ نقطة ضعف تمثل هاجساً مزعجاً له، وكيف يتحول القمع إلىٰ أداة فعالة في يد الحركة التغييرية بحيث يتحول اعتقال أحد المقاومين مثلاً إلىٰ مكسب للحركة وخسارة تخصم من رصيد النظام، ويعتمد حجم المكاسب علىٰ دهاء الفريق الاستراتيجي وإمكانياته في استثمار الأحداث.

---

1 لا يُنظر لمعسكر الخصم باعتباره كتلة واحدة، فالبعض يساند النظام من باب المصلحة، ولديه استعداد للتورط في أشياء كثيرة ليس منها القتل، وهناك من يساند النظام بهدف الإصلاح من داخله، وهناك من يسانده اقتناعاً بأفكاره وسياساته.. وهكذا.. مما يضع حدوداً لاحتمال تماسك هذا المعسكر إزاء مشهد إجرام النظام، خاصة إن تمسكت المقاومة بالمسار السلمي وتحملت في سبيل ذلك.

2. **تحتاج مجموعات العمل إلىٰ تدريب علىٰ التعامل مع أداة القمع،** فبإمكان نشطاء الحركة التغييرية – إذا كانوا مُعَدِّين ومُدربين – أن يُحدثوا تأثيراً كبيراً من خلال تنسيق استراتيجيتهم في طريقة التعامل مع أدوات القمع كالضرب والحصار والاعتقالات والسجون والمحاكمات، وبتأثير لا يقل فاعلية عن الأنشطة التي أدت إلىٰ اعتقالهم، من خلال تحويل أحداث القمع إلىٰ أنشطة بل مهرجاناً للمقاومة.[1]

وبذلك فإن تكلفة القمع (**الخسائر**) تصبح أعلىٰ بكثير من المكاسب، وبالتالي لن يقدم النظام علىٰ مثل هذا العمل بسهولة، ويضطر إلىٰ البحث عن أدوات أخرىٰ للصراع السياسي.

3. **العمل علىٰ توفير مساحة كبيرة من الحرية في تعامل النشطاء** ومجموعات العمل مع الأحداث وتشجيع الإبداع، من خلال إمداد النشطاء بورقة استراتيجية توضح الخطوط والمبادئ الكبرىٰ (**تتناول أسس ومبادئ أسلوب اللاعنف وتوفر رؤية شاملة لخارطة الصراع، وتحدد الاتجاهات الداعمة لنشاطات المقاومة، وتبين نوعية التصرفات التي تضر بالعمل**)، ثم اعتماد اللامركزية ومجموعات العمل.

التوثيق والنشر الإعلامي: فالكاميرا هي كلمة السر، واللقطات البارعة الجريئة هي أصل الهجمة المرتدة التي يشنها المقاومون علىٰ القمع. ليس صحيحاً أن حرب اللاعنف تسير نحو التهلكة بدون سلاح، فسلاحها الكاميرا

---

1 **مثال**: قد يقوم النظام باعتقال أحد رموز الحركة التغييرية.

مكاسب النظام: تحجيم نشاط هذا الفرد، وتوصيل رسالة إلىٰ الحركة، وقياس رد فعلها، ومدىٰ تضامنها في حالة استهداف أفراد من أطراف الحركة أو من القيادة.

خسائر النظام: تظاهرات مستمرة، حملة إعلامية شرسة، ضغوط خارجية، أصبح الفرد المراد تحجيمه رمزاً محلياً وعالمياً، السعي إلىٰ محاكمة الجناة وعدم الاكتفاء بالإفراج عن المعتقل.

تحاصر به خصومها من كل اتجاه. لتواجه «**قصف الرصاص**»، بقصف «**العدسات**».



صورة 25 :المقاومة اللاعنيفة لا تقف مكتوفة الأيدي بدون سلاح، فالعدسة تواجه البندقية.

❋ ❋ ❋ ❋

القاعدة التاسعة

لا تواجه الخصم حيث تتركز قوته

لا تواجه حرب اللاعنف الخصم حيث تتركز قوته، وحيث يكون في المساحة القادر علىٰ الإبداع فيها، والتي يمتلك فيها الحق السياسي والقانوني وربما الأخلاقي لارتكاب جرائمه. فانتبه لأن الملعب المفضل للأنظمة هي ساحة العنف. أخرجهم من أرضهم التي يقفون عليها بثبات واتزان إلىٰ صحراء رمالك المتحركة. اقطع مصادر القوة عن الخصم - والمتمثلة في الجماهير و الدعم المالي والدعم الدولي - قبل أن تدخل معركة مع مصدر القوة الأخير **(الأداة القمعية)**.

كذلك من الناحية التكتيكية ابحث عن نقاط ضعفهم واستثمرها، وواجه نقاط ضعف الخصم بنقاط قوتك. ولا تعرض نقاط ضعفك لنقاط قوته. فإن كنت تتفوق عليه في العدد، فعنصر العدد هنا نقطة قوة لك، وقلة العدد نقطة ضعف له، ادفعه للتصدي بنقطة ضعفه، من خلال توزيع حشودك في مناطق متفرقة، مما يجعله يوزع قواته (القليلة) علىٰ أماكن متفرقة.

فقد تتفوق قوات الأمن في أرتال المدرعات، لكن نقاط ضعف هذه الأرتال، أن المدرعات التي في المقدمة إن تم إيقافها فإن البقية لا قيمة لها، فلا تغرنك كثرة الإمكانات، فليس كل الإمكانات يمكن استخدامها إن اتبعت استراتيجية واعية. قد تجد رتلاً من المدرعات يسير خلف بعضه بنظام، كل المطلوب إيقاف أو تعطيل المقدمة. حينها لا قيمة لبقية الرتل المشلول، الذي تحولت مقدمته التي تقوده وتهديه إلىٰ عقبة تعرقله وتلهيه.

وإن كانت قوىٰ القمع تعمل بسهولة في الميادين الكبرىٰ؛ تحرك في الشوارع والحارات الضيقة حيث لا تتمكن مدرعاتها من الدخول، أو الجأ للأنشطة المفاجئة التي لا تتوقعها قوىٰ الأمن أو تستعد لها. خالف توقعات أعدائك،

وكن هدفاً خفياً يصعب الإمساك به. أغرقهم بأمواج الحشود، ثم جفف بَحْرَك سريعاً قبل أن يفيقوا من الذهول.

ادرس القمع وأدواته وتعرف على نقاط ضعفه جيداً، وطور استراتيجياتك وتكتيكاتك بناء على نقاط ضعفه، ولا تجعل نفسك هدفاً سهلاً. واعلم أن **«المقاوم الماهر يقف في مكان يستحيل هزيمته فيه»**.[1]

وتذكر أن العبقرية ليست في تدمير آلة القمع، أو تفادي ضرباتها، ولكن أن تكون في متناول يديه ولكنها عديمة الجدوى، وغير صالحة للاستعمال. فعلى سبيل المثال: ماذا سيفعل سلاحه المعد للتصويب على مثيري الشغب إن وجد أمامه نخبة من رموز المجتمع المشهورة، وما جدوى المدرعات الضخمة إن كانت الثورة تشتعل في شوارع ضيقة؟!

ولا تنس أن عضلات الدولة أقوى من عضلات التنظيمات السياسية. فعندما تخوض الحركة التغييرية معركة ضد النظام القمعي الذي يمتلك أدوات الدولة ويمتلك القوة القاتلة، في هذه الحالة قد لا يكون الاصطدام المباشر هو الخيار الأمثل، وإلا ستكون كمن يحاول أن يمسك الثور الهائج من قرنيه، بل لابد من الالتفاف والمناورة، وحشد قوى المقاومة والتغيير في مواجهة نقاط ضعف الخصم.

فإذا افترضنا أن من نقاط ضعف الخصم تآكل قدرته على الحفاظ على معسكره متماسكاً نتيجة عجزه عن الوفاء بالوعود التي أعطاها للمتحالفين معه في الداخل أو الخارج، أو عدم قدرته على الاحتفاظ بدعم الجماهير المطلق له، أو افتقاده للغطاء أو المبررات الأخلاقية والقانونية لمواجهة معارضيه. نقاط الضعف الثلاث هذه ينبغي لقوى التغيير أن تحشد قواها لاستهدافها.

---

1 سان تسو، فن الحرب، ترجمة رؤوف شبايك، نسخة إلكترونية، ص27.



القاعدة العاشرة

غَيِّرْ قواعد اللعبة



إن مواجهة أسلحة العنف بأسلحة اللاعنف يخلق موقفًا معقداً وحالة من عدم التكافؤ الاستراتيجي، فأحد الأطراف يعتمد النشاط اللاعنيف، والآخر يعتمد العنف، كأن نرىٰ لاعب كرة قدم يدخل منافسة مع لاعب كرة سلة، فلكل لعبة قواعدها، ومهارات كرة القدم في المناورة والسرعة والتسديد بالقدم مع تحريم لمس الكرة، لا تفيد في ملعب كرة السلة الذي يعتمد علىٰ القفز والتصويب باليد. هذا ملعب رأس ماله القدم، والآخر رأس ماله اليد. فبأي قواعد ستدور المباراة وبماذا يفيد التدريب الشاق؟!!

سيفيد التدريب من يتمسك بقواعده هو ويجبر خصمه علىٰ الانتقال لملعبه، لذلك احرص علىٰ أن تلعب وفق قواعدك، وألا تغيرها لصالح خصمك أبداً مهما حاول إجبارك علىٰ ذلك. وكلما هم بفهم نمط تحركك وأسلوبك في العمل بادر بالتغيير. فنجاح حرب اللاعنف يعتمد علىٰ مدىٰ عبقرية المقاومين في تغيير قواعد اللعبة، والتزامهم بأسلوبهم الذي اختاروه، قبل أن تفطن قوىٰ القمع لكيفية التعامل مع الأسلوب الجديد، ودون أن ينجروا إلىٰ ملعب العنف الذي يتفوق فيه خصومهم ويحسنون قواعده، بحيث يرتد القمع العنيف علىٰ الخصم المعتدي، ويفقد النظام الديكتاتوري توازنه السياسي، ويتكبد خسائر فادحة وتكاليف باهظة، تُفقد العنف فاعليته، وتعكس نتائجه. فحين يبلغ العنف منتهاه، ويستنفذ أعلىٰ طاقاته، ويفشل في كسر إرادة المقاومة، ويظهر عجزه عن التحكم في مقاليد الأمور بعد أن استخدم آخر ما في جعبته؛ تبدأ هزيمته بتبدد شرعيته، وانكسار إرادته، ثم تضعف منظومته عندما يتخلىٰ عن قواته، ويبحث في صفوفه عن كبش الفداء لتبرير الجرائم التي ارتكبها في حق المجتمع، فيصل إلىٰ مستوىٰ التفكك، وعدم القدرة علىٰ الاستمرار.

فإذا كانت سياسات وممارسات الخصم غير مبررة، وجمعت حركة

اللاعنـف بـين الـصمود والاسـتمرار، والاسـتراتيجية الواعيـة، والـصورة الحضارية، وعدد النشطاء الكـافي، والتعـاطف الـشعبي، ثـم تمكنـت في مواجهـة القمع من المحافظة علىٰ ضبط النفس وعقدت العزم علىٰ المقاومـة في مـسارها المعد. فإنها تحقـق إنجـازات كبيـرة، خاصـة عنـدما يتسع نطـاق التمـرد. ويفقـد النظام الدعم الجماهيري والدولي.

وعندما يفقد النظام المبرر الأخلاقي لاستخدام القمع أمام حركـة حـضارية، فإنه حينها قد يتمنىٰ أن تلجأ المقاومـة إلىٰ العنـف، حيـث يمكنـه التعامـل معهـا وفق قوانين اللعبة التي يجيدها، ويحشد المبررات المحلية والإقليمية والعالمية ضدها. وحـين ينتهـي النظـام إلىٰ اسـتخدام القمـع يكـون دور المقاومـة قـد بـدأ لإفقاد هذا القمع أثره، ليُحدث أثراً عكسيـًا.

كيف يرتد القمع بأثر عكسي؟

لكـن هنـاك سـؤال يلـح.. هـل دائمـًا يكـون أثـر القمـع عكـسيًا حـين يقـاوم سلميـًا؟ ويؤدي إلىٰ زيادة المتضامنين؟! أم أن القمع أحيانـًا يمكن أن يمـر دون أن يحظـىٰ المتـضررون منـه بالـدعم الكـافي، الـذي يحولـه إلـىٰ نقطـة قـوة في صالحهم؟!

علىٰ هذا السؤال يجيب برين مارتن في كتابه **Backfire**،[1] حيث يشير إلـىٰ أنـه لا يكفي التسليم بأن القمع يقـود إلىٰ رد فعـل مـضاد تلقائيـًا، ولكـن مـن المهـم دراسة الاستراتيجيات المصاحبة للقمع، التي تحاول تقليل الغضب والتضامن.

ويحدد مارتن خمس استراتيجيات ملازمة للقمع تعمل علىٰ تقليل الغضب:

التعتيم: من خلال التعتيم الإعلامي بحيث لا يعلـم أحـد بحـدوث الانتهـاك،

---

1 Brain Martin, Backfire Manual Tactics Against Injustice, Irene Publishing, Sparsnas , 2012.

مثلما كان في معسكرات أبو غريب في العراق.

التهوين مما جرىٰ: فالجريمة بسيطة، ولا تستدعي كل هذا الاهتمام. فهؤلاء إرهابيون مجرمون ومخربون، لا يحظون باهتمام الناس ولا يرون أن ما مورس ضدهم من قمع أمراً سيئًا.

إعادة تفسير ما جرىٰ: من خلال الكذب وإلقاء اللوم علىٰ آخرين، وإعادة صياغة المشهد بطريقة تقنع الرأي العام. وهنا يكون اعتراف بالحدث (**بعد التعتيم**)، لكن مع إعادة صياغته وتبرير دوافعه.

استخدام القنوات الرسمية الشرعية: لإضفاء مظهر من العدالة، كتقديم البعض للمحاكمات، مثل محاسبة صغار المتورطين في جرائم التعذيب بينما يترك واضعو السياسات، وهنا يشعر الناس أن العدالة تحققت، وهي قنوات بالإضافة إلىٰ كونها لا تحقق العدالة، فهي بطيئة، تساهم في موت الغضب.

الترغيب والترهيب: فمن تعرضوا للتعذيب مثلاً قد يخافون من الكلام، أو يتم تهديدهم أو تهديد ذويهم، وقد تنفق الحكومة علىٰ جهات معينة وتكافئها علىٰ صمتها، كما يتم تخويف الرموز وعموم الناس من المشاركة والتضامن.

بهذه الاستراتيجيات الخمس تقوم الحكومات بارتكاب الجرائم المرفوضة عالميًا.

استراتيجيات المقاومة المضادة

لا يكفي التفكير في كيفية التعامل مع القمع فحسب، بل بقطع الطريق وإجهاض هذه الاستراتيجيات المصاحبة **من خلال استراتيجيات عكسية تقوم علىٰ التالي**:

افضح ما حدث

- التوثيق والتصوير والنشر.

- عروض الشوارع وساحات الحوار.

دعم المستهدفين بالقمع

- إعادة طرح قضيتهم وتأكيد أهميتها وعدالتها.
- إظهار الجوانب الإيجابية (**إظهار الجوانب الإنسانية فيمن وقع عليهم الاعتداء. فإظهار الصور الشخصية والعائلية يبين أنهم أشخاص عاديون مثل باقي الجماهير، ويغير الصورة الذهنية**).
- إظهار التأثير المدمر لجريمة القمع مقابل التهوين من شأنها وآثارها.

إعادة صياغة الأحداث

- التأكيد علىٰ تسمية ما وقع بأنه «**ظلم**».
- مقاومة الكذب بالمعلومة الصحيحة.
- تحديد المسؤول مقابل «**إلقاء اللوم**» الذي يقوم به مرتكب الجريمة.

تجنب منزلق القنوات الرسمية

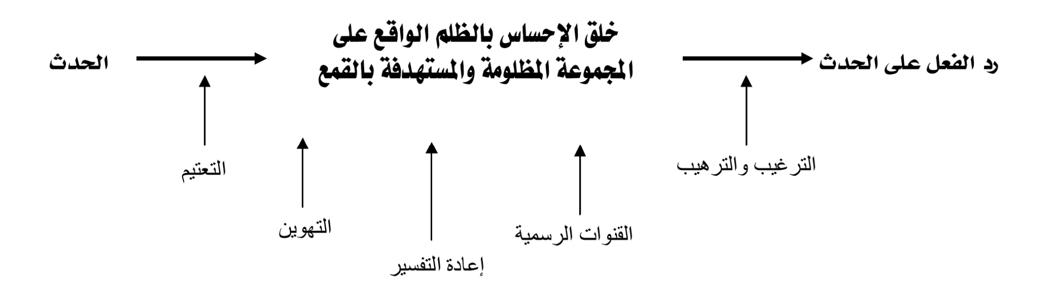
- التحذير من فخ الدفع في مسار القنوات الرسمية الشرعية خاصة عندما تكون سيئة السمعة متواطئة، تضيع العدالة في سراديبها.
- التذكير بمواقف وقضايا مشابهة تم إجهاضها عبر القنوات الرسمية.

مقاومة الترغيب والترهيب

- الاستمرار في الجهر بالحق.
- دعم من يغيرون رأيهم وينحازون إليك.
- التضامن مع من يتم تخويفهم ليصمتون.
- توثيق وعرض الترهيب والترغيب، والتحذير من عواقب الإذعان للترغيب والترهيب.

هذه الاستراتيجيات المضادة قد تدفع بشكل إيجابي في الارتداد العكسي للقمع. وهو ما يطلَق عليه "**Backfire**". فلا يكفي التفكير في كيفية الرد علىٰ

خصمك، ولكن من المهم التفكير في إحباط ما يقوم به خصومك ليمتصوا ويحدوا من غضب الناس. فالظلم في حد ذاته ليس دائمًا كاف لإثارة الغضب، خاصة إن تبعته إجراءات امتصاص.



شكل 9: **الاستراتيجيات الخمس الملازمة لعمليات القمع، والتي تستخدمها الحكومات للتقليل من رد الفعل الغاضب الداخلي أو الخارجي. والتي يمكن التصدي لها عبر خلق إحساس شعبي بمدىٰ الظلم الذي وقع علىٰ المجموعات التي تعرضت للقمع. النجاح في خلق هذا الإحساس يعني نجاح الاستراتيجيات المضادة وبالتالي يأتي رد الفعل في صالح المقاومة**

ونشير هنا إلىٰ أن الالتزام بالمقاومة اللاعنيفة والتأكيد عليها قولاً وعملاً يفقد الخصم الكثير من فرص تزييف الحقائق. والدقة في تصميم تفاصيل الأنشطة وسد الثغرات الأخلاقية والقانونية يحرم الخصم من قدرته علىٰ تفسير الأحداث ضد حركة المقاومة بطريقة تخدم مصالحه.

* * * *

القاعدة الحادية عشر

استثمر القمع في إجراء حوار واعتبره امتداداً للنشاط

تهدف وسائل اللاعنف والأنشطة المتنوعة التي تدعو إليها قوىٰ التغيير إلىٰ توجيه رسائل لعدة أطراف، لذلك كانت الأنشطة لغة الحوار في قاموس العصيان. ولا يُنظر للقمع باعتباره عقوبة طارئة علىٰ الأنشطة، بل يعتبرها مقاومو اللاعنف امتداداً لها، وامتداداً لفكرة إجراء الحوار مع الأطراف المتعددة.

فكما أن مظهر المسيرة الحاشدة يوصل رسائل لأطراف عدة، فإن مشهد القمع ورد فعل المقاومة تجاهه يوصل رسائل للمقاومين، والمترددين، وعموم الناس، والمخالفين، وقوىٰ القمع، والنظام، والمجتمع الدولي. هذا المشهد الذي قد يبدو محدوداً فإن تأثيراته تكون عظيمة في خلق جدل داخلي وخارجي.. فقط إن توفرت كاميرا تنقل ما يجري.

لذلك كان اهتمام المقاومة المحترفة ببذل الجهد في التخطيط لكيفية التعامل مع القمع، مثلما تبذل الجهد في التخطيط للنشاط، ليس فقط من أجل منع القمع أو تلافي أضراره، وإنما لاستثماره في خلق حوار مع مختلف الأطراف، وإيصال رسالة واضحة لكل طرف.

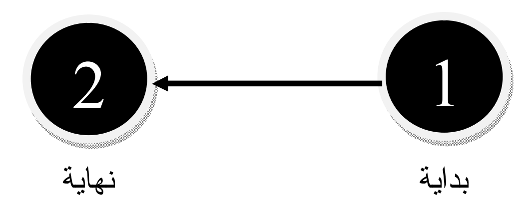
إن عبقرية حرب اللاعنف في أنها لا تنظر للقمع علىٰ أنه عقوبة، كما أنها لا تتمناه أو تسعىٰ إليه، ولكنها تعتبره - في حالة حدوثه - جزءاً من نشاط المقاومة، وكأنه مرحلة من مراحلها تعرف كيف تستثمرها لصالحها.

فإن قلنا أن الحركة تخطط لاحتمالين:

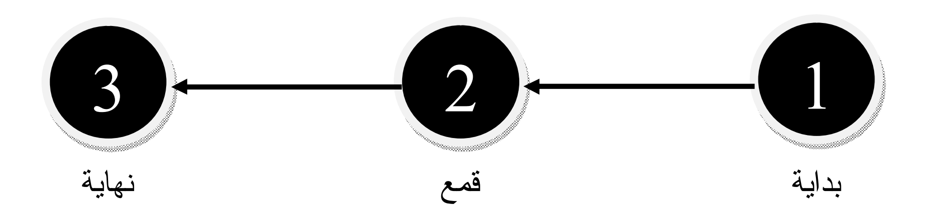
الاحتمال الأول: أن يكون النشاط عبارة عن محطتين: محطة البداية ثم الانتهاء بدون حدوث قمع.

الاحتمال الثاني: أن يكون النشاط عبارة عن ثلاث محطات: محطة البداية ثم القمع ثم الانتهاء.

والاحتمال الثاني هو الذي يعنينا في هذا الكتاب، حيث يكون التفكير في ألا يكون القمع أداة في يد السلطة تنهي بها النشاط في الوقت الذي تريد. ولكنه في وعي المقاومة المحطة الثانية، وستبقىٰ مهمة إسدال الستار (المحطة الثالثة) علىٰ النشاط في يد المقاومة، هي التي ستحدد كيف تكون الخاتمة.



شكل 10: نشاط تقليدي ينتهي بسلام، له نقطة بداية ونقطة نهاية.



شكل 11: نشاط يحدث فيه قمع، يعتبر المقاومون أن القمع جزءا من النشاط، فهو المرحلة الثانية فيه، تليها المرحلة الثالثة الذي تنتهي فيها محصلة النشاط لصالح المقاومة.

فإن قلنا علىٰ سبيل المثال أن مجموعة خرجت للتظاهر، وكانت متوقعة حدوث قمع، وكانت خطتها تقتضي عدم تجنب المكان المتوقع فيه القمع، والسير قدماً في طريقها لإعلان التحدي. فإنها ستفكر في كيفية تحويل القمع إلىٰ عنصر مؤثر في نشاطها إيجابياً، وذلك من خلال إجراءات قبل، وأثناء، وبعد القمع.

قبل القمع: المبالغة في إظهار السلمية عبر وسائل متنوعة تكتسب التعاطف الشعبي، والتقدير من المخالفين في الرأي. والانتباه إلىٰ أي شيء قد يشكل ذريعة لاستخدام العنف. وإجراءات الحفاظ علىٰ "السلمية" وتأكيدها قد لا تمنع القمع، ولكنها ترفع تكلفته وتحول أثره إلىٰ أثر إيجابي في صالح المقاومة.

أثناء القمع: الاهتمام بالمشهد الذي سيظهر علىٰ شاشات التلفزة، لإظهار مدىٰ التناقض بين الفريقين، مثل رفع لوحات وأعلام تؤكد سلمية العمل، أو تخاطب قوات القمع، أو توزيع حلوىٰ وورود علىٰ قوات الأمن، أو من خلال مجموعات «**جيش المهرجين**» الذي يملأ جيوبه الواسعة بألعاب أطفال صغيرة، ليظهر سخافة ما تقوم به الشرطة حين تعتقله وتقوم بتفتيشه فلا تخرج إلا مجموعة من الألعاب،[1] أو عبر هتافات خاصة تدعو الشعب والعالم لرؤية الإجرام، أو غيرها من الوسائل اللافتة للانتباه.

ويدخل في ذلك مشهد الاعتقال، كيف تريد أن تظهر صورتك للرأي العام، غاضب أم هاديء؟! تدفع قوىٰ الأمن أم تسير بهدوء وثقة؟! كلها اختيارات تجعل من عملية الاعتقال نفسها مشهداً يتطلب اعتناء، وقد يضع كل شخص في جيبه ملصقاً عليه رسالة للرأي العام، يضعها علىٰ جبهته فور الاشتباكات. بحيث تصل الرسالة في حالة اعتقاله أمام الكاميرات.

قد يبدو للوهلة الأولىٰ أن المحتج في قبضة رجل الأمن، لكن الحقيقة أن رجل الأمن هو الذي في قبضته، فكل ما يحدث من رد فعل قمعي تم التخطيط للتعامل معه بذكاء، بحيث يصبح جزءاً من مشهد المقاومة لا مشهد الخصم. إنه شعور المقاوم الذي يعلم – رغم أن الأغلال في يده– أنه ما زال في دائرة الكفاح، لم يتوقف بعد، بل ربما هذا هو المشهد الأهم. فهو فعلياً الذي يكبل

1 للتعرف علىٰ جيش المهرجين انظر الملحق.

القمع ويسيطر عليه ليخدم خطته. هو ليس استسلاماً ولكنها عدوانية سلبية.[1] «**أن تبدو مستكيناً لا تظهر أي مقاومة، لكنك عملياً تهيمن علىٰ الوضع**».[2]

كذلك لا يعتبر المقاومون أن نشاطهم انتهىٰ بالاعتقال، فلديهم الرسائل التي يريدون إيصالها من خلال الاستجوابات والمحاكمات. والرسائل معدة بعناية ودقة، رسائل إلىٰ المقاومين خارج الأسوار، وإلىٰ الشعب وإلىٰ معسكر النظام، وإلىٰ المجتمع الدولي.

بعد القمع: الترويج لنبل المقاومة وإجرام النظام، من خلال عدة أنشطة مثل المؤتمرات الصحفية، والبرامج التلفزيونية، والاهتمام بعرض الجوانب الإنسانية، والمقاضاة القانونية، والتضامن أمام مقار الأمن مع المعتقلين وإطلاق الجنائز (**التي تعتبر امتداداً للنشاط**).

إن القمع هو الذي يعطي قبلة الحياة للأنشطة المحدودة (**في زمنها وأثرها**)، فالنشاط الذي كان مقرراً له أن تكون مدته ساعة في حالة السيناريو التقليدي، يتحول بفعل القمع إلىٰ سلسلة طويلة من الأنشطة قد تستمر أسابيع وقد تشعل شرارة التغيير في المجتمع، وربما في العالم. فصفعة شرطية علىٰ وجه البوعزيزي في تونس أشعلت ثورة في العالم العربي. وتعتبر اللقطات والصور بمثابة الذخيرة المصوبة في صدر النظام. فإن كان سلاح الأنظمة المستبدة هو الرصاص وقنابل الغاز؛ فسلاح المقاومة اللاعنيفة عقل متقد وكاميرا ذكية جريئة.

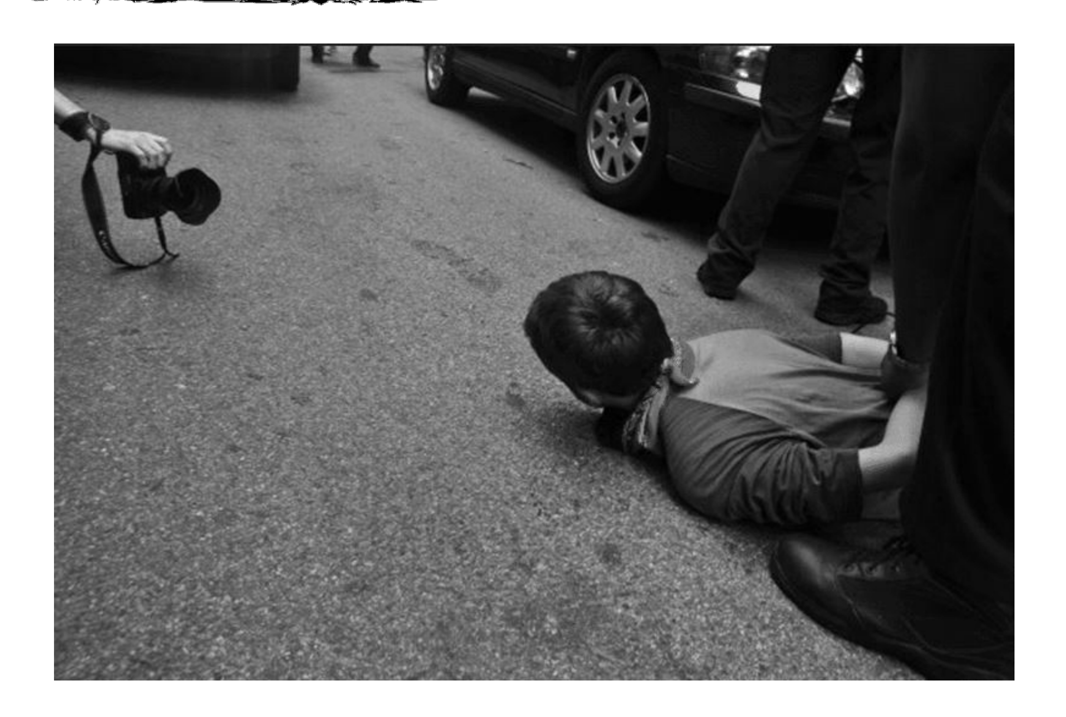
إن من إبداع حرب اللاعنف أنها لا تعتبر القمع عقوبة، لا تتمناه، ولكنه إن حدث أصبح امتداداً للنشاط، وجزءاً من الخطة.[3]

---

1 مصطلح العدوانية السلبية منقول عن روبرت غرين في كتابه 33 استراتيجية للحرب.

2 روبرت غرين، 33 استراتيجية للحرب، مكتبة العبيكان وكلمة، ط1، 2009، ص15.

3 لتوضيح فكرة جعل الضرب جزء من الخطة، نضرب مثالاً بطفل، كان له زميل يضربه كل يوم، لكن بنيته الجسدية لا تمكنه من الرد عليه، كما أن أهله ربوه علىٰ ألا يطلق للغضب العنان، ويعمل عقله، ولا =



صورة 26: دور الكاميرا في نقل حالات الاعتقال، حيث يعتبرها المقاوم فرصة لإيصال رسالة وليست مجرد عقوبة.

= يترك حقه.. قرر أن يدبر خطة، وطلب من أعز أصدقائه أن يصور في اليوم التالي مشهد الضرب، ثم يعرضه في اليوم التالي أمام باب المدرسة ليراه المدرسون جميعاً والطلاب وأولياء الأمور الذين يوصلون أبناءهم .

وعندما جاء الصباح ذهب سعيداً إلىٰ المدرسة. ترىٰ هل يتمنىٰ أن يأتي زميله الذي يضربه أم لا؟! تكاد تكون هذه هي المرة الأولىٰ التي يتمنىٰ فيها أن يأتي زميله ولا يتغيب. بل في هذه المرة كلما أفرط زميله في الوحشية، أفرط هو في الاستسلام، لم يوجه له حتىٰ كلمة يسبه بها، كانت سعادة الطفل غامرة، خاصة كلما لمح عدسة التصوير.. ترىٰ كيف تحول الضرب إلىٰ مصدر سعادة هكذا؟! أين الشعور بالإهانة؟!

لم يضربه زميله هذه المرة علىٰ وجهه، ما هذا؟! يبدو أنه نسي؟! كاد أن يقول له .. اضرب بضمير لا تحرجني.. ثم حاول أن يضع وجهه متعمداً بين راحة كفيه... كان إذا ضربه علىٰ خده الأيمن يدير له خده الأيسر لتكتمل الجريمة.. فهو يعلم أن المشهد الآن مصور.. وأن زميله نهايته وشيكة!!



صورة 27: متظاهر في حراك وول ستريت يهتم بالمشهد الذي سيظهر عليه أمام وسائل الإعلام.

نموذج تخطيطي

الطرف	الرسالة	الاستراتيجية	التكتيك	التوقيت		
				قبل	أثناء	بعد
المشاركون	التظاهرة سلمية	الأجواء الاحتفالية	غناء			
			هتافات تؤكد المعنىٰ			
			كلمات			
	الشكر والتقدير	الإعلام العام	بيان شكر للتمسك بالكفاح اللاعنيف بشجاعة			
قوات القمع	التظاهرة سلمية	تقليل التوتر	بيان يؤكد السلمية			
			تقديم العائلات والأطفال			
	لستم أعداءنا	التواصل المباشر	تقديم الورود			
			رفع لافتات			
عموم الناس	لسنا إرهابيين	صناعة البهجة	ربط بالونة في كل علم			
	النظام إرهابي	تحمل الضربات	التصدي بشكل أعزل			
النظام	مستمرون	رفع سقف التحدي	الذهاب لمكان مؤثر			
المجتمع الدولي						

جدول 7 : يتم تصميم استراتيجية التعامل مع القمع بناء علىٰ الرسائل المراد إيصالها إلىٰ كل طرف، فتحدد الرسائل التي ستوجه للمشاركين في التظاهرة، ولقوات القمع، والاستراتيجيات التي توصل كل رسالة، ثم التكتيكات التي تحقق كل استراتيجية، ويطبق نفس الشيء علىٰ بقية الأطراف مثل عموم الناس، والنظام، والمجتمع الدولي. وقد توضع أطراف أخرىٰ مثل الأهالي في المنطقة

التي يتم فيها النشاط، يتوقف الأمر علىٰ طبيعة الموقف والحالة. والمناطق المظللة باللون الأسود تحدد توقيت استخدام التكتيك إن كان قبل أو بعد أو أثناء القمع.

سنلاحظ في هذا النموذج أن التخطيط لإجراء حوار يعني الانتباه للأنشطة القبلية والبعدية للقمع، بحيث يوصل سلوك المحتجين قبل وأثناء وبعد القمع رسالة محددة متصلة خلال هذه المراحل الثلاث. ففي المثال المذكور سنجد أن المخطِطَ للنشاط يحدد الرسائل التي يريد إيصالها، ثم يحدد كيفية وتوقيت إيصالها من خلال استراتيجيات وتكتيكات فعالة قبل أو بعد أو أثناء القمع.

فهو يؤكد للمقاومين التمسك بالمسار اللاعنيف، من خلال استراتيجية تعتمد علىٰ خلق أجواء احتفالية بتكتيكات تجمع الأغاني والكلمات، بالإضافة إلىٰ الهتافات التي تستمر أيضـًا مع المحتجين أثناء القمع. أما بعد القمع فتصل لهم رسالة شكر وتقدير من خلال بيان رسمي.

أما بالنسبة لقوات القمع فسيهتم المحتجون قبل التظاهرة **(أي قبل التعرض لآلة القمع)** بنشر بيان، كما سيبدأ المحتجون يومهم بتوزيع الورود، وسيقدمون كبار السن والأطفال، ويرفعون لافتات قبل وأثناء النشاط تؤكد سلميتهم. من خلال كلمات وأغاني قبل القمع، ومن خلال هتافات تؤكد المعنىٰ أثناء النشاط، كما ستصل رسالة تقدير للمشاركين من خلال بيان يشكر كل من ساهم في التظاهرة.

كذلك سيخاطبون عموم الناس عبر التعبير الصادق بتحدي الجسد الأعزل، بالإضافة أعلام معلق عليها بالونات، مما يضفي جواً مؤكداً للسلمية، وأن هؤلاء لا يستحقون ما جرىٰ لهم.

أما الرسالة الموجهة للنظام فهي الاستمرار رغم القمع، وإتباعه بالتوجه

لمكان له دلالة رمزية تؤكد استمرار الكفاح.

كذلك يمكن توجيه رسالة للمجتمع الدولي إن كان ثمة تشويه للمقاومة علىٰ المستوىٰ العالمي، كما يمكن إضافة المزيد من الأطراف مثل أهالي المنطقة. وتضاف الأطراف بصفة عامة بحسب الحاجة.

من خلال هذا النموذج الشارح نرىٰ كيف يتحول القمع في حد ذاته – أو بالأحرىٰ عملية التعامل مع القمع – إلىٰ نشاط يخلق حواراً مع الكثير من الأطراف ويوصل رسائل مختلفة، كأنه بالضبط نشاط عادي للمقاومة.



القاعدة الثانية عشر

قاوم الخوف واليأس

تتطلب حرب اللاعنف شجاعة، خاصة في مواجهة الأنظمة القمعية. ويعتبر جدار الخوف من أهم الحصون التي تختبيء وراءها الممارسات القمعية. فالنظم تفرض طاعتها عبر تشييد هذا الجدار في النفوس. هي فقط تضع حجر الأساس، ثم تترك للناس مهمة تشييد جدار خوفهم بأنفسهم، من خلال التلاعب بالعقول، وزراعة الوهم في الرؤوس.

وتعمل حرب اللاعنف من اليوم الأول علىٰ كسر جدار الخوف، من خلال تحرير العقول، حتىٰ تتمكن من رؤية الواقع من منظور جديد عكس المنظور الذي تسوقه الأنظمة المستبدة، لتؤكد أن المجتمعات هي من تملك القوة، وهي التي تمد بها أنظمتها عبر الطاعة اليومية. وفي نفس الوقت تحاول الأنظمة إقناع الشعب أنها وحدها المسيطرة، وأنه لولاها لما كان الشعب.[1]

بين جدار اليأس والخوف

ويجب التمييز بين مفهومي «**اليأس**»و«**الخوف**»، فليس كل عزوف عن المشاركة سببه الخوف، أحيانًا يكون السبب هو اليأس. اليأس من إمكانية التغيير، فلطالما اتهمت شعوب المنطقة العربية بالخوف والسلبية، ومع اندلاع ثورة تونس إذا بنا نرىٰ الشعوب تنتفض في مشهد صادم للقناعات السابقة. لم تكن الشعوب جبانة، بقدر ما كانت يائسة من إمكانية التغيير علىٰ الطريقة التي يطرحها السياسيون التقليديون، فحين رأىٰ الناس نتائج الحراك الشعبي في تونس وهروب بن علي في يناير 2011، تحطمت جدارن اليأس، واستبسلت الشعوب وقدمت تضحيات لنكتشف أن جدار اليأس كان أعلىٰ بكثير من جدار الخوف.

ويمكن تحديد أسباب اليأس في:

* غياب رؤية للمستقبل مما يؤدي إلىٰ تكبيل الحركة.

---

1 للمزيد من التفاصيل حول نظرية القوة في منظور حرب اللاعنف، يمكنك الرجوع إلىٰ كتاب "حرب اللاعنف.. الخيار الثالث" إصدار أكاديمية التغيير.

* غياب رؤية للمسارات الفعالة المقنعة عملياً بإمكانية حدوث التغيير.
* غياب النموذج العملي الذي يعرض الرؤية وينحت المسار.
* عدم الاقتناع بأن التضحية المطلوبة تتناسب مع الهدف، فلا تقدم التضحيات بدون مقابل.

وعلاج اليأس أو بالأحرى بعث الأمل يتطلب:

* رؤية واضحة.
* مساراً مقنعاً، ويلعب العلم ونشر الثقافة هنا دوراً كبيراً، فالعلم نور يهدي إلىٰ الطريق السليم.
* نماذج عملية تسير علىٰ المسار.
* نجاحات جزئية تؤكد صحة المسار.

ولا يكون علاج اليأس بالخطب العاطفية، التي قد تلعب دوراً مؤقتاً، لكنها بعد فترة طويلة تزيد اليأس طبقات وطبقات.

إذا انتهينا من هدم جدار اليأس، نعيد النظر.. هل ما زال الناس مترددون؟! إذن ربما هنا نصطدم بحاجز الخوف، مما يتطلب أن نفهم فلسفة كرة الخوف.

كرة الخوف

من الطبيعي أن تخاف الجماهير وعموم المشاركين؛ بل والمقاومون من هيئة قوىٰ الأمن المدججة بالسلاح. وليس غريباً أن ينتقل هذا الخوف بسرعة بين قلوب المشاركين في التظاهرات والاعتصامات. المهم ألا يستقر الخوف داخل ملعب المقاومة.

إن الخوف عنصر حاضر في المعركة.. إما أن تحتفظ به أو تجعله من نصيب خصمك، هو عنصر متأرجح بين الطرفين ككرة التنس، لكنها في النهاية تقع في ملعب طرف واحد.

وعلىٰ المقاومة اللاعنيفة أن تدرك أن الإشكالية ليست في القمع، وإنما في الخوف من القمع. فحرب اللاعنف لا تهدف في الغالب – خاصةً في البدايات– إلىٰ السيطرة علىٰ مناطق بعينها مثلما يحدث في الحروب العسكرية النظامية، وإنما هي أقرب لحرب العصابات التي تعتمد الكر والفر. لذا فالحركة الدائمة والمستمرة لحركة المقاومة تُفقِدُ أداة القمع النظامية والثابتة مفعولها، المهم أن تكون المقاومة أشجع من آلة القمع وأن تكون قادرة علىٰ إنهاكها.

كيف نتغلب على الخوف؟

إن علاج الخوف يكون من خلال عدة أمور:

قبل النشاط

التثقيف: فالخوف مرده توقع أمر سيء في المستقبل، مثل الضرب المبرح أو الاعتقال. وجزء من أسبابه الجهل، وعدم معرفة أين يقف الخصم وماذا يفعل.[1] لذلك كانت التوعية من أهم أسباب كسر حاجز الخوف، من خلال:

* التعريف بآلية التعامل مع الخوف.
* التعريف باستراتيجيات الخصم المتبعة في القمع، والاستراتيجيات المضادة للتعامل معها.[2]
* التعريف بتفاصيل الهروب إن لزم الأمر، وكيفية التعامل في حالة الاعتقال. والتعريف بالدور الذي يلعبه المعتقل مع المحققين وفي المحكمة.
* وبذلك يتم قطع الطريق علىٰ أن يؤثر عنصر المفاجأة بدرجة كبيرة علىٰ المشارك، فهو تقريباً يتوقع ما سيحدث. فتوقع ما سيحدث علىٰ سبيل المثال عند الوصول إلىٰ منطقة فيها مجازفة، يقلل من الخوف والارتباك.

---

1 سيردجا بوبابيتش، أندريج مولافيجتش، سولوبودان دينوجونفيتش، الكفاح السلمي.. 50 نقطة حاسمة، مركز تطبيق الاستراتيجيات وعمل اللاعنف، بلجراد، صربيا، 2006. ص132.

2 نفس المصدر السابق، ص133.

تحديد قواعد التعامل مع الأفراد الخائفين: فالخوف لا يستحق التوبيخ أو التلاوم لأنه حالة عقلية ونفسية وجسدية تختلف من إنسان لآخر. وعندما نفهم كيف يعمل الخوف، سنتوقف عن جلد ذواتنا. إن المقاومة الناضجة لا تصف الخائف بالجبان، بل تساعده علىٰ أن يتحرر من هذه الحالة.[1] وبالتكرار والتعود ينكسر الخوف شيئًا فشيئًا.

التشجيع علىٰ الانضباط: بمسار اللاعنف وتحديد مكافآت لذلك.[2]

نقل التجارب: من المفيد أن ينقل الذين تعرضوا لتجربة قمع تجاربهم ومشاعرهم للآخرين.[3] ويمكن أرشفة هذه التجارب علىٰ شبكة الإنترنت في موقع خاص بجدار الخوف، بحيث يتمكن الجميع من الاطلاع عليه والاستفادة من التجارب.

المرح: القيام بأعمال فيها مرح قبل النشاط يقلل من الخوف والارتباك.[4]

تعظيم الحدث: والنتيجة المرجوة منه، ومخاطبة العاطفة، مما يزيد الحماس لمجابهة الخوف.[5] ففي هذه الحالة تستخدم العاطفة لمواجهة العقل.

الصلوات: تساعد الصلوات والدعوات في المجموعات التي لها انتماءات دينية علىٰ هدوء البال وسكينة القلب.

---

1 الخوف من الناحية الفسيولوجية هو عبارة عن خليط من الإفرازات الهرمونية (الأدرينالين) والرسائل العصبية، وزيادة سرعة تدفق الدماء في الأوعية الدموية، بالإضافة إلىٰ إطلاق المزيد من الجلوكوز (الوقود) الذي يساعد علىٰ شد العضلات ومضاعفة القوة البشرية العضلية والجسدية. وسبب ذلك أن الطبيعة الأم تهيئ أجسادنا لردة فعل فوق طبيعية عندما تتصور عقولنا أن أجسادنا مهددة. وهنا ينبغي علىٰ الإنسان أن يفكر.. هل يستثمر هذه القوة الجسدية المضاعفة وفوق الطبيعية في الفرار أم في الكفاح والمقاومة؟!

2 نفس المصدر السابق، ص 133.

3 نفس المصدر السابق، ص 133.

4 نفس المصدر السابق، ص 133.

5 نفس المصدر السابق، ص 133.

صناعة الانتماء: من خلال الدعوة لارتداء ملابس موحدة أو رفع شعارات متشابهة، أو الوقوف معاً والجلوس معاً، والتحرك بطريقة منظمة. بحيث يشعر الفرد بالانتماء لمجموعة أكبر، يشعر بينها بالدفء.[1] إن الهتافات واللافتات والشعارات والحركة الموحدة تساهم بشكل كبير ليس فقط في مخاطبة عموم الناس، وإنما في مخاطبة المشاركين في النشاط لأنفسهم، وإحساسهم بقوتهم ووحدتهم وترابطهم وتضامنهم.

أثناء النشاط

خوض النشاط: فخوض النشاط في حد ذاته يساهم في كسر حاجز الخوف. ويلاحظ أن الخوف يزول تدريجياً من قلوب الذين يواظبون علىٰ المشاركة في الاحتجاجات بشكل مستمر، حيث تُكتسب الشجاعة تدريجياً، وتتحول المشاهد المخيفة إلىٰ مشاهد معتادة، مثلما تجد طفلاً صغيراً يخشىٰ في البداية ماء البحر، ثم ما يلبث أن يهرول نحوه.

الحشود الكثيفة: حيث يشعر المتظاهرون بالدفء الثوري، وأن هذا العدد الضخم لن تستطيع قوة أن تقف أمامه، كما تتيح للمحتج خيارات أخرىٰ في حالات العنف، مثل الرجوع للصفوف الخلفية، بعكس المظاهرات قليلة العدد التي يجد المتظاهر نفسه في جميع الأحوال في مرمىٰ القمع.

حسن التخطيط ورفع التكلفة علىٰ القمع: بحيث لا يتم استخدامه بشكل مفرط، من خلال اختيار استراتيجيات وتكتيكات واعية سواء فيما يتعلق بمناطق التواجد، أو بالمنشآت، الخ. إضافة إلىٰ التواجد المكثف والبارز لكاميرات التصوير، فهي السلاح المركزي لدىٰ المقاومين.

توفير وسائل الحماية الأساسية: مثل نظارة البحر، والخوذة، وزجاجة الخل،

---

1 نفس المصدر السابق، ص 134.

وقناع الغاز، وحقيبة الظهر، وغيرها من وسائل الحماية.[1] فالخوف أحياناً تكون أسبابه منطقية، متعلقة بعدم توفر وسائل أساسية للحماية، لذلك كانت حماية الجسد خطوة في طريق الحماية من الخوف.

كذلك تُوَفَر وسائل الحماية الجماعية مثل الدروع الكبيرة والمظلات الصلبة التي تحمي رؤوس المتظاهرين. بالإضافة إلىٰ مجموعات «**حفظ السلام**» التي يكون دورها تأمين المسيرات والتعامل مع الهجمات.

عدم الاستماع للخصم: فقوات القمع أحياناً تصدر تحذيرات تهديدية عبر مكبرات الصوت، أو يضرب الجنود بعصيهم علىٰ الدروع ليصدروا أصواتاً تهديدية، في هذه الحالة من المفيد التشويش علىٰ هذه الأصوات، بقرع الطبول أو إطلاق ألعاب نارية في الهواء، أو الغناء والهتاف بصوت عال.[2]

رفع لافتات ضخمة:[3] علىٰ الأعمدة والمباني، تؤكد للمقاومين أهدافهم وتلهمهم معاني الصمود والاستبسال، وكلما نظروا إليها امتلأوا حماساً.

الانشغال بالعمل: سواء كان في تظاهرة أو اعتصام أو أي نشاط، فالانشغال بعمل محدد يساعد في تقليل الارتباك والخوف،[4] لأن العقل ينشغل بموضوع آخر، ومن أمثلة العمل التصوير أو إشعال حماس المحتجين أو مخاطبة عموم الناس الذين يتفرجون، أو توزيع حلوىٰ علىٰ المارة.. وهكذا.

التحرك الجماعي: فمما يقلل الخوف تحرك المجموعات معاً، بل يتحول

---

1 يمكن الرجوع إلىٰ كتاب "الدروع الواقية من الخوف" من إصدارات أكاديمية التغيير، وهو كتاب يستعرض أشكالاً متنوعة لتوفير الحماية الفردية والجماعية.

2 سيردجا بوبابيتش، أندريج مولافيجتش، سولوبودان دينوجونفيتش، الكفاح السلمي.. 50 نقطة حاسمة، مركز تطبيق الاستراتيجيات وعمل اللاعنف، بلجراد، صربيا، 2006. ص134.

3 نفس المصدر السابق، ص 134.

4 نفس المصدر السابق، ص133.

الخوف في أوقات الأزمة ميدانياً من رهبة القمع إلىٰ خشية فراق المجموعة والتحرك منفرداً، هنا تعتبر المجموعة والبقاء معها بمثابة الدرع النفسي للشخص.

فرق الأبطال: وهم مجموعات من الشباب المقدام الشجاع الذين يشكلون الخطوط الأمامية للمواجهة مع آلة القمع. وهم المدربون والمجهزون بأدوات الحماية المناسبة. ومتمرسون علىٰ التعامل مع حالات القمع.

إن «**فرق الأبطال**» بصمودها وشموخها واستبسالها وشجاعتها لا تتصدر فقط خطوط المواجهة؛ وإنما تنقل عدوىٰ الشجاعة والثقة بالنفس لعموم المشاركين، فحين يراهم المتظاهرون يحملون قنبلة الغاز ليرموها في الاتجاه المضاد، أو يطيرون صوب الوجهة التي يُسمع فيها صوت الأعيرة النارية، في تحد صارخ للموت، حينها يتمنون لو ولدوا أبطالاً كهؤلاء البواسل الذين يسطرون بشجاعتهم صفحات التاريخ الحديث. والذين سيكونون أساطير وحكايات ما قبل النوم للأجيال القادمة. وحين يرون ملامح الشجاعة في صعود البنايات العالية بخفة بالغة، أو أعمدة الإنارة لرفع علم كبير، حينها ترتفع الأنظار إليهم، وترفرف الروح مع العلم.

ربما يقوم بعض الشباب بهذه الأعمال بشكل عفوي دون أن يعلموا كم يؤثر ذلك في معنويات المشاهدين. لكن المقاومة الواعية تعمد إلىٰ تشكيل «**فرق الأبطال**» والقذف بهم في أتون المواجهة بوعي واستراتيجية مدروسة، ليكونوا ملهمي الجماهير. وهذا يتطلب خدمة لاحقة لما يقومون به، مثل الأرشفة اليومية والمباشرة لمواقف «**فرق الأبطال**» منذ اليوم الأول في سجل المقاومة الناصع، ولا تترك عملية الأرشفة لحين انتهاء المقاومة، فهم وقودها اليومي ومشعلو الثورة وملهمو الجماهير. فمشهد واحد من مشاهد الصمود يحرر الملايين ويدفعهم للمشاركة.

أي أن «**فرق الأبطال**» يمكن أن تُصنَعَ صناعةً، بداية من الإعداد إلىٰ اختيار التكتيكات الملهمة، إلىٰ الخدمة الإعلامية لاحقًا.

❊ ❊ ❊ ❊



القاعدة الثالثة عشر

تمسك بالمسار وتسلح بالانضباط، ولا تحركك غريزة الانتقام



اجعل نصب عينيك المسار الذي اخترته لتخوض به معركتك، وهو المسار اللاعنيف، ولا تجعل شدة القمع تدفعك لرد فعل سريع يحرفك عن المسار، لا تفكر بعقل انتقامي، وتحَلَّ بضبط النفس. والقاعدة موجهة بدرجة أولىٰ للقيادات التي تحشد وتوجه، ثم للشخص العادي القادر علىٰ ضبط النفس.

وانتبه إلىٰ أنه «**في قلب المعركة يميل العقل إلىٰ فقدان اتزانه، حين تواجهه الكثير من الأمور في وقت واحد، نكسات غير متوقعة، شكوك في الحلفاء.. ثمة خطر في الرد بشكل عاطفي، بخوف، بإحباط، أو بيأس.. زد من صلابة عقلك عبر تعريضه للمحن. تعلم أن تفصل نفسك عن فوضىٰ ساحة المعركة. دع الآخرين يفقدون صوابهم، أما حضور ذهنك فسيحررك من تأثيرهم ويبقيك علىٰ المسار الصحيح**»[1].

إن حرب اللاعنف كأي حرب تتطلب انضباطًا في المسار، وتمسكًا به، فإن كان ثمة حاجة لتغيير المسار فيجب أن يكون ذلك عن إرادة وطاقة عقلية وليست عاطفية. فكما كان اختيار المسار نابع عن تفكير عقلي، فإن تغييره ينبغي أن يخضع لنفس المعيار. فالضربات القمعية تهدف إلىٰ إفقاد القيادة قدرتها علىٰ التفكير، ومن ثم تبدأ في تنفيذ برنامج الخصم.

والأفضل أن توضع كل السيناريوهات المحتملة قبل بدء النشاط، ويكون منها حالات القمع المفرط وكيفية التعامل السريع معه.

إن غريزة الانتصار يجب أن تتفوق علىٰ غريزة الانتقام. فالذي يتحرك بدافع الانتقام قد لا يحقق مراده، بل ربما ينقلب علىٰ القيم التي يدعو إليها، فينتقم من أبرياء ليس لهم حول ولا قوة، وربما هم ضحايا مثله، وقد يلحق بمن سبقه

---

1 روبرت غرين، 33 استراتيجية للحرب، مكتبة العبيكان وكلمة، ط1، 2009، ص67.

ممن قضوا علىٰ طريق التغيير. أما غريزة الانتصار فمشبعة بالحرص علىٰ الوصول.

ويغلب في التجارب التغييرية التي ووجهت بعنف مفرط أن تفكر المجموعات المقاومة باللجوء للعنف، كرد فعل انتقامي من النظام، ويائس من المسار. وهي تكاد تكون ظاهرة متكررة.

كيف تنجو الحركات من التحول للعنف؟

وتنجو الحركات من براثن العنف المدمر في الحالات التالية:

* وعي مجتمعي كبير بفلسفة حرب اللاعنف واستراتيجياتها وتكتيكاتها.
* وعي لدىٰ الحركات بأسلوب حرب اللاعنف. بالإضافة إلىٰ وعيها بالعنف. فاختيار اللاعنف ليس عن جهل، وإنما عن وعي بشروط نجاح العنف وعواقبه علىٰ بنية المجتمع.
* وجود قيادة متمسكة بالمسار، ويسمع لها، ولديها القدرة علىٰ التحكم في الحشود الضخمة. وهذا لا يخالف اللامركزية في العمل، فالقيادة تضع السياسات العامة.
* تحول الحركات إلىٰ مسار العنف، ثم تكبد خسائر فادحة (**شعبيًا وحركيًا**)، مما يدعوها للتفكير في مسارات بديلة. فقد تبدد لديها وهم أن العنف سيأتي بنتائج سريعة.
* وجود حركات لاعنيفة ملتزمة بالمسار وقادرة علىٰ تحقيق إنجازات ولو محدودة، وابتكار وسائل أكثر إيلامًا.

وفي حالة غياب وعي مجتمعي، أو غياب قيادة مركزية تدعو لضبط النفس، فإن الحالتين الأخيرتين تعملان معًا. فتتجه حركات ومجموعات للعنف، وتخفق في مسارها، ويتزامن مع ذلك وجود حركات ومجموعات لاعنيفة، مصرة علىٰ الالتزام بالمسار، وقادرة علىٰ توليد بدائل فعالة تلفت الانتباه.

آليات ضبط النفس

ضبط النفس خصلة ضرورية للقادة، سواءً اكتسبوها بالجهد والتدريب، أو كانت خصلة فطرية لديهم. وعادةً ما يكون ضبط النفس شاقًا علىٰ غير المدربين، أو الذين لا يمتلكون هذه الخصلة بشكل فطري. فالتحكم في المشاعر يعني أنك لم تفقد عقلك، فالرغبة الملحة في الرد تدفعها المشاعر والغريزة، أما كيفية وتوقيت الرد، فهو دور العقل. ليس مطلوبًا أن تقتل المشاعر، فقط نحِّها عن القيادة، واجعلها دافعًا لعقلك لكي يبدأ العمل.

هذا التأجيل لرغبة المشاعر يتطلب تنازلاً عن الراحة المؤقتة التي يجلبها التنفيس عن المشاعر. فربما **«يشعرك التعبير بحرية عن انفعالاتك بالراحة اللحظية، لكنه يجعلك تخسر الكثير علىٰ المدىٰ الطويل. المشاعر تشوش العقل، وتفقدك الرؤية الواضحة، وهذا يمنعك من التأهب والاستجابة باقتدار لما يواجهك من تحديات».**[1] **«لا تكبت المشاعر ولكن عبر عنها بحكمة، والأهم ألا تشوش علىٰ تفكيرك».**[2]

من آليات ضبط المشاعر

التنفيس السريع المدروس: فإن كنت ممكن يرغبون في التنفيس عن مشاعرهم سريعًا فحدد مسارات التنفيس التي يقننها عقلك، مثل القيام بعمل مداخلة هاتفية عبر الفضائيات لتشرح ما جرىٰ. حدد أفضل طريقة للتنفيس تتناسب مع شخصيتك، إن وجدت أن التنفيس الفوري ضرورة ملحة. واحرص ألا يكون لهذا التنفيس أثر سلبي.

البعد عن أسباب إثارة المشاعر، ومن وسائل ذلك:

* لا تتابع كثيراً النشرات الإخبارية أو البرامج المستفزة.

---

1 روبرت غرين، قواعد السطوة، إيلاف معات لعلوم النفس والشخصية، الطبعة الأولىٰ، 2011، ص33.

2 نفس المصدر السابق، ص 33.

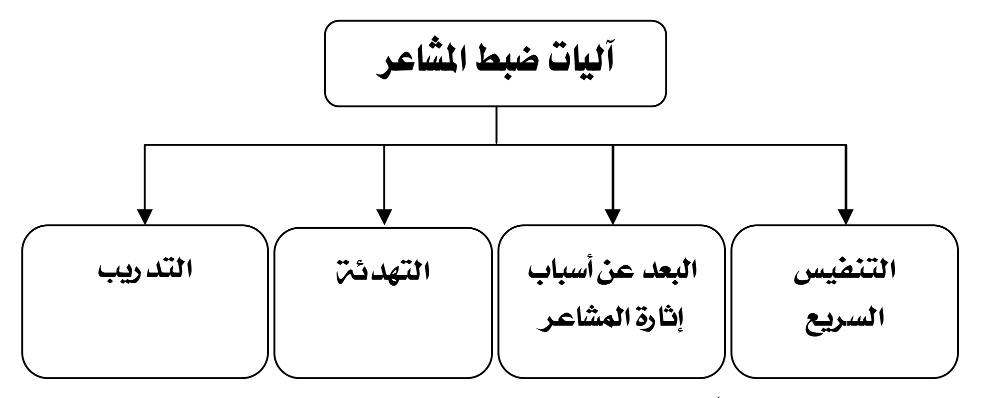
* لا تشاهد مشاهد الفيديو المؤسفة. وأرشفها لديك لتستعملها حين تفقد الحماس، لكن لا حاجة إليك بها وأنت غاضب.
* امتنع قليلاً عن متابعة مواقع التواصل الاجتماعي، أو المشاركة في سجالات حوارية. بحيث تستعيد إمكانية التحكم في عقلك من جديد.
* ابتعد عن الشخصيات التي تعاني «**السخط المزمن**»[1]، والتي لا ترىٰ كل ما حولها إلا من منظور بائس. والتي عادة ما تستخدم مصطلح «**الواقع**».. فتقول لك «**هذا هو الواقع ويجب ألا ننكره**». لأن لكل عقل طريقة في رؤية «**الواقع**»، والقادة عادة ينظرون إلىٰ النقاط التي يمكن من خلالها اختراق الواقع، وليس تأكيده. فينتصرون بالخيال علىٰ الواقع.

التهدئة: ابحث عن الوسائل التي من شأنها أن تهديء مشاعرك، ربما بالتواصل الهاتفي مع أفراد لديهم هذه القدرة، أو مشاهدة أفلام، أو قراءة قصص، أو كتب، أو الخروج في رحلة مع أصدقائك.. الخ.

التدريب: علىٰ إدارة الانفعالات وضبط النفس وتأجيل الرد، وبالتعرض للمواقف الكثيرة تتغير الخصال، بالإضافة إلىٰ مصاحبة من يمتلكون بالفعل هذه الخصال. لذلك فإن المقاوم اللاعنيف في جهاد متواصل مع نفسه، يهتم برعايتها والسيطرة عليها، بحيث يكون ضبط النفس سلوكًا طبيعيًا له، يحركه الغضب ولا يورطه، وبحيث يحقق العقل مطالب العاطفة بأفضل طريقة.

---

1 نفس المصدر السابق، ص147.



شكل 12: تتعدد آليات ضبط المشاعر بين التنفيس السريع المدروس، والبعد عن كل ما يؤدي إلىٰ إثارة المشاعر، والاقتراب في المقابل من كل ما يؤدي إلىٰ التهدئة، ثم يضاف إلىٰ ذلك التدريب المستمر، بحيث يكون ضبط النفس خصلة مكتسبة.

ضبط مشاعر الجموع

إن المشاعر تنتقل كالعدوىٰ، وكلما تمكنت أعداد كبيرة من فرض مشاعرها علىٰ الجموع، كان ذلك أدعىٰ إلىٰ وجود سلوك جمعي من ضبط النفس. ومن وسائل ضبط النفس الجمعي:

❋ تعليق اللوحات واللافتات.

❋ المجموعات التي تتصدر الصفوف.

❋ المجموعات التي تجري حواراً مستمراً مع الجماهير والمشاركين أثناء النشاط. سواء بالسير بينهم مع رفع لافتات تخاطبهم، أوإلقاء كلمات وسط الحشود، أو هتاف محدد... الخ.

❋ المشاهد الاحتفالية التي تقلل التوتر مثل البالونات والأعلام والغناء وتوزيع الحلوىٰ.[1]

---

1 المشاهد الاحتفالية أحياناً لا يكون الهدف منها مخاطبة النظام فقط أو عموم الناس، وإنما نزع توتر المجموعات المشاركة نفسها.

❊ قيادة منضبطة مسموعة ومقدَّرة.

علىٰ الناحية الأخرىٰ استثمر طاقة الغضب عند خصمك، فالغضب سيظهر وجهه الحقيقي، وسيزيل مساحيق التجميل الخادعة. فيبدو دائمًا عبوسًا، بينما تبدو المقاومة دائمًا مرحة تحمل بشارات المستقبل.

❊ ❊ ❊ ❊



القاعدة الرابعة عشر

بعد الضربات القوية
اهتم برفع المعنويات

حرب اللاعنف هي حرب إرادات، والقمع المفرط يسعىٰ إلىٰ كسر المعنويات وخلخلة الإرادة. لذلك كان من المهم وجود مجموعات تهتم برفع المعنويات، خاصة في الحالات التي تحدث فيها إصابات كثيرة أو اعتقالات أو يسقط شهداء.

وموضوع صيانة الإرادة ملف كامل يتطلب من حركات المقاومة من يعكف عليه، ليطور أساليبه بما يتناسب مع المجموعة أو الحركة.

أساليب رفع المعنويات وصيانة الإرادة

ورفع المعنويات لا يكون بعد الهزيمة الميدانية فحسب، فالوقاية خير من العلاج. ولا توجد معارك حتمية الانتصار، ومن ثم توضع إجراءات قبل وبعد وأثناء المعركة للحفاظ علىٰ القوة المعنوية ومضاعفتها.

قبل المعركة

* تجنب ترديد عبارات توحي بأن المعركة المقبلة هي المعركة الأخيرة. مثل «**الزحف الأخير**»، أو«**يوم الحسم**»، أو «**النهاية الحتمية**». يمكن أن تبدأ الحرب، لكن من الصعب عملياً أن تحدد ميعاد النهاية، لذلك يفضل العبارات والشعارات المعبرة عن طبيعة المعركة، وأهدافها الفعلية[1].
* احرص علىٰ التأكيد أن هذا النشاط خطوة علىٰ الطريق. وإن كان نشاطاً جديداً لأول مرة فتحدث عن شرف التجربة، وأن التجربة ما هي إلا اختبار للواقع ووعينا بإمكانية اختراق صعوباته، ومن ثم فإننا نجرب من خلال النشاط وسيلةً جديدةً. قد نكتشف فاعليتها أو لا. واجعل شغف التجربة بديلاً لشغف الانتصار. ومن المهم للمقاومة اللاعنيفة أن توطن نفسها علىٰ النفس الطويل.

---

1 يمكن تحديد مواعيد انتهاء المعارك الجزئية من طرف المقاومة، كأن تخطط لحملة تستمر لمدة شهر ثم تنتهي، أما الحرب ضد الديكتاتوريات، فتتفاعل فيها كافة الأطراف بشكل يصعب فيه تحديد موعد النهاية، نفس الأمر ينطبق علىٰ الديكتاتوريات التي تتوهم أن بإمكانها تحديد المعركة الأخيرة مع الشعب.

* خطط لتقليل الخسائر (**الحركية والسياسية والشعبية**) قدر المستطاع.
* اهتم بالتخطيط للانسحاب المشرف إن لزم الأمر.
* احرص علىٰ التأكيد علىٰ عدالة القضية وأنها تستحق التضحية.

أثناء المعركة

من المهم وجود مجموعات تضع نصب عينها رفع معنويات المشاركين من خلال عدة وسائل مثل:

* رفع الصور (**كصور شهداء**)، واللافتات، والهتافات الموجهة للمشاركين في النشاط، مثل هتاف «**لن نهان**».
* إعطاء معنىٰ للقمع في وعي المتظاهرين، وكيفية استثماره، مثل ترديد هتاف «**اشهد يا عالم**». فيدرك المتظاهرون أن هذا المشهد قد يؤثر عالميًا.
* المجموعات الباسلة التي تتحدىٰ بجرأة لتكسر حاجز الخوف في النفوس وتحيي الأمل.

بعد المعركة

* تأكيد عدالة القضية وضرورة استكمال المسيرة، وتجاوز المصالح الشخصية إلىٰ المصالح العامة، وتوحيد المجموعة علىٰ فكرة واضحة.[1]
* إعادة صياغة ما جرىٰ وتحديد الفوائد التي استفادتها المقاومة، مع تضخيم هذه الفائدة (**دون كذب**). إنها إعادة قراءة للمشهد، مثل «**لم يتمكنوا من أن يسرقوا منا المسار السلمي**». والدراسة العملية لأسباب الإخفاق والدعوة إلىٰ إبداع أفكار جديدة، حتىٰ لا تتكرر الأزمة.
* ترميز الأماكن والمواقف. مثلما قام المصريون بعد مجزرة ميدان «**رابعة العدوية**» في أغسطس 2013 بإكساب الميدان معنىٰ جديد من خلال شعار «**رابعة**».[2]

---

1 روبرت غرين، 33 استراتيجية للحرب، مكتبة العبيكان وكلمة، ط1، 2009، ص145.

2 ابتكار شعار رابعة كان من قبل الأتراك تضامنًا معهم، ثم التقطه المصريون بعد ذلك.

* التوثيق الإعلامي للمعركة بحيث يمكن أن تُبنىٰ عليها أنشطة لاحقًا كامتداد لها، وتحويل القمع إلىٰ مكسب للمقاومة، وتحويل المتضرين بشكل مباشر إلىٰ رموز للمقاومة.
* توضيح المسار والخطوة التالية.. الإجابة علىٰ سؤال (**وماذا بعد؟**)
* عدم الضغط علىٰ المتذمرين ليبقوا في الصف، فالضغط سيلجئهم لإثارة الهزيمة النفسية. أعطهم مطلق الحرية للانفصال عن المجموعة، مع فتح باب العودة إن غيروا رأيهم. ولا تهاجمهم أو تتهمهم بالجبن.
* توفير فريق من الأطباء النفسيين، والاهتمام بجلسات العلاج الجماعية لمن تعرضوا لصدمات كبيرة قد يترتب عليها كراهية كل شيء في المجتمع، والإحباط من إمكانية التغيير. وكما يتواجد الطبيب البشري بمشفاه الميداني في قلب المعركة، فإن الطبيب النفسي يجب أن ينصب مشفاه بعد المعركة. فصيانة النفس والجسد تسيران معًا.
* الاهتمام بإيجاد احتياطي بشري لا يشارك في المعركة، فهؤلاء لم يروا الأزمة، وستكون روحهم المعنوية عالية رغبة في المشاركة وتعويض ما فاتهم. فعبقرية الاستراحة تكون أحيانًا سببًا في رفع المعنويات.. استراحة البعض وعدم الدفع بالجميع للساحات.
* القيام بتكتيك هجومي لاعنيف مفاجيء وخاطف شريطة ألا يترتب عليه خسائر في صفوف المقاومة، ولكنه فقط يهدف إلىٰ استعادة الهيبة ورفع المعنويات، مثل القيام بتغيير أسماء الشوارع المهمة بأسماء للمعتقلين.[1]

---

1 انظر أسلحة التدخل المباشر في كتاب أسلحة حرب اللاعنف.. إصدار أكاديمية التغيير.



صورة 28: شعار رابعة الذي تحول بعد ذلك إلىٰ وسيلة تحية، وطبع علىٰ الأعلام والملابس، وتحولت «رابعة» إلىٰ مفهوم يعكس معنىٰ الصمود أمام قوات القمع.

* * * *

القاعدة الخامسة عشر

اصنع المعضلة للخصم



صناعة المعضلة

تكون الاختيارات أمام النظام في التعامل مع الأعمال الاحتجاجية غالباً محصورة بين القمع بدرجاته المتنوعة، أو التجاهل التام لهذه الأنشطة، أو إفساد النشاط على المحتجين بدس مجموعة مخربة بينهم. وكلما امتلك النظام القدرة على الاختيار بحرية كاملة بين تلك الخيارات، واختيار أنسبها له؛ كانت المقاومة لا زالت بعيدة عن تحقيق النصر المنشود.

أولى خطوات الانتصار تكمن في وضع النظام في حالة تقلص حريته في الاختيار بين تلك البدائل المختلفة، وتجعل كل هذه الخيارات تنتهي بخسارة ما. بالضبط كما يحدث في لعبة الشطرنج عندما تضع الخصم في موقف لا يفكر فيه في الخطوة القادمة؛ وإنما يفكر في القطعة التي ينبغي عليه التضحية بها ليتمكن من البقاء في اللعبة.

وبالمثل يمكن القول أن من واجبات الحركة التغييرية صناعة معضلة للنظام، تنقله من حالة الاختيار الحر بين البدائل إلى حالة الاختيار الحذر بين التضحيات. إنها حالة تجعل أياً من الخيارات والبدائل تصب في صالح المقاومة إن تم استخدامها.

فإن ترك النظام المحتجين، ربما زاد عددهم، وانتزعوا مساحات جديدة للحركة كانت محرمة عليهم. وإن رد عليهم بقسوة وعنف فإن مظهرهم السلمي المبالغ فيه يضعه في حرج محلي ودولي، وربما يؤثر في تمسك داعميه به. وإن دس مخربين وتبين بعد إمساكهم أنهم موالون للنظام، ارتد الأثر عليه مجدداً.

ومن أمثلة صناعة المعضلة، مسيرة الملح التي دعا إليها غاندي عام 1930، فقد كان إنتاج الملح يخضع للسلطات البريطانية. ولأن كل الناس في حاجة إلى

الملح، فقد دعا للزحف نحو البحر في مسيرة رمزية تكسر قانون احتكار الملح. الآن ماذا يفعل البريطانيون؟! إن أوقفوا المسيرة تحول غاندي ومن معه إلىٰ أبطال، وإن تركوهم يكونون قد ساعدوهم علىٰ كسر القانون، وتكون سلطة الدولة فعليًا قد تهددت.[1]

كان لغاندي أيضًا فكرة فريدة حين أراد أن يدعو لإضراب يوم 6 أبريل، لم يطالب الناس بالتوقف عن العمل، بل طالب الهنود بالخروج للصلاة، مما كان يحمل دلالة ضمنية علىٰ إيقاف العمل، فإن خرجت الهند كلها للصلاة سيتوقف كل شيء، وفي نفس الوقت لم يكن النظام ليقمع أناسًا خرجوا للصلاة، وإن فعل تكون الفاجعة كبيرة.

أحد الأمثلة الأخرىٰ علىٰ صناعة معضلة للنظام نراه في حالة قوانين حظر التجول التي قد تفرض في بعض الحالات للحيلولة بين المحتجين وبين تنظيم المسيرات. عندما يقرر المقاومون استبدال المسيرات بالأعراس والأفراح الجماعية فإنهم يخلقون معضلة لقوىٰ القمع. فالعرس أو الفرح مكان اجتماع طبيعي. إن تركته قوات القمع يكون الاجتماع قد نجح وارتفعت معنويات المقاومين، وإن داهمته انقلب الغضب عليهم إعلاميًا.. ما هذه السخافة.. قوات القمع تمنع المواطنين من إقامة الأعراس والأفراح!![2]

وقد تستخدم المعضلة علىٰ مستوىٰ تكتيكي صغير، إن أراد المحتجون مثلاً إيقاف طريق دون أن ينتهكوا القانون، أو يغضبوا الناس، يمكن أن يمروا في هذا الطريق بموكب لأحد الأعراس يبطيء حركة السير، أو ترمي شاحنة حمولتها

---

1 سيردجا بوبابيتش، أندريج مولافيجتش، سولوبودان دينوجونفيتش، الكفاح السلمي.. 50 نقطة حاسمة، مركز تطبيق الاستراتيجيات وعمل اللاعنف، بلجراد، صربيا، 2006. ص 69.

2 نفس المصدر السابق، ص 68.

عليه، ويبدأ صاحبها في طلب المساعدة لرفع الحمولة، أو افتعال حادث مروري. كلها أفكار تكتيكية تصنع المعضلة، فماذا سيصنع النظام في تلك الحالات؟!

إن صناعة المعضلة يعني «**التحدي الذكي**»، وكسر القانون الجائر بمكر. هي استراتيجية يتغلب فيها الابتكار علىٰ الروتين. لتجعل النظام في كل مرة يبذل جهداً في التفكير في مخرج. إنها أقرب لصناعة المتاهة، التي تُدخل حركة المقاومة الواعية النظام فيها، لتجعل كل تحركاته خاضعةً لها في الممرات التي رسمتها، حتىٰ وإن خُيِّل إليه أن اليد العليا له.

صناعة الفخ

كذلك بإمكان المقاومة المحترفة أن تنصب لخصومها الأفخاخ. والفخ يختلف عن «**المعضلة**» التي تضع الخصم في حيرة بين خيارين أحلاهما مر، وهو يدرك ذلك حين يختار، أنه سيختار أخف الضررين، أما الفخ فليست فيه حيرة، إذ يندفع فيه الخصم وهو يظن أنه في قمة تألقه، ليكتشف أنه في قمة غبائه.

فالفخ يعتمد علىٰ أن تعطي خصمك «**الشعور بحرية الاختيار، مما يجعله يتقبل أمراً كان ليرفضه بشدة لو فُرض عليه**»[1]. فحين تعطيه حرية الاختيار، «**يدخل الشرك الذي نصبته له بسهولة ودون مقاومة**»[2]. ولا تظن أنك بحاجة إلىٰ أن توفر له مجموعة كبيرة من البدائل، فالعقل يضجر إن وجد أمامه خيارات مفتوحة، يحب دائمًا أن يختار بين بدائل قليلة جداً ليتمكن من حسم أمره. هذا الأمر «**يوفر للأذكياء والماكرين فرصًا هائلة للخداع، حيث لا يشعر**

1 روبرت غرين، قواعد السطوة، إيلاف معات لعلوم النفس والشخصية، الطبعة الأولىٰ، 2011، ص385.

2 نفس المصدر السابق، ص 388.

من أمامهم بالخداع أو التلاعب به حين يفرضون عليه الاختيار بين بدائل قليلة، دون أن ينتبه أنهم يمنحونه القليل من حرية الاختيار، مقابل الكثير من فرض إرادتهم».[1]

خصائص الفخ

ويتميز الفخ بالخصائص التالية:

* أن يكون جذابًا ومغريًا.
* أن يعلم الخصم أنه سيحقق للمقاومة فيه مشكلة حقيقية.
* يكون فيه قدر ضئيل من التحدي بحيث لا يتجنبه الخصم (**يتوقف الأمر علىٰ شخصية القيادة**).
* أن يشعر الخصم أنه اختاره بمحض إرادته من بين مجموعة خيارات.
* ألا تقع المقاومة نفسها فيه.

ومن المهم كذلك التمييز بين الفخ والتمويه، فالتمويه يعتمد علىٰ توجيه النظر في اتجاه بينما يكون التحرك في اتجاه آخر، أما الفخ فهو استدراج لإلحاق هزيمة. فعندما تدعو المقاومة إلىٰ تظاهرة في مكان ثم تقوم بها في مكان آخر فقد قامت بعملية تمويه، أما عندما تدعو لتظاهرة، وتجعلها بعدد قليل نصفهم من الصحفيين ووكالات الأنباء. ثم يغري العدد القليل قوىٰ القمع بالضرب والاعتقال، هنا قد وقعوا في الفخ.

الدمج بين الفخ والمعضلة

وإن أرادت المقاومة أن تكون أكثر احترافًا تدمج بين «**المعضلة**» و «**الفخ**»، **«فتحدد خيارات خصومها في البدائل التي تصب جميعًا في صالحها هي، أو تضعهم بين قرني معضلة بحيث يختارون بين شريْن أحلاهما مر.»**[2]

---

1 نفس المصدر السابق، ص 392.

2 روبرت غرين، قواعد السطوة، إيلاف معات لعلوم النفس والشخصية، الطبعة الأولىٰ، 2011، ص385.

علىٰ الناحية الأخرىٰ يجب أن تنتبه المقاومة أيضـًا للمعضلة التي يضعها فيها النظام، وتتجنب قدر الإمكان الوقوع في الفخاخ التي ينصبها النظام، من خلال سد الثغرات التي يمكن أن ينفذ منها كيده إلىٰ أنشطتها.

❋ ❋ ❋ ❋

القاعدة السادسة عشر

احذر عند استخدام استراتيجية التدخل الخشن



عندما تُسَد القنوات الدستورية قد تلجأ بعض الحركات إلىٰ درجة من درجات العنف لها طبيعة خاصة. فهي لا تتعلق بحرق المنشآت وتدمير الممتلكات العامة، كما لا ترتبط بعنف إزهاق الأرواح وإراقة الدماء؛ وإنما هو «**تدخل خشن**» يصحبه قدر عالٍ من التعقل والأخلاق النبيلة. خاصة حين يوضع في سياق رد الفعل علىٰ جرائم دموية من قبل القوات القمعية التي تسفك الدماء، وتزهق الأرواح.

والتدخل الخشن هدفه بناء المسار السلمي، وتزويده بأدوات تجعله محصناً بحيث لا يخترقه العمل العنيف تحت ضغط الواقع، إنه شكل من أشكال التصعيد الذي يحاصر العنف ويقلص دائرته، ويطفيء ناره. وبالأخص في الحالات التي يُتوقع فيها اندلاعه.

ومن أمثلة هذا النوع من التدخل الخشن ما تقوم به حركات السلام من إيقاف الجرافات التي ستقتلع الأشجار، بوضع الرمل في خزان وقود المركبة.[1] أو إتلاف ملفات علىٰ الحاسوب.[2]

ضوابط التدخل الخشن

وهنا سنجد أن المقاومين لا يوغلون في التخريب الشائع في الأذهان، والمرتبط بإشعال الحرائق في المنشآت والدمار، ولكنهم يقفون علىٰ تخومه بوعي شديد ويلجأون إلىٰ أشكال أخرىٰ. **تضبطهم في ذلك عدة ضوابط مثل:**

1. **الرضا الشعبي**: ويعني قبول نسبة كبيرة من عموم الناس – وليس قبول الحركات المقاومة[3] – بالعمل. مثل تشويه إعلان دعائي في الشارع،

---

1 Brian Martin, Nonviolence versus Capitalism. London: War Resisters, International, 2001. p.133

2 نفس المصدر السابق

3 قد تغتر بعض الحركات بأن شبابها لديه إجماع علىٰ القيام بعمل عنيف، وليس هذا مقصدنا، ولكن=

فهذا تخريب للإعلان ربما لا يعبأ به الناس أو يدينونه، بل قد يتعاطفون مع هذا السلوك، خاصة إن تمت معالجة الإعلان برسم مبهر وليس مجرد تشويه.[1] أو مثلما يحدث حين تعترض مجموعات السلام المناهضة للتجارب النووية مسار قطار محمل بنفايات نووية، مع ضمان سلامة القطار وركابه. فالوعي الشعبي العام يقبل هذا العمل، وليس لديه تحفظات على اعتراض مسيرة قطار أو باخرة تحمل نفايات نووية، لكن هذا العمل سيكون مرفوضًا شعبيًا مثلاً في حالة اعتراض مسار قطار سفر يحمل ركابًا. كذلك فإن الطريقة التي يتم بها العمل يجب الانتباه إليها، فالوعي العام قد يقبل إيقاف القطار، لكنه لا يقبل إشعال النار فيه، حتى ولو لم يكن فيه أي إنسان. والرضا هنا غير مرتبط بالرضا بالقضية، فقد يرفض خصومك السياسيون مطالبك، لكنهم لا يرفضونك وسيلتك لتحقيقها .

2. **لا يُلحق الأضرار**[2]: بعموم المواطنين، أو يروع الآمنين. فنشر

=الأساس هو الرضا الشعبي عن الوسائل والتكتيكات المستخدمة. وليس معيار الرضا الشعبي هنا هو المشاركة الشعبية، أو حتى الاقتناع بالقضية المطروحة ذاتها، ولكن المعيار هو عدم إدانة الوسيلة. فاقتحام مقر شركة مشهورة بالفساد، وإشعال النيران فيها ربما لا يضر قطاعات واسعة من الناس، لكن الوعي الجمعي يدين المشهد ويرفضه، وبالتالي فهذا النوع من العمل مرفوض لأنه أخل بأحد الضوابط.

1 نفس المرجع السابق.

2 نميز هنا بين "الضرر" و"التكلفة"، فعملية التغيير تتطلب "تكلفة"، يؤديها الناس برضا. فإن غاب الرضا يتحول تقدير الناس للتكلفة بأنها غير محتملة، ومن ثم تتحول حينها من مجرد "تكلفة" إلى "ضرر". فعلى سبيل المثال، قد يشارك مجموعة من الأفراد في محاضرة علمية مدتها ثلاث ساعات وبقيمة نقدية محددة. البعض المعجب بالمحاضرة سيراها مفيدة، وبالتالي ستكون هناك حالة من الرضا عن "التكلفة" حتى وإن عظمت. بينما البعض الآخر غير المعجب بالمحاضرة سيرى أنه أهدر ثلاث ساعات من وقته، وأهدر ماله، وبالتالي تتحول "التكلفة" – حتى وإن قلت – بالنسبة له إلى "ضرر". وهكذا تحدد حالة الرضا أو السخط العام نظرة المشاركين؛ بل وحتى المفردات التي سيستخدمونها للتعبير عن رؤيتهم للمحاضرة ما بين "التكلفة" و "الضرر".

فيروسات علىٰ بعض المواقع الإلكترونية الحكومية والخدمية قد يضر الخصم فعلاً، ولكنه أيضاً قد يسبب الضرر لعموم المواطنين؛ بل وبالطبع سيطال هذا الضرر المنتمين للحركات المقاومة، لذلك فهي مرفوضة، إلا أن يتم الإعلان قبلها ليوطن المواطنون أنفسهم علىٰ ذلك. بينما عندما تخفي مجموعة مهتمة بحماية الغابات أوراق مناقصة تقدمت بها شركة تقتلع الأشجار؛[1] فهذا نوع من الفعل لا يلحق أضراراً بالناس وربما يدعمونه، خاصة إن توفرت درجة عالية من الرفض لممارسات الشركة.

3. **التعطيل وليس التدمير**: فالحركات السلمية المقاومة لتصنيع أسلحة الدمار والداعية إلىٰ وقف التسلح لا تشعل النار في الآلات أو المصانع أو السيارات التي تنقل الأسلحة، ولكنها قد تعطلها عن العمل بنزع بعض أجزاء الآلات. وهذا يتطلب وعياً بطبيعة التعطيل المطلوبة. فإيقاف سيارة محملة بالأسلحة لا يتطلب إشعال النار فيها أو تفجيرها. يمكن لمسامير تعترض طريقها أن توقفها. والتعطيل أو التدمير هنا مقيد بالضوابط السابقة، فقطع «**كابل**» الهاتف الذي يمد الملايين بالخدمة، يعد تعطيلاً محدوداً، لكنه يضر الملايين لذلك فهو مرفوض. بينما قطع النور في اجتماع لحزب فاسد يخطط لتهريب أموال البلد، ربما يحظىٰ بدعم شعبي.

4. **لا يضر بالمسار السلمي العام**: ولا يتسبب في توليد مسار عنيف، ولكنه يحاصر بهذا التدخل المدروس اندلاع العنف. خاصة حين يضيق الناس بالسبل السلمية التقليدية، ويتشكل مزاج عام متجه للعنف. فـ«**التدخل**

1 نفس المصدر السابق.

الخشن» في هذه الحالة أقرب ما يكون لاستراتيجية إطفاء بركان بنار صغيرة، وهي الاستراتيجية التي تتطلب عقلاً واعياً، وذهناً حاضراً، وحرفية وخبرة عاليتين. وأي خطأ فيها ولو بسيط قد يزيد النار اشتعالاً ويزيد الوضع تأزماً ومأساويةً. واستراتيجية وتكتيكات «**التدخل الخشن**»إن لم تُضبط وتمارس بعقل واعٍ وأخلاق عالية ومسؤولية كاملة، وفي إطار استراتيجية لاعنيفة شاملة قد تودي بالمسار السلمي كليةً، أو علىٰ الأقل تجعل العنف هو الطابع الغالب لمشروع التغيير.

5. **رمزي لا تحريضي**: أي أن القائمين عليه لا يقومون بتحريض الحركات والمجموعات المقاومة الأخرىٰ علىٰ انتهاجه، ولا تُدعىٰ عموم الجماهير للمشاركة فيه، لأن الحماس قد يجرفها فتندفع لأعمال عنف. وإنما هو نشاط تقوم به مجموعة متخصصة[1]، وفي بعض الحالات تعلن الحركات مسؤوليتها وتسلم نفسها للشرطة، لتؤكد أنها كسرت قانوناً جائراً يحمي الفساد. لكنها ليست ضد فكرة سيادة القانون، وأنها مستعدة لتحمل العقوبة. فهي تريد فقط إبراز الجانب الجائر في القانون. كما أنها تؤكد بذلك أن الفاعلين ليسوا مخربين مأجورين. أما الجماهير فلا تُستدعىٰ إلا في حالات تتعلق بممتلكاتهم الشخصية، مثل دعوتهم لحرق الفواتير الشخصية، وهي تشبه دعوة غاندي في جنوب أفريقيا، حين طالب الهنود بحرق تصاريحهم الخاصة، التي كانت تُطلب منهم دون الأوربيين، والتي تعتبر وثيقة حكومية. وغالباً ما يكون العمل

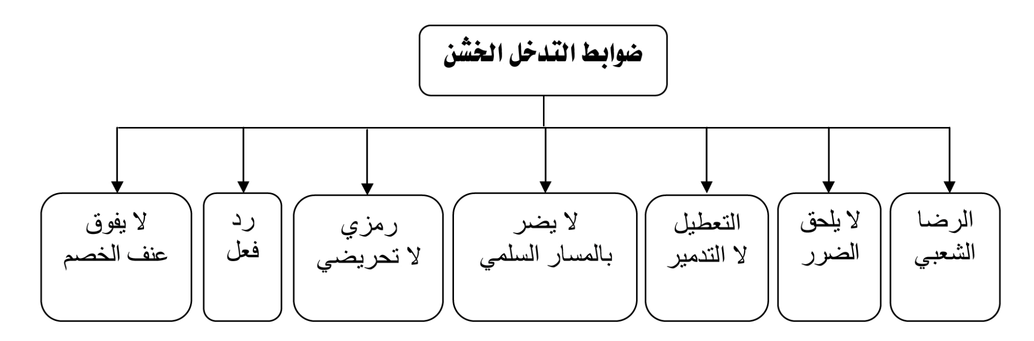
---

1 لا يقصد بالمجموعات المتخصصة هنا أن يتم إعداد هذه المجموعات عسكرياً أو أن يتم تدريبها علىٰ حرب الشوارع أو العصابات أو الاختراق والتسلل؛ إنما نقصد أن تكون مجموعات معدة عقلياً ونفسياً بشكل جيد علىٰ مسار اللاعنف بما يمكنها من ضبط التكتيكات بالضوابط المذكورة. كما أنها تمتلك من الجوانب الفنية ما يمكنها من تحقيق التعطيل بما لا يؤدي إلىٰ التدمير.

أيضاً رمزياً في مدته، فلا يستمر لفترات طويلة. لأن هدفه إيصال رسالة محددة توحي بالقدرة على الفعل.

6. **رد فعل**: فهو ليس عملاً هجومياً عدوانياً، وإنما رد فعل على حدث جلل، ربما يلجأ الكثيرون لاتخاذ رد فعل عنيف تجاهه، هنا تلجأ الحركات اللاعنيفة لأساليب التدخل الخشن حتى لا يندلع العنف.

7. **لا يفوق عنف الخصم**: وهذا ينطبق على أي رد فعل وليس فقط العنف السياسي، فإن سَبَّك جارك أصبحت مظلوماً، فإن رددت عليه بمنع الطعام والشراب عنه حتى الموت أصبحت ظالماً. وحينها يقف الناس ضدك، وينكرون فعلتك. أنت تريد أن تنير عقل المجتمع وعقل خصومك. ووسائلك المميزة كفيلة بذلك. كونك مظلوماً لا يمنحك حق فعل أي شيء، والضرر لا يُدفع بضرر أكبر منه.



شكل 13: **يوضح ضوابط التدخل الخشن الذي يقي الحراك التغييري من الوقوع في دوامة العنف**

ويقاس الموقف من العنف بصفة عامة بناء على ما سبق، سواء كان عنفاً لفظياً أو بدنياً أو مادياً، فالضوابط السابقة هي التي تحدد درجة الاقتراب منه، لذلك قد يكون العنف اللفظي أحياناً مداناً لأنه سيعزل قطاعات واسعة من الناس التي لا تنسجم ثقافتها مع ذلك السلوك، أو أنه سيكون مقدمة لاندلاع

عنف بدني نظراً لاستفزاز الطرف الآخر. في حين يكون العنف البدني المحدود في إطار حماية فتاة من اعتداء مجموعة من مثيري الشغب أمراً مقبولاً مجتمعياً. فالمعيار هنا سيكون القدر المقبول لإطفاء نار العنف وليس إشعالها.

لذلك صُنفت انتفاضة أطفال الحجارة في فلسطين في عداد الحركات اللاعنيفة[1] من عدة أوجه:

* **اعتبار طبيعة الخصم**: محتل يجيز القانون الدولي قتاله. (**وهنا فالتعاطف العام مع الفعل موجود**).
* **اعتبار السلاح المضاد**: رصاص ودبابات ومدرعات .. الخ (**فلا يوجد وجه مقارنة بين الحجارة من جهة والرصاص من جهة أخرىٰ**).
* **اعتبار الفاعل**: حيث نُسبت الانتفاضة لصبية ينحتون في الأرض لطرد المحتل. هذا السلوك الذي أكسبهم دعماً كبيراً.
* **المساحة التي احتلها عنف الحجارة**: فقد شملت الانتفاضة أعمالاً كثيرة مثل الإضرابات، والدعوة إلىٰ قيام مؤسسات بديلة، ومقاطعة بعض السلع، وتقديم الاستقالات....الخ[2]

وبالتالي ما تعتبره هنا «**حرب اللاعنف**» ضمن حدودها (**من تدخل خشن ليس من أدواته الأسلحة القاتلة كالأسلحة البيضاء أو العسكرية**) قد تلفظه تماماً في حالات أخرىٰ لا تتوفر فيها الضوابط السابقة، فربما تقبل عنف الحجارة في حالة، بينما ترفض مجرد العنف اللفظي في حالة أخرىٰ.

وعندما نجد الشعب اليمني المسلح بطبعه يضع سلاحه ويتظاهر، ومع شدة

---

1 يمكن الرجوع إلىٰ كتاب "نعم للمقاومة لا للعنف" تأليف د وليد صليبي، توزيع الهيئة اللبنانية للحقوق المدنية، حيث يتعرض فيه للإنجازات التي حققتها انتفاضة الحجارة، ومدىٰ تأثيرها علىٰ الصعيد المحلي والدولي.

2 د. وليد صلابي، نعم للمقاومة لا للعنف، توزيع الهيئة اللبنانية للحقوق المدنية، 2005، ص30.

القمع يكتفي بتوفير حماية للتظاهرات؛ فهذا تقدم كبير من أجل الحفاظ علىٰ المسار السلمي في شعب مسلح. يصعب قياس الحالة ودعوة شعب أعزل بطبيعته إلىٰ التسلح من أجل حماية التظاهرات لمجرد أن قوات القمع تستخدم أسلحة مكافحة الشغب. فالوعي العام يقبل الحالة الأولىٰ ويعتبر هذا التكتيك الدفاعي هو قمة التحضر في هذا البلد. بينما الوعي العام في الحالة الثانية قد يؤدي إلىٰ عزوف كامل عن المشاركة، بل وربما اتهام المسلحين بالإرهاب وتمني القضاء عليهم.

لذلك تخطيء بعض الحركات والأفراد الذين لديهم نزوع للعنف، حين تقيس استخدام العنف علىٰ ممارسات سابقة كان يؤيدها فيها الناس، ولا تراعي في قياسها سوىٰ عنصر «**الأداة**».. فتقول علىٰ سبيل المثال..«**لقد استخدمنا الحجارة من قبل ولم يستنكر أحد. فلماذا تنكرون علينا اليوم؟!!**».

وهنا يجب الانتباه إلىٰ أن الرضا الشعبي أشبه بتصويت عام علىٰ حالة كاملة وليس فقط علىٰ وسيلة، فهو أقر الوسيلة (**أو تغاضىٰ عنها**) في ظل ظروف محددة، بكراس شروط خاص، وليس إقراراً عاماً باستخدام الوسيلة في كل حالة. ويدخل في المعطيات المتغيرة عدة عناصر، مثل القضية التي يُكافَح من أجلها، ووجود مسارات بديلة، وتوقيت الكفاح، وطبيعة الخصم ومدىٰ تقدير المجتمع له، وطبيعة المقاوم.

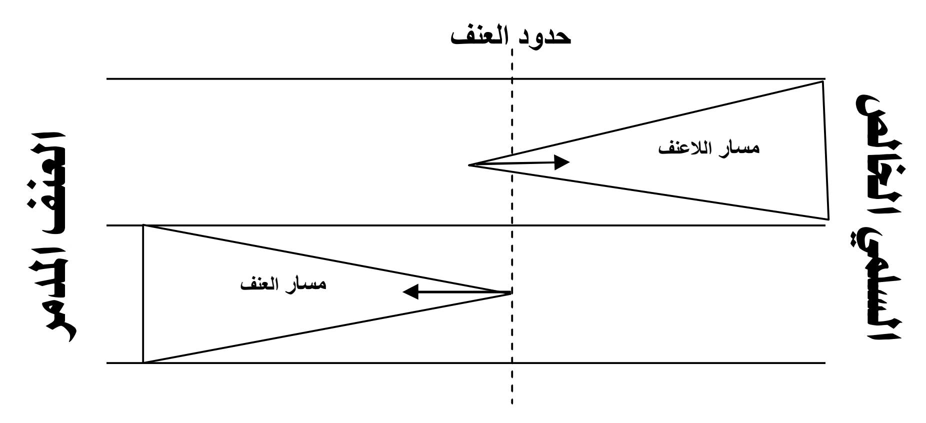
ولا ينسحب ذلك علىٰ أدوات العنف فحسب، بل قد يبارك الشعب اعتصاماً في حالة محددة، ويرفضه في حالات أخرىٰ ويعتبره تعطيلاً للعمل. لذلك فالتفكير من منظور الوسيلة فقط لا يسعفنا في إطلاق أحكام صحيحة، لأنه يشوش الرؤية ويضلل التفكير.

الفرق بين المسار العنيف واللاعنيف

إن كانت بعض الحركات اللاعنيفة تلجأ لوسائل التدخل الخشن، فما معنىٰ

ذلك؟! أليس «**اللاعنف**» يعني «**ضد العنف**»؟!

حرب اللاعنف تندلع بالفعل في بيئة ديكتاتورية عنيفة، فهي طارئة عليها وليست منشئة لها، لذلك فإن السؤال الأكثر عملية هو.. كيف يتمكن المؤمنون بالمسار السلمي من مواجهة تحديات العنف دون أن ينحرفوا عن المسار الأساسي؟! كيف تتجه وسائلهم بالمجتمع نحو الوصول إلىٰ المسار السلمي الخالص، لا الوصول إلىٰ العنف المدمر؟!



شكل 14: **حركة اللاعنف تتجه في مسارها نحو النضال السلمي الخالص، وهي إن اضطرت للتدخل الخشن فهي تقف علىٰ حدود العنف وفق ضوابط صارمة، يأتي علىٰ رأسها التعاطف والرضا الشعبي وعدم إزهاق الأرواح أو تدمير الممتلكات العامة، وعدم الانجراف في مسار العنف. وهو ما يميزه عن مسار العنف الذي يتجه نحو تطوير العنف والاعتماد عليه حتىٰ يصل إلىٰ حدوده القصوى.**

إن المقاومين في حرب اللاعنف يؤمنون بحرمة الدم، وجرم الإفساد في الأرض، ويعلمون أن دورهم هو حصار العنف لا توليده، وهو ما يميز أسلوبهم عن الأساليب التي تتغذىٰ بالعنف وتنمو من خلاله. لذلك حين يضطرون لمثل هذه الوسائل في الصراعات الحادة ضد الديكتاتوريات، أو في القضايا المصيرية

التي تغلق فيها كافة السبل الدستورية؛ فإنهم يقومون بها بفن بالغ، وبحذر شديد، وبصورة حضارية يصعب أن تكون محل إنكار.

إن «**حرب اللاعنف**» تقف أحياناً علىٰ شاطيء «**التخريب والعنف**» دون أن تبحر في محيطه فتغرقها أمواجه، وتفتك بالمجتمع دواماته، فهي كمن يجمع ملح البحر علىٰ الشاطيء دون أن يلج في عمق البحر. لأن التوسع في طبيعة وحدود وملابسات العنف قد تؤدي إلىٰ دمار وترويع وعزوف جماهيري عن المشاركة، والحركات اللاعنيفة تسعىٰ منذ البدايات لتأكيد سلميتها حتىٰ لا تُخترق بمن يقومون بأعمال عنف وتخريب غير منضبط تُنسب لها.

حالات استخدام التدخل الخشن

❊ إظهار قضية بشكل واضح وملفت.

❊ القمع الشديد في النظم الديكتاتورية، وانسداد كل المسارات الدستورية.

❊ وجود نزوع للعنف لدىٰ المحتجين، وهنا تأتي هذه الأعمال بهدف وقائي يحول دون اندلاعه، وتساعد في ترشيد مساره، وتحديد مسارات الغضب.

موقف الحركات اللاعنيفة من التدخل الخشن

وعلىٰ الصعيد العملي نجد الكثير من حركات ومنظري اللاعنف ترفض كلية الاقتراب من هذه المساحة حتىٰ لو تمت مراعاة تلك الضوابط، خشية التوسع وعدم إمكان السيطرة عليها. فهي تعتبر فكرة «**التدخل الخشن**» ثغرة يمكن أن ينفذ من خلالها أي مخرب. وترىٰ أن قليلاً من العنف المرفوض قد يفسد مسارهم بالكامل.

أما القليل من الحركات فترىٰ أن كل حالة تدرس علىٰ حدة، وأن الحركات التي تتمتع بقدر من المركزية والسيطرة علىٰ أعضائها يمكنها أن تدخل هذه المساحة بحذر وتعقل شديدين.



القاعدة السابعة عشر

تأكيد السلمية من اليوم الأول يقطع الطريق على تهمة (الإرهاب)

عـادةً مـا تتخـذ الأنظمـة الديكتاتوريـة مـن كلمـة «**الإرهـاب**» مـبرراً لقمـع مخالفيها، حينها ينشغل رد فعل المقاومة ببذل الجهود في نفي تهمة الإرهاب عنها، وتأكيد تمسكها بالخيار السلمي.

في بعض الحالات لا تجد هذه التهمة أذناً صاغية لدىٰ عموم الجماهير، بل يمكن تحويلها إلىٰ موضوع ساخر، مثلما فعلت حركة المقاومة الصربية «**أوتبور**»، حين أُعلن في عهد ميلوسوفيتش أنها منظمة إرهابية. فقامت بعمل عروض تمثيلية ساخرة في الشارع كنوع من الاحتجاج، يظهر في العرض المسرحي شاب نحيف البنية، يرتدي نظارة، وهو مدان لأنه يرتدي نظارة مما يدل علىٰ أنه كثير القراءة، وهي صفة غير محببة من النظام في تلك البلد، كما يحذر أحد الممثلين الجمهور من الاقتراب منه أو الحديث معه، لأنه إرهابي كما يدعي النظام.[1]



صورة 29: **حركة المقاومة الصربية في عام 2000 تقدم «عرضاً مسرحياً» ساخراً في الشارع بعد اتهامها بأنها جماعة إرهابية، ويُرىٰ في الصورة فتىٰ نحيفاً يرتدي نظارة وعلىٰ الجميع ألا يقترب منه أو يتحدث معه حيث أنه إرهابي كما يدعي النظام**

---

1 Bringing Down a Dictator (2000). York Zimmerman Inc./ WETA Washington, D.C. DVD, 180 Min., USA: YZI..

وفي حالات أخرى يصدق المجتمع هذا الادعاء إن تهاونت الحركة خلال مسيرتها في:

❋ إدانة أي ممارسات عنيفة من خارجها.

❋ إدانة أي ممارسات عنيفة من داخلها.

❋ عدم اتخاذ مواقف حاسمة مع أصحاب التوجه العنيف داخل الحركة.

❋ التحالف مع أصحاب التوجهات العنيفة.

في هذه الحالة وحتىٰ مع ادعاء حركة المقاومة سلميتها، فإنها تصبح مثار ريبة وشك من الناس، كما يستغل النظام هذه الثغرة من الخطأ الممتد المسكوت عنه. إن من أخطر ما تصاب به حركة؛ أن تكتشف أن مسيرتها زادت من قابليتها لأن توصم بالإرهاب في وعي الناس.

إن معركة السمعة لا تُشن فجأة، بل يتم التجهيز لها علىٰ فترات طويلة من رصد الأخطاء، وربما أغرىٰ الخصم المقاومة بسكوته في الوقوع في المزيد من الأخطاء. أو أظهر أنه يتأثر سلباً بهذه الأخطاء، ومن ثم تبالغ المقاومة فيها وتقع في الفخ.[1]

لذلك فإن اتقاء شر معركة السمعة يتطلب الانتباه من البداية، وتحسس مواضع الأقدام، فتهديد السمعة يعرض الحركة للهجمات والضربات من كل جانب.[2] وهو نوع خطير من المعارك.. تنتهي قبل أن تبدأ، ففتح الملفات المسيئة للسمعة هو آخر خطوة فيها.

كيف تؤكد الحركة سلميتها وتحافظ على سمعتها؟

إن «**السلمية**» ليست شعاراً تردده الحركة لتؤكد تمسكها بالعمل السلمي، وليست لوحة تُرفع لإثبات حسن النوايا، وإنما يجب أن تكون أوضح من ذلك

---

1 مثل أن يظهر الخصم قدراً من التأثر السلبي بكرات اللهب حين ترمىٰ عليه، فيغري المقاومة بارتكاب المزيد من الأخطاء، ثم يبدأ معركة السمعة لاحقاً بعد أن يكون أخذ مراده.

2 روبرت غرين، قواعد السطوة، إيلاف معات لعلوم النفس والشخصية، الطبعة الأولىٰ، 2011، ص 8.

لتشمل عمق ثقافة الحركة وتركيبتها وطبيعة المنضمين لها. خاصة أن الأنظمة الديكتاتورية عادة ما تلجأ إلىٰ نعت الحركات السلمية بالإرهاب، وربما تلفيق تهم العنف والتخريب لها، حتىٰ ينفض الناس عنها ويكفرون بها.

علىٰ الناحية الأخرىٰ تسعىٰ حركات التغيير إلىٰ كسب الجماهير، التي عادة ما ترفض الانضمام أو مساندة حركة «**إرهابية**» -بحسب وصف الأنظمة- تعتمد العنف في كفاحها من أجل تحرير الأوطان من الاستبداد وليس الاحتلال.

هنا تبرز الحاجة إلىٰ أن تهتم الحركة بتأكيد صبغتها السلمية منذ اليوم الأول، وسد الثغرات التي قد تمكن النظام من استهداف الحركة بآلته الدعائية. وعملية سد الثغرات تجعل مجرد الحديث عن اتهامها بالتخريب والعنف مدعاة للسخرية من قبل عموم الناس. كمن يتهم غاندي بأنه وراء أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

وتصميم شكل الحركة يتطلب فناً ومهارة كتصميم الأزياء، كيف سترتدي الحركة فستاناً يبهر الناظر، من حيث الأناقة، وبديع الألوان، واحترام تقاليد المجتمع. كيف ستبرز مفاتن سلميتها التي تخلب الأنظار. قد تكون الحركة بالفعل سلمية، لكن علامة «**السلمية**» في هيئتها الظاهرة لا تتعدىٰ زراً صغيراً تخبئه ياقة فستانهاالعريضة، حينها تقول الحركة «**نحن سلميون.. سلميون**»، لكن الزر لا يكفي للتعبير عن السلمية، فهو عرضة للوقوع في أية لحظة، ناهيك عن إمكانية رؤيته أو الانتباه إليه.

الفن هنا أن تكون «**السلمية**» هي اللون الأساسي للثوب، بل هي الصبغة العامة لتصميم الثوب، هي الخيوط التي نسجته. ولا تصبح مجرد إكسسورات مكملة للثوب، العبقرية أن تكون هي قماش الثوب لا حلية طارئة عليه يمكن تغييرها.

هناك حركات أحسنت تأسيس نفسها من اليوم الأول، وهي التي بذل قادتها جهداً في دراسة منهج اللاعنف بشكل موسع، كما درست العنف وأحسنت فهم لغته

وطريقة عمله. وبالتالي فهي تستوعب جيداً علىٰ أي أسس بدأت. وهناك حركات أخرىٰ بدأت بالشعار العام «**سلمية**»، دون عمق معرفي، وقد تكون تورطت بالفعل في بعض أشكال العنف المحدود. هذا الصنف من الحركات يحتاج إلىٰ ارتداء ثوب جديد بتصميم مختلف يعكس أخلاقياتها وميولها، لتعيد تعريف هويتها.

سنسرد هنا مجموعة من الوسائل التي تساعد الحركات بصنفيها، في تأكيد سلميتها وإعادة تعريف نفسها. بعض الوسائل تتعلق بتغييرات في بنية الحركة، وأخرىٰ تتعلق بأنشطتها.

أولاً: مستوى بنية الحركة

إن لم تكن الروح السلمية واضحة من بداية التأسيس، فربما يكون قد انضم للحركة من يتفقون في أهدافها، لكنهم قد يجنحون إلىٰ العنف، خاصة وأنهم لم يجدوا في الحركة إنكاراً واضحاً. في مثل هذا النوع من الحركات يتطلب الأمر تغييرات بنيوية في الحركة من خلال:

العضوية

* وضع لائحة منشورة تبين مركزية التمسك بالسلمية، وتسن قوانين تكافيء من يبدعون في تطوير العمل السلمي أو ينضبطون بالمسار، ويتمكنون من حصار عنف، كما تكون هناك عقوبات متدرجة لمن يجنحون للعنف.
* التوثيق والاعتماد في الحركة يكون من خلال اجتياز دورات واختبارات تتعلق بثقافة اللاعنف.
* استبعاد أصحاب الميول العنيفة، من خلال إعادة التعريف بالحركة وثقافتها وفلسفتها وشروط الانضمام لها والانفصال عنها. حتىٰ ولو أدىٰ ذلك إلىٰ تقليل عدد أعضاء الحركة بانسحابات واسعة، لأن آخرين ممن كانوا يشكون في توجه الحركة -سينضمون للحركة بناء علىٰ التعريف

الجديد الواضح.

التثقيف

* وجود مكون ثقافي عن العمل السلمي يتدارسه أعضاء الحركة بشكل دوري، مثل تدارس كتابات اللاعنف المتنوعة، بالإضافة إلىٰ الدورات التثقيفية. وتهتم الحركة بنشر أهم الأدبيات التي تعتمد عليها في عملها.

التدريب

* علىٰ التعامل مع الحالات المتنوعة للقمع سواء فيما يتعلق بالهجوم، أو الاستخدام الأمثل لأساليب الحماية أو السلوك المناسب أثناء الاعتقال، وكيفية التعامل مع وسائل الإعلام. وكيفية تصوير الأحداث، وصناعة التقارير التلفزيونية التي تدعم المقاومة.
* الدورات التدريبية المتخصصة في ضبط النفس خاصة لمن يتصدرون الصفوف الأمامية، أو من تكون مهامهم حماية التظاهرات.



صورة 30: **مجموعة تتدرب علىٰ الجلوس أرضًا مع تشابك الأذرع للصمود أمام التفريق أطول فترة ممكنة دون رد، وفي التدريب بعد الجلوس علىٰ هذه الهيئة يحاول زملاؤهم تفريقهم.**



صورة 31: **مجموعة من حركة الجرين بيس تتدرب علىٰ الوقوف مع تشابك الأيادي من خلف الظهر.**



صورة 32: **مجموعة من حركة الجرين بيس يتدربون علىٰ التعامل مع حالات الاعتقال وتوثيق اليدين بدون مقاومة.**



صورة 33: مجموعة من حركة جرين بيس يتدربون علىٰ الكلمة التي سيقولونها للإعلام أثناء توقيفهم أمام سيارة الشرطة.



صورة 34: مجموعة من حركة جرين بيس يتدربون علىٰ كيفية الخروج من سيارة الشرطة، حيث يمكن أن توجه رسالة مقصودة للجماهير في هذا الموقف.

التطوير

وجود مجموعة أو قسم في الحركة يتركز دوره في تطوير وسائل الاحتجاج والتصعيد والتعامل مع القمع من خلال فلسفة حرب اللاعنف.

ثانياً: مستوى الأنشطة

كذلك من المهم أن تعكس الأنشطة التي تمارسها الحركة مدىٰ تجذر ثقافة العمل السلمي لديها، ومدىٰ حرصها علىٰ نشرها، ويمكن في سبيل ذلك اعتماد عدة وسائل مثل:

* نشر ثقافة اللاعنف بشكل منهجي علمي بين الناس من خلال دورات تدريبية وأفلام ومسارح وحملات متنوعة.
* عقد مناظرات بين أصحاب الرؤية العنيفة والرؤية اللاعنيفة لإدارة الصراع السياسي.
* إصدار نشرات دورية تؤصل لمفهوم اللاعنف وأحدث استراتيجياته وتكتيكاته.
* إنتاج أفلام وإعلانات وكتابة روايات خاصة بثقافة العمل السلمي.
* عقد مؤتمراً سنوياً برعاية الحركة لاستعراض أهم ما وصل إليه العمل السلمي من وسائل للاحتجاج أو التصعيد أو مقاومة القمع.
* عمل معارض صور دورية حول اللاعنف ووسائله.
* دخول ثقافة الحركة في المدرسة والجامعة من خلال مواد تبسيطية تتناسب مع كل عمر من أجل تأسيس جيل يستوعب العمل السلمي بشكل واضح. وبذلك يكون للحركة دور في تنمية المجتمع من خلال نشر ثقافة التغيير بدون عنف.
* عمل مناورة سنوية تستعرض أحدث ما توصلت إليه الحركة من وسائل

الاحتجاج والتعامل مع القمع، في مشاهد تحاكي ما يمكن أن يحدث في الطبيعة.

* إصدار دوريات توجه خطابها إلىٰ الشرطة وتوزع علىٰ مقارها.
* الاعتماد علىٰ التكتيكات التي تستهدف خلق حوار مستمر مع الجماهير. فلا تدير الحركة ظهرها للجمهور وهي تخاطب النظام.
* دعوة عموم الناس لورشة تديبية خاص بحملة محددة، حيث يتم دعوة الراغبين في المشاركة قبل الحملة، وإعلامهم بأهم ما يجب التعرف عليه لإنجاح الحملة.
* الاهتمام بالمحيط السكاني الذي تتواجد فيه الحركة، والاهتمام بأنشطة البناء والتواصل والدفاع عن حقوق الناس، والبحث في مشاكلهم، فهؤلاء من سيدافعون عن الحركة لاحقـًا في أوقات الأزمات. وهذه هي الأعمال الوقائية من ضربات التشويه.

كانت هذه الوسائل المنتقاة خطوة نحو جعل «**سلمية**» ليست كلمة تقال أو شعاراً يُرفع، بل تصبح محركـًا أساسيـًا للحركة. حينها يصعب اتهام مثل هذا النوع من الحركات بالإرهاب، أو تشويه صورتها أمام الناس. فلها نشاط طويل ممتد في المجتمع لترسيخ الثقافة، كما أنها تسهم بدور كبير في تأسيس مجتمع مدني يدير صراعاته السياسية بشكل متحضر.

* * * *



القاعدة الثامنة عشر

اجعل التخلص منك
ليس في صالح خصمك

في بعض الأحيان يكون ارتباط الشعب بالقيادة التغييرية – حتىٰ إن تنوعت وتعددت – كارتباط الجسم بأظافره، بعد فترة يتخلص منها، ولا يبالي بذلك. فهو الذي دعمها حين قرر أن يربي أظافره، وهو الذي تخلىٰ عنها لعدم اقتناعه بها، أو لسوء مظهرها، أو لأن سلوكياتها أصبحت تؤلمه، وتخدشه، أو هكذا يظن.

ومن أسباب ذلك أن المجتمع لا يشعر بولاء فعلي لتلك القيادة، ولا لأفكارها، فهي بالنسبة له مجهولة تماماً، وربما لا يعرفها، غير أنه لبىٰ نداءها لأنه وجد فيها تجسيد مطالبه هو، لكنه مع أي تحول في المواقف، لا يعبأ بتلك القيادات، وقد يتشكك فيها أيضاً.

استراتيجية زراعة الشرايين

لذلك كانت استراتيجية «**زراعة الشرايين**»، حيث يكون ارتباط الشعب بالقيادة التغييرية حيوياً، وذلك يقتضي التحول من كون القيادات مجرد أظافر يُتخلص منها إلىٰ بنىٰ مفصلية في المجتمع، يتعرف عليها عن قرب، ويشعر تجاهها بالأمان، ويثق في وطنيتها وإخلاصها، وهذه الاستراتيجية تأخذ أشكالاً تنفيذية متنوعة، **نذكر منها علىٰ سبيل المثال:**

* صناعة رموز شعبية من خلال الإعلام والعمل العام.
* الاندماج الكامل مع الجماهير من خلال حملات ومشاريع ميدانية تلتحم بالناس، وتجعلهم يساهمون في علاج التحديات التي تواجههم في أحيائهم.
* زرع الثقة في الجماهير وتوعيتهم بالمستقبل المراد تحقيقه، أكثر من تخويفهم من الحاضر، فاليأس والخوف عدوان قاتلان.
* العمل الجاد البناء ومساندة الناس في الشعور بإمكانية الفعل علىٰ

مستواهم الشخصي، وذلك من خلال مؤسسات تؤهل الفرد وتجعله فاعلاً في المجتمع.

❋ تفعيل وبناء المؤسسات الحيوية في المجتمع، التي يرتبط بها الناس ارتباطًا وثيقًا، (**النوادي – المراكز التعليمية – المراكز الصحية–.. الخ**)، فتكون هي وسائل بنائه وتنظيمه وحشده.

تتأخر بعض الحركات في تثبيت جذورها في المجتمع بحجة أن مشاريع البناء يجب تأجيلها حتىٰ الإنهاء علىٰ الديكتاتورية، لكن السؤال.. ماذا لو أنهت الديكتاتورية علىٰ الحركة، وهي مقطوعة الصلة بالشارع؟!!

إن التفاعل مع الناس هو من صميم بناء قدرة الحركة علىٰ التصدي للديكتاتورية بتثبيت جذورها في المجتمع، فعند التواجد الفعلي كشريان للمجتمع لا كظفر، يكون التخلص القمعي من الحركة مكلفًا جداً، فهو مكلف علىٰ النظام نظراً لمساهمة المقاومة مع الدولة في تلبية احتياجات الناس من جهة، ولأن الناس يعتمدون علىٰ المقاومة من جهة أخرىٰ.

لذلك فإن المقاومة الواعية لا تبني بينها وبين الناس سوراً عاليًا بحجة الانشغال بالمقاومة، فسيخنقها هذا السور لاحقًا، حين لا يرىٰ الناس المقاومة إلا في صورة مجموعة من الشباب الذي يظهر فجأة ليشتبك مع الشرطة، دون أن تكون له أي سيرة ذاتية في الشارع.

إن المقاومة اليقظة تستثمر كل هامش حرية في أن تثبت وجودها الاجتماعي، واعية بأن هذه الفرصة لا تتاح في بعض الأنظمة الديكتاتورية الأخرىٰ. مدركة أن هذا العمل وسط الناس، قد يضع حدوداً للقمع مستقبلاً.

❋ ❋ ❋ ❋



القاعدة التاسعة عشر

قدرة المقاومة على مواجهة القمع مرهونة بقوة بنيتها التحتية



تهدف هذه القاعدة إلىٰ إيجاد صورة كلية لما هو من مطلوب من مجتمع قوي قادر علىٰ التعامل مع القمع. وهي قاعدة جامعة لأغلب القواعد السابقة. بحيث نلخص من خلالها أهم ما تطرحه تلك القواعد علىٰ الصعيد العملي.

إن مواجهة القمع تتطلب توفر بنية تحتية للمجتمع تمكنه من التغلب علىٰ القمع، وكلما قويت هذه البنية تمكن المجتمع من التمسك بمسار اللاعنف، حتىٰ يكاد يصل إلىٰ «**اللاعنف المطلق**». ليس ذلك فحسب، بل يصبح مجتمعاً له الريادة علىٰ مستوىٰ الأسرة الإنسانية، يؤثر في تقدمها بشكل كبير، بعد أن تمكن من تذليل العقبات التي تعترض مفهوم «**الكرامة الإنسانية**».

وتتكون البنية التحتية لمواجهة القمع من:

علم: بمفهوم «**حرب اللاعنف**» واستراتيجياته وتكتيكاته، وتطوير الدراسات والأبحاث المعنية بتوفير أجوبة علىٰ الأسئلة الملحة في هذا الحقل العلمي. الذي ينبغي أن يجتذب عقولاً تبدع في هذا المجال.

ثقافة عامة: بمفاهيم حرب اللاعنف، تنتشر في الشرائح العمرية المتنوعة في المجتمع. بحيث تتشكل لغة مشتركة لدىٰ المجتمع، تؤمن بتأسيس مجتمع قوي، يدار الصراع السياسي فيه بشكل مدني.

تكنولوجيا: قادرة علىٰ التغلب علىٰ التحديات التي تواجه المحتجين، وتوفر أجوبة عملية علىٰ التعامل مع القمع، بحيث تقل الخسائر، وتفقد آلة القمع فاعليتها، ويقهر المحتجون وساوس اللجوء للعنف. مثل تكنولوجيا الدروع والتشويش علىٰ الاتصالات، واختراق الأنظمة الإلكترونية لتعطيلها.

قيادة: قادرة علىٰ صناعة رؤية لمشروع التغيير، وإبداع استراتيجيات وتكتيكات تتناسب مع هذه الرؤية. والقيادة تختلف عن الزعامة، فالقيادة التي نعنيها هنا تنقسم لشقين: عمل فكري بامتياز يرسم الخطط، وقدرة علىٰ الإدارة الميدانية للخطة.

حركات ومجموعات: تمثل رأس الحربة الذي يخوض الكفاح، ويتمسك بالمسار، ويخوض التجربة ويقدم النموذج. وتتنوع المجموعات بين مجموعات تتصدر الصفوف، وأخرىٰ تراقب الانضباط بالمسار، وأخرىٰ تسعف الجرحىٰ، وأخرىٰ ترفع المعنويات، وأخرىٰ تنقل الصورة.

تدريب: علىٰ تكتيكات التعامل مع القمع المتنوعة، واستخدام التكنولوجيا والتكتيكات الحركية بكفاءة عالية، بالإضافة إلىٰ تدريبات ضبط النفس والتحكم في المشاعر.

«**العرق في التدريب يوفر الدم في المعركة**».. حكمة عسكرية تنحسب كذلك علىٰ حرب اللاعنف، خاصة فيما يتعلق بتكتيكات المواجهة والانسحاب.

إعلام: يقظ ومحترف في التعامل مع القمع، وإبداع بدائل إعلامية خاصة مع استهداف قوىٰ القمع أحياناً للصحفيين والمصورين. وتكون لديه القدرة علىٰ مواجهة تكتيكات النظام في طمس جرائمه أو تضليل الرأي العام. فالإعلام أحد الأعمدة الأساسية لحرب اللاعنف، ويكاد يكون هو الدعامة التي لا انتصار بدونها. فهو الذي يحول القمع إلىٰ هدية.

منظمات حقوقية: تحسن التدخل السريع والتعامل مع حالات الانتهاكات بكفاءة عالية.

المعلومات: التي تساعد القيادة في اتخاذ القرار السليم، فخوض المعارك أو تجنبها يعتمد علىٰ توفر المعلومة بشكل سليم.

الحاضنة الشعبية: فهي الدرع الحقيقي للمقاومة.

مجموعات التواصل مع الشرطة: فلا يصح أن يكون اللقاء الأول بين الشرطة والمحتج هي ساحة التظاهر، بل تقوم مجموعات التواصل بين المجتمع والشرطة بكسر الحاجز، وتصحيح الصورة لدىٰ جهاز الشرطة عن

الحركات الاجتماعية والسياسية فيه، حيث أن أغلب معلوماته يستقيها من تقارير العاملين في الجهاز الشرطي، وهي لا تكفي لإيجاد تصور صحيح عن تلك الكيانات. وهذه المجموعات تكون فرص عملها أكبر في الدول التي بها قدر كبير من هامش الحريات.

ومن الوسائل التي تعتمدها هذه المجموعات:

* دعوة بعض الضباط إلىٰ فعاليات مخصصة لهم مثل الندوات والمؤتمرات للنقاش حول قضايا مشتركة.
* عمل زيارة دورية لأقسام الشرطة ليس بهدف الرقابة ولكن بهدف التواصل والنقاش.
* إصدار دوريات لنشر الثقافة المجتمعية مثل مجلة الشرطة والمجتمع.[1]

بهذه المكونات تتأسس بنية المجتمع لمقاومة التسلط، وكلما قويت المكونات زادت قدرة المجتمع علىٰ التحرر، وتضاءلت القابلية للاستبداد. وكلما ظهر نداء العنف علىٰ السطح، ونفد صبر المحتجين، حينها ستكتشف ضعفًا في بنية مواجهة القمع، وبمراجعة المكونات ستكتشف أين يكمن الخلل.

❊ ❊ ❊ ❊

1 انظر في الملحق "مجلة الشرطة والمجتمع".

الخلاصات

* يجب التعرف علىٰ الهدف من القمع قبل الانشغال بالتفكير في التغلب علىٰ أدواته. وبالتالي بذل الجهد الأكبر في مواجهة الهدف (**تخويف، جر إلىٰ العنف، إشعال فتنة، الخ**)، مع الوضع في الاعتبار ضرورة التفكير في تقليل أو الحد من أضرار القمع المباشرة علىٰ المشاركين.
* لا تفعل أبداً ما يود خصمك أن تفعله. فإن أرادك خصمك أن تغضب التزم بضبط النفس، وإن أرادك أن تظهر في مظهر الإرهابي، فبالغ في المظهر الحضاري. وإن أراد أن يجرك إلىٰ ملعب العنف فشيد صروح العمل السلمي وبالغ في المظاهر السلمية.. وهكذا.
* قد يكون من المفيد في بدايات تأسيس الحركات في أجواء قمعية عدم إظهار قوة الحركة ولفت الأنظار لها. فسلوك الحركة سيشكل مخيلة القيادات الأمنية.
* أغلب الأنشطة في البدايات تهدف إلىٰ زيادة الموارد البشرية والمالية، وأي نشاط يهدد وجود الحركة يتم استبعاده.
* الإمكانات الهجومية مرتبطة بالقدرات الدفاعية.
* ضرورة الحفاظ علىٰ النواة الأولىٰ وعدم تعريضها للإبادة.
* تطوير استراتيجيات لإيجاد أكثر من مستوىٰ قيادي، مثل إعلان هياكل وهمية، وبذل الجهد في إعداد مستمر لكوادر قيادية، وإيجاد قيادة في الخارج. واعتماد اللامركزية في القيادة.
* تقع مسؤولية حماية أنفسنا علىٰ عاتقنا نحن. أما هزيمة عدونا فتحدث نتيجة خطأ يقع فيه.

* حماية النشاط تكون قبله وأثناءه وبعده، من خلال الحفاظ علىٰ صحة الرسائل الموجهة لكل طرف.
* يجب إقناع الخصم أن تكلفة استخدام القمع أعلىٰ من تكلفة التخلي عنه.
* رفع تكلفة القمع تكون بتطوير استراتيجيات وإبداع تكتيكات خاصة بالتعامل مع القمع، وتدريب المجموعات علىٰ ذلك، واعتماد أسلوب مجموعات العمل المبدعة. أما كلمة السر فهي الكاميرا.
* حرب اللاعنف لا تواجه الخصم حيث تتركز قوته، وحيث يكون في المساحة القادر علىٰ الإبداع فيها. والملعب المفضل للأنظمة هي ساحة العنف. اقطع مصادر القوة عن الخصم، الجماهير .. الدعم الدولي.. قبل أن تدخل معركة مع مصدر القوة الأخير (**الأداة القمعية**).
* العبقرية ليست في تدمير آلة القمع، أو تفادي ضرباتها، ولكن أن تكون في متناول يديه ولكنها غير صالحة للاستعمال.
* لا تجعل الخصم يجرك إلىٰ معسكر العنف الذي يحسنه ويمتلك فيه كافة الإمكانات.
* غالباً ما يولد القمع رد فعل مضاد.
* تجنباً للغضب الشعبي يعمد النظام إلىٰ: التعتيم علىٰ ما قام به، التهوين منه، إعادة تفسيره، دفع المتضررين للقنوات الشرعية، الترغيب والترهيب. وعلىٰ حركة المقاومة أن تنتبه لتلك الحيل باستراتيجيات مضادة.
* القمع مثل الأنشطة، هو آلية من آليات خلق حوار مع كل الأطراف.
* إن من إبداع حرب اللاعنف أنها لا تعتبر القمع عقوبة، لا تتمناه، ولكنه إن حدث أصبح امتداداً للنشاط، وجزءاً من الخطة.

❋ إن الخوف عنصر حاضر في المعركة.. إما أن تحتفظ به أو تجعله من نصيب خصمك، هو عنصر متأرجح بين الطرفين ككرة التنس، لكنها في النهاية تقع في ملعب طرف واحد.

❋ الإشكالية ليست في القمع، ولكن في الخوف من القمع.

❋ يتم حصار الخوف من خلال الحشود الكثيفة، والاستراتيجيات والتكتيكات التي تقلل من فرص القمع المفرط، واستخدام وسائل الحماية، وفرق الأبطال.

❋ إن «**فرق الأبطال**» بصمودها وشموخها واستبسالها وشجاعتها لا تتصدر فقط خطوط المواجهة؛ وإنما تنقل عدوىٰ الشجاعة والثقة بالنفس لعموم المشاركين.

❋ «**فرق الأبطال**» تصنع صناعة، بداية من الإعداد إلىٰ اختيار التكتيكات الملهمة، إلىٰ الخدمة الإعلامية لاحقاً.

❋ يزول الخوف تدريجياً من قلوب الذين يواظبون علىٰ المشاركة في الاحتجاجات بشكل مستمر، حيث تُكتسب الشجاعة تدريجياً، وتتحول المشاهد المخيفة إلىٰ مشاهد معتادة، ويهون كل شيء في سبيل الحرية.

❋ لا تجعل شدة القمع تدفعك لرد فعل سريع يحرفك عن المسار، لا تفكر بعقل انتقامي، وتحل بضبط النفس.

❋ يغلب في التجارب التغييرية التي ووجهت بعنف مفرط أن تفكر المجموعات المقاومة باللجوء للعنف، كرد فعل انتقامي من النظام، ويائس من المسار.

❋ تنجو الحركات من براثن العنف المدمر في حالات الوعي المجتمعي، أو وجود قيادة مركزية يسمع لها، أو الانخراط بالفعل في مسار العنف

وتكبد خسائر فادحة (**شعبيًا وحركيًا**)، مع وجود حركات لاعنيفة ملتزمة بالمسار وقادرة علىٰ ابتكار وسائل أكثر إيلامًا.

* في حالة غياب وعي مجتمعي، أو غياب قيادة مركزية تدعو لضبط النفس، فإن الحالتين الأخيرتين تعملان معًا، تتجه حركات ومجموعات للعنف، وتخفق في مسارها، ويتزامن مع ذلك وجود حركات ومجموعات لاعنيفة، مصرة علىٰ الالتزام بالمسار، وقادرة علىٰ توليد بدائل فعالة تلفت الانتباه.

* التحكم في المشاعر يعني أنك لم تفقد عقلك، فالرغبة الملحة في الرد تدفعها المشاعر والغريزة، أما كيفية وتوقيت الرد، فهو دور العقل. ليس مطلوبًا أن تقتل المشاعر، فقط نحها عن القيادة، واجعلها دافعًا لعقلك لكي يبدأ العمل.

* استثمر طاقة الغضب عند خصمك، فالغضب سيظهر وجهه الحقيقي، وسيزيل مساحيق التجميل الخادعة. فيبدو دائمًا عبوسًا، بينما تبدو المقاومة دائمًا مرحة تحمل بشارات المستقبل.

* حرب اللاعنف هي حرب إرادات، والقمع المفرط يسعىٰ إلىٰ كسر المعنويات وخلخلة الإرادة. لذلك كان من المهم وجود مجموعات تهتم برفع المعنويات، خاصة في الحالات التي تحدث فيها إصابات كثيرة أو اعتقالات أو يسقط شهداء.

* من أشكال رفع المعنويات: تجنب العبارات التي توحي بأنها المعركة الأخيرة، والتأكيد علىٰ عدالة القضية، وبإعادة صياغة ما جرىٰ، والتوثيق والاستثمار الإعلامي، والتخطيط للانسحاب المشرف، وتنفيذ تكتيك هجومي لاعنيف مفاجيء.

الاهتمام بإيجاد احتياطي بشري لا يشارك في المعركة، فهؤلاء لم يروا الأزمة، وستكون روحهم المعنوية عالية رغبة في المشاركة وتعويض ما فاتهم. عبقرية الاستراحة أحياناً تكون سبباً في رفع المعنويات.. استراحة البعض وعدم الدفع بالجميع للساحات.

❋ كما يتواجد الطبيب البشري بمشفاه الميداني في قلب المعركة، فإن الطبيب النفسي يجب أن ينصب مشفاه بعد المعركة.

❋ إن صناعة المعضلة يعني «**التحدي الذكي**»، وكسر القانون الجائر بمكر. هي استراتيجية يتغلب فيها الابتكار علىٰ الروتين. لتجعل النظام في كل مرة يبذل جهداً في التفكير في مخرج. إنها أقرب لصناعة المتاهة، التي تُدخل حركة المقاومة الواعية النظام فيها، لتجعل كل تحركاته خاضعةً لها في الممرات التي رسمتها، حتىٰ وإن خُيِّل له أن اليد العليا له.

❋ عندما تزداد حدة القمع قد يلجأ المقاومون إلىٰ استراتيجية التدخل الخشن. وهي استراتيجية يجب التعامل معها بحرص بالغ.

❋ التدخل الخشن لا يعني التدمير؛ وإنما التعطيل.

❋ الالتزام بضوابط التدخل الخشن الستة يقي العملية التغييرية من الانجراف في هاوية المسار العنيف.

❋ هناك حركات أحسنت تأسيس نفسها من اليوم الأول، وهي التي بذل قادتها جهداً في دراسة منهج اللاعنف بشكل موسع، كما درست العنف وأحسنت فهم لغته وطريقة عمله. وبالتالي فهي تستوعب جيداً علىٰ أي أسس بدأت. وهناك حركات أخرىٰ بدأت بالشعار العام «**سلمية**»، دون عمق معرفي، وقد تكون تورطت بالفعل في بعض أشكال العنف المحدود. هذا الصنف من الحركات يحتاج إلىٰ ارتداء ثوب جديد

بتصميم مختلف يعكس أخلاقها وميولها، لتعيد تعريف هويتها.

* المقاومة الواعية تنتقل من دور تقليم وتجميل الأظافر إلىٰ زراعة الشرايين، فتستثمر كل هامش حرية في أن تثبت وجودها الاجتماعي. مدركة أن هذا العمل وسط الناس، قد يضع حدوداً للقمع مستقبلاً.

* إن معركة السمعة من أنواع المعارك التي تنتهي قبل أن تبدأ، ففتح الملفات المسيئة للسمعة هو آخر خطوة فيها.

* إن معركة السمعة لا تُشن فجأة، بل يتم التجهيز لها علىٰ فترات طويلة من رصد الأخطاء، وربما أغرىٰ الخصم المقاومة بسكوته في الوقوع في المزيد من الأخطاء. أو أظهر أنه يتأثر سلباً بهذه الأخطاء، ومن ثم تبالغ المقاومة فيها وتقع في الفخ.

* إن مواجهة القمع تتطلب توفر بنية تحتية للمجتمع تمكنه من التغلب علىٰ القمع، وكلما قويت هذه البنية تمكن المجتمع من التمسك بمسار اللاعنف، حتىٰ يكاد يصل إلىٰ «**اللاعنف المطلق**»، ليس ذلك فحسب؛ بل يصبح مجتمعاً له الريادة علىٰ مستوىٰ الأسرة الإنسانية، يؤثر في تقدمها بشكل كبير.

* * * *



الباب الرابع

كيفية التعامل مع القمع





الفصل الأول

التعامل مع القمع المحدود



يبرع نشطاء اللاعنف حول العالم في ابتكار تكتيكات للحفاظ علىٰ سمة مهمة لمسار اللاعنف، ألا وهي المظهر الحضاري للنشاط. وهم في هذه التكتيكات لا يدَّعون أنهم يمنعون القمع، لكنهم يركزون علىٰ نزع أي مبرر لاستخدام القمع من قبل قوات القمع، ليفوزوا في النهاية بالتأييد الشعبي.

وسنتناول في هذا الباب الأنواع التالية من القمع:

* قمع محدود: أسلحة غير مميتة (**مثل العصي وقنابل الغاز**).
* قمع مفرط: أسلحة مميتة (**مثل الأسلحة النارية الخفيفة والمتوسطة والثقيلة**).
* الاعتقال.

وسنبدأ في هذا الفصل بالقمع المحدود، مستعرضين بعض التكتيكات التي تستخدم في عالم اللاعنف، وهي خاصة بحالات التظاهرات أو الاعتصامات التي يُتوقع فيها قمع محدود من قوات مكافحة الشغب، والأهم من التكتيكات ذاتها فهم منطق التفكير الذي انطلق منه من صمم هذه التكتيكات، وهو ما سنشير إليه في النهاية في سياسات التعامل مع القمع المحدود.

وتندرج التكتيكات تحت ست استراتيجيات أساسية:

* أولاً: استراتيجية إزالة التوتر.
* ثانيـًا: استراتيجية تقييد الذات.
* ثالثـًا: استراتيجية إظهار الشجاعة.
* رابعـًا: استراتيجية الاقتراب الحذر (**في حالة المنشآت الحيوية**)
* خامسـًا: استراتيجية التشتيت.
* سادسـًا: استراتيجية تجنب المواجهة.

أولاً: استراتيجية إزالة التوتر

وتندرج تحتها مجموعة من التكتيكات التي تهدف إلى تقليل توتر المحتجين وقوات الشرطة على السواء. نذكر منها:

تقديم شخصيات لها وجاهة لتتقدم الصفوف الأمامية مثل العلماء، أو قدامى المحاربين الذين يمكن أن يديروا حواراً بلطف مع الجنود، كما أنهم يفهمون التركيبة النفسية للجندي ويقدرونها، وقد حدث ذلك في صربيا عام 2000م. 1

تقديم جيش المهرجين2: وهي مجموعات تلعب دور المهرجين، تتقدم المظاهرات لتقلل من حدة التوتر، ويمكن استبدالها بمجموعة ترتدي أزياء خاصة مثل أشكال الحيوانات أو الفواكه.



صورة 35: **جيش المهرجين يتقدم الصفوف ويفصل بين المتظاهرين وقوات الأمن.**

---

1 How to start a Revolution (2011). Ruaridh Arrow, D.C. DVD, 180 Min., UK: TVF International.(نشرت النسخة المدبلجة من الفيلم تحت عنوان "أستاذ الثورة" على قناتي الجزيرة وبي بي سي العربية)

2 للتعرف على "جيش المهرجين" انظر الملحق.



صورة 36: **الشرطة الكورية تصاب بخية أمل حين جاءها قرار بالذهاب لفض تظاهرة فوجدت الاحتجاج علىٰ هذا النحو.**



صورة 37: **محتجون يرتدون زيـًا يوحي بأنهم موتىٰ.**

تقديم كبار السن والعائلات في الصفوف الأمامية، وهي بطبيعتها لن تكون متوترة، ومن ثم تزيل التوتر من الطرف الثاني الذي يمكن أن يفقد أعصابه في حالة رؤيته وجوهًا غاضبة متوترة.

دعوة متحدي الإعاقة لتصدر الصفوف علىٰ كراس متحركة، لتأكيد السلمية وأنه لا توجد أي نية للاشتباك والعنف، ولصناعة معضلة لقوات القمع علىٰ الناحية الأخرىٰ، هل تضرب أناسًا لا يقدرون علىٰ الحركة؟ وأتوا لمجرد التعبير عن رأيهم؟ إن متحدي الإعاقة بإرادتهم وشجاعتهم قد يكونون هم الأكثر قدرة علىٰ إعاقة القوىٰ الأمنية. ويمكن عمل نفس الأمر مع كبار السن، من خلال توفير مجموعة من الكراسي في الصفوف الأولىٰ لتأكيد السلمية، وأنهم يحمون كلاً من الشباب وقوات القمع من العنف.

شغر الصفوف الأمامية بمجموعات مدربة علىٰ ضبط النفس وإجراء حوار مع رجال القمع، وتعرف بمجموعات "حفظ السلام، مثلما يحدث في بعض التظاهرات الأوروبية. وقد تستخدم هذه المجموعات من وسائل الحماية ما يساعدها علىٰ تخفيف أثر الضرب وقنابل الغاز، مثل خوذة الرأس والدروع بأنواعها المختلفة. كما تكون مدربة علىٰ نظام الدفاع عن النفس اللاعنيف،[1] الذي يمكنها من التعامل مع الضربات بشكل دفاعي بدون هجوم، سواء كان بهدف فض اشتباك بين المحتجين، أو الهروب من الضربات.

---

1 في إطار الاهتمام بتطوير بدائل عن استخدام العنف، ابتكر ويليام بول الطبيب النفسي في جامعة هارفارد في عام 1970 نظامًا للدفاع عن النفس بدون عنف، أطلق عليه Nonviolent Self Defense (NSD). وهو نظام متكامل من مهارات الدفاع عن النفس يعتمد علىٰ التحكم في حركة الجسد بمهارة ومرونة، من خلال الهروب، والتفادي، وفك الاشتباك، وضبط النفس. وهذا النظام لا يسمح بأي حركة هجومية، مثل الركل والضرب، وأصبح يستخدم في الولايات المتحدة في قطاعات متعددة للتدخل بدون عنف لحل الأزمات. وهو لا يصنف في الألعاب القتالية "Martial Art" ، بل علىٰ العكس يطلق عليه "Un-martial Art"، فهو يحدد الاستجابة المناسبة للتعامل مع العنف المقابل، وقد استوعب الأسلوب أغلب الوسائل الدفاعية الموجودة في ألعاب الدفاع عن النفس، بمنهجية مقصودة، ويعتمد علىٰ الحركة الطبيعية والغريزية للجسد، وقابلية التكيف.

الجدار البشري الفاصل: يتكون من عشرة صفوف أو أكثر بحسب الحاجة يفصل بين المحتجين والشرطة.

وضع ساتر كبير يحجب المتظاهرين عن أعين رجال القمع والعكس، قد يكون هذا الساتر من القماش أو من مواد بلاستيكية أو معدنية بما يشبه الجدار العازل. وقد يكتب أو يرسم عليه بحيث يوصل رسالة لقوات القمع، ويحمل رسالة أخرىٰ علىٰ الناحية الثانية للمحتجين. كما يمكن وضع حواجز أشبه بالحواجز المرورية المعدنية والتي تترك مسافة كبيرة بين المحتجين وقوات القمع.

النوم أرضًا في الصفوف الأمامية لقطع الطريق علىٰ أي متظاهر يحاول الاقتراب من قوات القمع، وفي نفس الوقت تأكيد أن أي اعتداء يمكن أن يتم فهو من جانب واحد.. هو قوات القمع. ويمكن أن تكون التظاهرة كلها علىٰ نفس الهيئة علىٰ امتداد عدة أمتار.. فلا مجال للاشتباك هنا إلا من طرف واحد.



صورة 38: **متظاهرون يستلقون أرضًا في الصفوف الأمامية ليؤكدوا موقفهم السلمي، ويضعوا قوات القمع في موقف المجرم إن حاولت البطش بهم.**



صورة 39: **المحتجون يفترشون الأرض ليؤكدوا سلميتهم.**

الجلوس أرضــًا في الخطوط الأمامية مع تماسك الأذرع، وعدم التحرك من المكان قدر الإمكان مهما حدث من قمع (**محدود**). فإن فقدت المجموعة قدرتها علىٰ التحمل أو اعتقلت، تحل محلها مجموعة أخرىٰ. ويهدف الجلوس أيضـًا إلىٰ تأكيد عدم الرغبة في أي اشتباك أو القيام بأية مواجهة. كذلك يمكن أن تتم التظاهرة بأكملها جلوسـًا مع مراعاة وجود مسافات بين صفوف المقاومين.



صـورة 40: **المحتجـون في حركـة احتلـو وول سـتريت يجلـسون أرضـًا وتتشابك أذرعهم ولا يتحركون.**



صورة 41 :**المحتجون في حركة احتلوا وول ستريت يجلسون أرضاً وتتشابك أذرعهم ولا يتحركون.**



صورة 42: **متظاهرون في الدانمارك يجلسون أرضاً بشكل منظم في تظاهرة ضمت مائة ألف شخص.**

الجلوس أرضاً مع إعطاء الظهر لقوىٰ القمع لتجنب أي استفزار، مع تشابك الأذرع، وقد يتم ذلك أيضاً علىٰ مدىٰ صفوف طويلة، ليصبح هذا هو تكتيك التظاهرة بالكامل. فلا يوجد أي مبرر للقول باستفزاز المحتجين لشرطة. ويمكن أن يجلس كل شخص بعكس المجاور له، أحدهما وجهه للشرطة والآخر ظهره، حتىٰ يمكن تحذير المجموعة وتأهبها في حالة تقدم القوات. ويتماسك المحتجون قدر استطاعتهم، دون مهاجمة الشرطة، ويتدربون علىٰ هذا التكيك لفترات طويلة.



صورة 43: **محتجون يتكاتفون ويجلسون أرضـًا معطين ظهرهم للشرطة، فلا مجال للاستفزاز.**

ثانياً: استراتيجية تقييد الذات

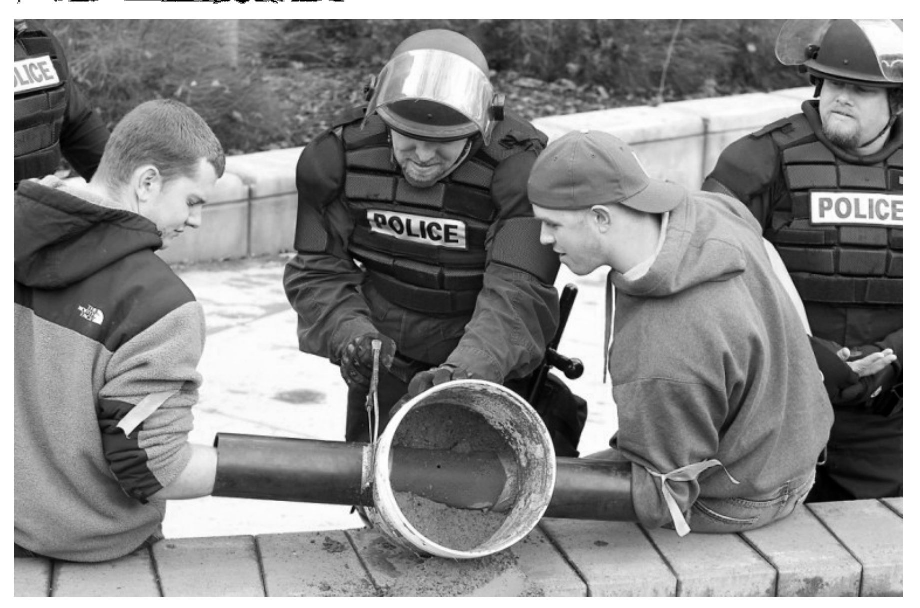
وتندرج تحتها مجموعة من التكتيكات التي تبالغ في إيصال رسالة استحالة استخدام المحتجين للعنف، فقد قيدوا أنفسهم ذاتيـًا، مما يقلل توتر قوات الشرطة والمحتجين علىٰ السواء. نذكر من تكتيكات هذه الاستراتيجية:

تكتيك سلسلة المواسير: يستخدم لربط المتظاهرين معـًا في سلسلة واحدة من خلال المواسير البلاستيكية أو المعدنية، مما يؤكد أن المتظاهرين ليسوا مسلحين أو في نيتهم إلقاء أي شيء علىٰ قوىٰ القمع، كما تقلل عدد المتظاهرين في الصف الواحد، فتحد من فرص الاشتباك. كذلك تجعل التفريق بينهم واعتقالهم فرداً فرداً أمراً صعبـًا. ويقوم المتظاهرون أحيانـًا بتقوية المواسير بحيث لا يمكن كسرها من المنتصف من خلال تغطيتها بالخرسانة والقار وشرائط لاصقة. ويمكن كتابة أي رسالة علىٰ المواسير. كما يمكن استخدامها في وضع الجلوس أو النوم بحسب الحاجة كما هو موضح في الصور.





صورة 44: **مجموعة تعتصم وقد ربطت نفسها بالمواسير لتأكيد سلميتها، كما أن هذه التكنولوجيا من شأنها تقليل عدد المشاركين والحفاظ علىٰ الموارد البشرية.**



صورة 45: **شرطي يحاول نشر ماسورة وكسرها حتىٰ يتمكن من فصل المحتجين**

تكتيك السلاسل: تربط مجموعها أيديها بسلاسل متصلة. تمنعها من الحركة وإمكانية خوض أي مواجهة.



صورة 46: **مجموعة من حركة الجرين بيس يربطون أنفسهم بالسلاسل المتصلة.**

تكتيك السجين: يظهر فيه المحتجون في هيئة السجناء، فبدلاً من الوقوف، يتم الجلوس أرضاً مع تغطية الوجه، وتقييد اليدين من الخلف (**إما بشكل تمثيلي أو حقيقي**). ويمتاز هذا التكتيك باستحالة ادعاء لجوء المحتجين للعنف، فهم لا يرون من أمامهم، وأيديهم مكبلة، ويجلسون علىٰ الأرض.



صورة 47: **احتجاجاً علىٰ اضطهاد المعتقلين في سجن جوانتانمو، محتجون يجلسون أرضاً، ويغطون وجوههم، ويضعون أيديهم خلف ظهورهم. ورغم أن تغطية الوجه في أنشطة اللاعنف غير مرغوب فيها بصفة عامة لأنها توحي بنية القيام بأعمال شغب، إلا أنها في هذه الحالة – علىٰ العكس تماماً– تقوم بدور إيجابي، وتؤكد عدم الرغبة في الصدام.**

ثالثاً: استراتيجية إظهار الشجاعة

تندرج تحتها مجموعة من التكتيكات التي تهدف إلىٰ إظهار شجاعة المحتجين، وأنهم لا يخافون العقوبة، ومن هذه التكتيكات:

الاستبسال حيث تتقدم الصفوف الأولىٰ مجموعات مستعدة لتلقي الضربات دون أن تبدي أي مقاومة تذكر، فإن سقط صف تبعه صف آخر وهكذا، وهو تكتيك يتطلب شجاعة كبيرة، وكان غاندي يدعو إليه، لأنه يلفت أنظار عموم الشعب بل والعالم إلىٰ عظمة القضية وصدق التعبير عنها. كما دعا إليه الخميني في الثورة الإيرانية عام 1979، حين أمر أتباعه بتلقي الموت بصدر عار، دون إبداء أي مقاومة، ولم يكن ذلك أمارة ضعف بل برهان قوة والتزام بخطة من شأنها كسب تأييد شعبي واسع. كما كانت المشاهد الأوسع انتشاراً وتأثيراً في الجماهير في الثورات العربية المعاصرة هي مشاهد الاستبسال وتحدي القمع.[1] ويقوم مبدأ هذا التكتيك علىٰ ما قاله غاندي: «**قد يحصلون علىٰ جثتي.. لكنهم لن يحصلوا علىٰ طاعتي**»، وهو ما يضع آلة القمع في معضلة.

---

1 خلدت الثورات العربية اللاعنيفة صور من تحدوا آلة القمع بصدور عارية، وانتقت الذاكرة الشعبية هذه اللقطات لتخزنها، واستبعدت بشكل انتقائي مشاهد أخرىٰ عنيفة، وكأنها لا تحتفي بهذه المشاهد. اختارت الشعوب المشاهد التي تظهر عظمة الإنسان وقوته في مقابل الآلة القمعية. اختارت أن تخلد صور أناس لا يعرف أحد ماذا كانوا يفعلون علىٰ سبيل التحديد، وماذا ألحقوا بخصومهم من أضرار.. كل ما عُرف عنهم أنهم فقدوا عيونهم في شوارع الحرية!! اكتسبوا جدارة أن يُخلد ذكرهم لأنهم ضحوا، لا لأنهم هاجموا خصومهم أو قتلوهم. هذه الذاكرة الانتقائية تعكس قيمة ما يقوم به هؤلاء الأبطال، فهم لا يتحدون القمع فحسب؛ بل يشكلون ثقافة ووعي شعوب بأسرها. ينتصرون للمسار اللاعنيف في عيون الناس، فيكسبونه هالة من العظمة والرقي.



صورة 48: **محتج صيني يواجه الدبابة بدون سلاح في ساحة تيانانمن عام 1989.**

عدم إبداء أي مقاومة مع أعمال الاعتقال: مع الحرص علىٰ إيصال الرسالة المراد إرسالها، كما تحدثنا في قاعدة استثمار القمع والاعتقال في إدارة حوار.

تسليم النفس للشرطة: فبعض المجموعات عندما تقوم بأعمال فيها انتهاك قانون تعلن مسئوليتها الكاملة، وتسلم نفسها للشرطة. فهم ليسوا مجرمين، وقد اخترقوا القانون الجائر لكنهم ليسوا ضد فكرة وجود القانون، فقط أرادوا تسليط الضوء علىٰ الظلم الواقع. وقد كان غاندي يرىٰ بأن عليه أن يتحمل عقوبة فعله لا أن يفر منها. وهذا التكتيك في النهاية يخضع للحالة التي تمر بها المقاومة، والقضية التي هي بصددها، ومدىٰ فائدته أو ضرره. هو ليس ملزماً لكنه خيار قد يكون مفيداً في بعض الحالات.

السعي لدخول السجن: يسعىٰ كل من لم يعتقل إلىٰ تسليم نفسه، فإن كان النظام يرىٰ أن ما قام به المحتجون جريمة، فهناك عشرات الآلاف مشاركون أيضاً في هذه الجريمة ومستعدون لتلقي العقاب. هذا التكتيك يحرك القضية إعلامياً

بشكل كبير. ويؤكد أن ما قام به المحتجون ليس تهجماً على فكرة القانون، ولكنه فقط القانون الجائر. مثلما حدث خلال إضراب المعلّمين فى النرويج عام 1942، وبعد أن تم اعتقال المعتصمين فى مدرسة ستابك، توجّه المعلّمون الآخرون، الذين لم يكونوا موجودين فى المدرسة، إلى السجن وطالبوا بأن يعتقلوا بدورهم.[1] وفى فرنسا عام 1959، توجهت مجموعة من حركات العمل المدنى اللاعنفى إلى معتقل «**بول**»، حيث إفريقيون شماليون محتجزون دون محاكمة. طالب الناشطون باعتقالهم ليكونوا شهوداً على الخرق الفاضح للعدالة.[2]

رابعاً: استراتيجية الاقتراب الحذر (منشآت حيوية)

تستخدم هذه الاستراتيجية في حالات الرغبة في الذهاب إلى أماكن عليها حراسة مشددة، ويتوتر الأمن لمجرد الاقتراب منها مثل المنشآت العسكرية. ويغلب الظن على المحتجين بأن ثمة اشتباكات يتوقع حدوثها وخروجها عن السيطرة. وتندرج تحت هذه الاستراتيجية مجموعة من التكتيكات نذكر منها:

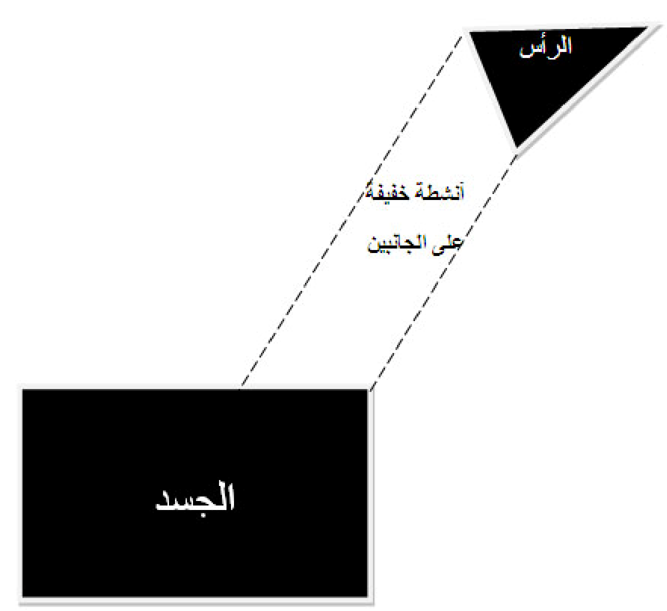
تكتيك الزرافة: هذا التكتيك يستخدم مجموعة من الوسائل، التظاهرات، والسلاسل البشرية، وإرسال الوفود. حين يرغب المتظاهرون في الخروج بآلاف المشاركين، لكنهم في ذات الوقت يخشون من الصدام؛ فإنهم يعمدون إلى أن تكون التظاهرة ثابتة في مكانها، على بعد كيلومترات محدودة من المكان الذي تتواجد فيه قوى الأمن (**أقرب ميدان على سبيل المثال**)، ويتم إرسال وفود أو مجموعات صغيرة في مسيرة رمزية ترفع المطالب، وكلما كانت الشخصيات عامة معروفة كان ذلك أدعى للتهدئة، وتشير هذه الوفود إلى أن وراءها جموع تحمل نفس المطالب وتتواجد على مسافة ليست بعيدة. كما تتصل المسافة بين مكان المنشأة (**حيث تواجد الوفد المنتقى**)، وبين الميدان

---

1 جين شارب، أشكال التدخل المباشر، حركة حقوق الناس، بيروت، ط1، 1997، ص111.

2 نفس المصدر السابق، ص111.

الذي فيه التظاهر من خلال سلاسل بشرية، وبذلك يتم ربط جميع مكونات التكتيك معـًا.. الوفود تقف عند المنشأة، والتظاهرة تقف بعيداً ربما بمسافة ميدان أو اثنين، وتربط بينهما سلاسل بشرية. وتؤمن مداخل التظاهرة من الجهة المؤدية إلىٰ المنشأة بحيث لا يمر أحد من خلالها. وقد يستمر هذا التكتيك بشكل رمزي لمدة محدودة بشكل دوري (**مثلاً ساعة يوميـًا**)، لضمان عدم حدوث توتر أمني، ولتأكيد الرسالة والحرص علىٰ عدم وقوع اشتباكات. ونطلق علىٰ هذا التكتيك «**مسيرة الزرافة**»، فرأس المسيرة يبعد عن جسدها مسافة كبيرة، ويبدو الرأس وكأنه مبتور عن الجسد، لكن هذا البتر يمكن أن يساعد في بتر أي فرص لاشتباكات لا طائل منها. وهو ليس بتراً كاملاً؛ إذ يمكن عمل سلسلة بسيطة من الأنشطة علىٰ امتداد المسافة بين الرأس والجسد، كالوقوف علىٰ جانبي الطريق.



شكل 15 : تكتيك الزرافة يمكن من خلاله إيصال رسالة مئات الآلاف من المحتجين مع تحقيق هدف الذهاب إلىٰ المنشأة الحيوية مع مراعاة عدم الصدام، وذلك من خلال تجميع العدد الكبير في مكان يبعد عن المنشأة، مع

تأمين المدخل الذي يوصل إلىٰ طريق المنشأة. أما المقدمة (الرأس) فيكون فيه خمسون شخصاً مثلاً من رموز المجتمع المعروفة. وعلىٰ جانبي الطريق المؤدي إلىٰ المنشأة يمكن أن تقف سلاسل بشرية تحمل رسائل معينة لتصل الحلقة بين المتظاهرين والوفد في مشهد رائع.

وفي مثل هذه التكتيكات يفضل أن توزع المسئوليات علىٰ حركات ومجموعات معروفة منعاً للاختراق، فحركة يكون دورها العناية بالتظاهرة وتأمين المدخل، وأخرىٰ تقوم بدور السلاسل. بحيث يتم سد الثغرات علىٰ المخربين، فكل مجموعة تعرف بعضها بشكل جيد. كما يمكن وضع شاشة عرض عند المتظاهرين ليروا ما يقوم به الوفود، كما توضع شاشة عرض عند الوفود ليروا ما يقوم به المتظاهرين، وبالتالي يشعر الطرفان أنهم جزء من عمل واحد، كما ستظهر لقوىٰ الأمن أعداد المتظاهرين الكبيرة علىٰ الناحية الأخرىٰ.

تكتيك حرف "v": ويقوم علىٰ فكرة مشابهة لتكتيك الزرافة، من حيث وجود عدد قليل في المنطقة الحيوية، مع تصميم طريقة الوقوف علىٰ شكل حرف "v". ويمكن قرع الطبول بصوت مسموع، أو عمل شيء آخر في الوقفة.



صورة 49: **صورة من موقع حركة جرين بيس، يبين تكتيك "v" يبتعد**

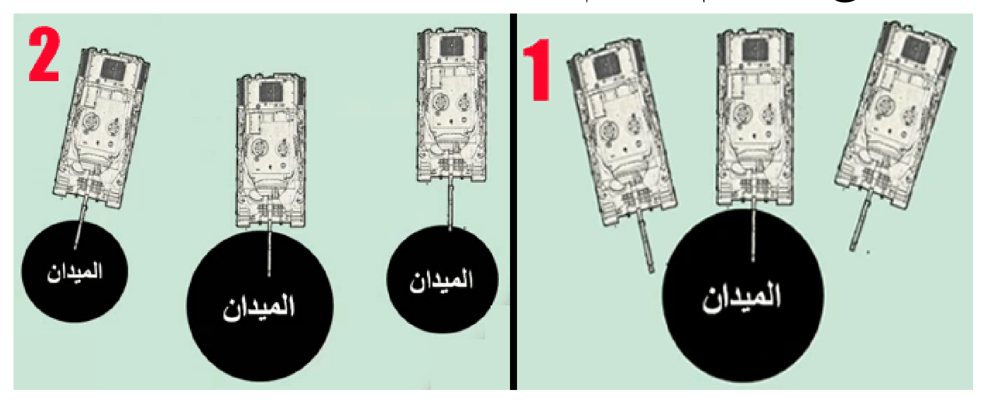
بحكم تصميمه عن المبني أو المكان الذي يتوقع استخدام القمع فيه في حالة الاقتراب منه. ويمكن أن يدمج هذا التكتيك بتكتيك الزرافة من حيث استخدام السلاسل البشرية والحشود المتظاهرة في مكان آخر.

تكتيك النشاط الخاطف: الذي يتم سريعًا دون إعلان مسبق ودون دعوة أحد له سوى أعضاء الحركة، بحيث يتسم بعنصر المفاجأة، كما لا تطول مدته بحيث ينفض قبل أن تحدد القوات القمعية استراتيجية التعامل معه.

خامساً: استراتيجية التشتيت

تهدف هذه الاستراتيجية إلى تشتيت قوات قمع، بدلاً من أن تتركز قوتهم في منطقة واحدة. ومن تكتيكات هذه الاستراتيجية:

* المسيرات المتحركة بدلاً من الثابتة.
* أومسيرات الشوارع بدلاً من الميادين.
* أواحتلال أكبر عدد ممكن من الميادين في حالة وجود حشود ضخمة.
* التظاهر في عدة مدن بدلاً من مدينة واحدة.
* التلويح بوسيلة ثم استخدام وسيلة أخرى.



شكل 16: **في الحالة (1) لدى قوات القمع ثلاث دبابات، والمتظاهرون في ميدان واحد؛ لذلك ستتجه الثلاث دبابات لحصار الميدان، بينما في الحالة (2) توجد ثلاثة ميادين بها حشود، فستضطر قوات الأمن لتوزيع قوتها على الثلاثة ميادين.**

* **تكتيك الكتلة الرخوة:**[1] فبعد أن كان المقاومون يعتمدون على الكتلة الصلبة في الحشد بأعداد ضخمة، يتفرقون إلى كتل رخوة يصعب الإمساك بها، وتقوم بأعمال لاعنيفة أكثر نوعية، في الشوارع ووسائل المواصلات ودور السينما والمؤسسات الحكومية، وتهدي كل مجموعة هدية إلى بقية المجموعات في شكل نشاط مبهر يلفت الانتباه. حتى تتمنى قوات القمع أن ليتهم يعودون مجدداً إلى الحشود الصلبة.

كل هذه التكتيكات تشتت قوى القمع وتوزعها وتضعف من قوتها وقبضتها على الشعب، وترفع تكلفة وجودها في الشارع مادياً ومعنوياً بشكل كبير.

سادساً: استراتيجية تجنب المواجهة

اختر معاركك بعناية، وتجنب المواجهات خاصة إن كان عدوك يتوق للانتقام.[2] وفي هذه الاستراتيجية لا يتم الدخول في مواجهة مباشرة مع قوات القمع، وذلك من خلال عدة تكتيكات، **نذكر منها:**

حصار القوات: فبدلاً من حصار المبنى الذي تقف عنده قوات القمع، يتم سد الطرق المؤدية إلى المبنى، وبذلك يكون المتظاهرون قد تجنبوا المواجهة المباشرة. ويحاولون تعطيل الطرق التي يمكن أن تعود من خلالها القوات لممارسة القمع. ثم ينصرفون قبل أن يأتي إمداد عسكري جديد.

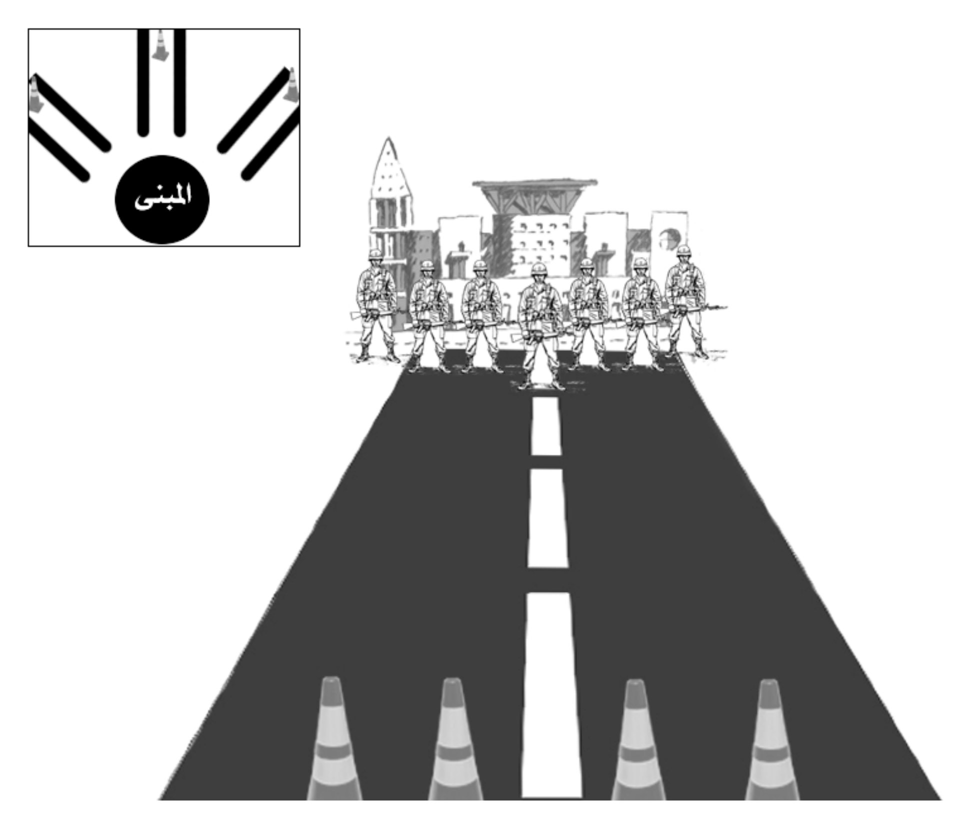
وقد تسد الطرق بشكل جزئي أو كلي بحسب الحالة ودرجة التعاطف الشعبي. ففي حالات الغضب الشديد التي تعقب جريمة للنظام، عادة ما يتساهل الشارع في هذا الأمر مقدراً موجة الغضب، وفي الحالات الثورية التي تكتظ فيها الشوارع بالمحتجين أيضاً قد يعتبر الشارع هذا التصرف جزءاً من التكلفة، إن كان حقاً يؤلم النظام.

---

1 تشي جيفارا، مباديء حرب الغوار، دار الفارابي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1998. ص166.

2 روبرت غرين، 33 استراتيجية للحرب، مكتبة العبيكان وكلمة، ط1، 2009، ص9.

ويلجأ البعض إلىٰ إغلاق الطريق بتكتيك «**صناعة المعضلة**» من خلال اختلاق موقف أو حالة يكون إغلاق الطريق فيها طبيعي. وبصفة عامة تنطبق علىٰ أعمال التدخل المباشر التي قد يتضرر منها عموم الناس ما ذكرناه عند استخدام وسائل التدخل الخشن.[1] بحيث لا ينتج عنها أثر عكسي.[2]



شكل 17 : تقف قوات الأمن أمام المبنىٰ لتمنع الاقتراب منه، وترمز علامة «القُمع» إلىٰ إغلاق المحتجين للشوارع المؤدية للمبنىٰ، وهم بذلك ليسوا في حاجة للذهاب إليه. وقد نفذ هذا التكتيك متظاهرو سياتل في الولايات المتحدة الأمريكية وهم يحاصرون مبنىٰ اجتماع منظمة التجارة العالمية.

1 انظر قاعدة التدخل الخشن.

2 انظر قاعدة صناعة المعضلة.

أعمال الاقتراب غير المباشر: في هذه الأعمال يتم تجنب المواجهة تماماً مع القمع، ويتم الالتفاف عليه بعمل تكتيكات يصعب عليه التعامل معها، مثل جمع التوقيعات، أو الامتناع عن العمل، وكل الوسائل التي لا يترتب عليها احتكاك مباشر.



صورة 50: **من احتجاجات أعمال البناء في ميلانو، تركوا خوذاتهم بدلاً من الوقوف.**



صورة 51: **تظاهرة المقشات في البرازيل إحدىٰ مجموعات مقاومة الفساد ترص 594 مقشة بعدد أعضاء البرلمان علىٰ ساحل كاريوكا .**

ذكرنا هذه التكتيكات علىٰ سبيل المثال لتفتيح الآفاق، وتجنب حصر شكل الضغط الشعبي علىٰ نمط واحد من الفعل. وهذه التكتيكات قد لا تتناسب مع كل الحالات، وقد تناسب مجتمعات دون غيرها. واستقراء تجارب الشعوب لا يهدف إلىٰ استنساخ هذه التجارب في كل تربة، فلكل شعب بصمته. لكن العبرة أن العقل البشري قادر علىٰ تحقيق حلمه بأرقىٰ الوسائل، وأن المسار اللاعنيف جدير بالمجتمعات أن تبذل الجهود النظرية والعملية لتطويره وصقله، فالاطلاع الواسع يجعل العقل مشبعاً بثقافات متنوعة لاستخدامات اللاعنف، وهذا سبيل مهم للإبداع وخلق تجربة خاصة، تماماً مثل الفنان الذي يطلع علىٰ العديد من اللوحات ليشكل ثقافة فنية، هو لن ينسخ بعد ذلك لوحة قديمة، لكن تلك الثقافة تساعده في إبداع لوحة فنية جديدة.

سياسات التعامل مع القمع المحدود

كذلك فإن الفائدة الكبرىٰ من دراسة التجارب هي الاستفادة من منطق التفكير وليس الفكرة، من المنهج لا المنتج. فهناك منطق تفكير منضبط حكم كل هذه الاجتهادات السابقة وهي:

- الحفاظ علىٰ السمة الحضارية للمسار السلمي.
- تجنيب الاحتجاج مظاهر العنف التي قد يتسبب فيها المحتجون بسبب الحماس والغضب.
- الخط الأمامي للتظاهرة والذي يكون معرضـًا للاشتباكات هو مساحة محرمة علىٰ عموم المحتجين، فهو مخصص لنوعية معينة من المحتجين الذين سيطبقون التكتيك، وهم الذين يعلنون مسئوليتهم الكاملة عن الحماية، ولا يسمحون لأحد أن يقف معهم إلا إن وجدوا هم حاجة لذلك، وتظل مسئولية الحماية في أعناقهم. وهي ليست مسئولية منع القمع بقدر ما هي مسئولية منع الاشتباك من طرف المحتجين، ومنع الوقوع في الخطأ.
- استنفاذ الجهد من التحضيرات اللازمة لإنجاح النشاط، من خلال المجموعات المتخصصة، مثل مجموعات الرصد في الصف الأمامي المزودة بكاميرات ترصد الاشتباكات في حالة وقوعها من قبل قوات القمع حتىٰ لا تترك القضية للقيل والقال ومن الذي استخدم العنف. ومجموعات رصد ديناميكية الحركة علىٰ الأرض **(موقف رجال القمع، موقف المحتجين، موقف عموم الناس ورضاها عما يجري)**، وذلك من أجل اتخاذ أفضل قرار. ومجموعات مراقبة الاعتقالات والتصرف السريع معها، ومجموعات التأمين التي تضمن عدم دخول

مخـــرب، ومجموعــات الاتــصال التـــي تــضمن تنــاغم المهــام بـــين المجموعـات، إلىٰ آخـر ذلـك مـن المجموعـات التي تعمـل علىٰ تلبيـة الاحتياجات اللازمة للنشاط الناجح.

- الحرص علىٰ خلق حوار مع قوىٰ القمع.
- تأكيد السلمية من خلال تصميم تكتيات تزيل شبهة أي عنف.
- وضع قوىٰ القمع في موقف محرج في حالـة تفكيرهـا في القمـع بـدون مـبرر حقيقي. فحتىٰ لو فعلت لن تتمكن من اتهام المحتجين بالإرهاب.
- خلـق معـضلة لـدىٰ النظـام، إن تـركهم ولـم يقمعهـم يكونـون قـد أوصـلوا رسالتهم، وإن تصدىٰ لهم بعنف يتكشف مدىٰ قبح النظام وقسوته، وهـو يرد بقسوة علىٰ عمل سلمي محض، هذا القمـع يجعـل قـبح النظـام لـيس مجرد وجهـة نظـر لـدىٰ فئة قليلـة، ولكنهـا حقيقـة مؤكـدة يراهـا الجميـع. يرونها في سلوك المحتجين وطريقة رد الفعل عليها.
- لا يفكر مقاوم اللاعنف في مخـاطر القمـع، بقـدر مـا يفكـر في كيفيـة عـرض قضيته، وكسب الجمهور إلىٰ صفه، وتحويـل القمـع إلـىٰ أداة في صـالحه. لذلك فهو لا يتحرك بمنطق عراك الشارع الذي يقوم علىٰ رد الفعل والثأر، هو يفكر في ضوء خطة كلية لكسب الجماهير، وكسب بعض قـوىٰ القمـع ولو علىٰ سبيل الوقوف المحايد. لذلك يضبط الحركـة بـالالتزام بـأمرين: قضية عادلة، ووسائل راقية.
- العقوبـة جـزء مـن النـشاط ولـيست أمـراً سـلبيـًا، خاصـة إن تـم التمـسك بتكتيكات تؤكد الالتزام بمنهج اللاعنف مـن قبـل المحتجين، حينهـا قـد تلفت العقوبة الأنظار إلىٰ عدالة القضية ورقي وسائلها. لذلك نجد بعض المجموعـات لا تقـاوم الاعتقـال، فهـي تقـوم بالنـشاط ومـستعدة لـدفع

تكلفته، لتبرهن علىٰ أنها ليست ضد القانون كفكرة، ولكنها ضد القانون الجائر، وتستغل الاستجوابات والمحاكمات في إظهار عدالة القضية وإظهار فساد القانون الجائر. وقد كان غاندي يرىٰ أنه بعد خرق القانون الجائر، علىٰ الإنسان أن يقدم نفسه للمحاكمة، فهو ليس مجرماً هارباً من العدالة، وهو الرأي الذي اختلف حوله نشطاء اللاعنف حول العالم. وفي النهاية يمكن القول أنه أمر يخضع لدراسة كل حالة علىٰ حدة، وهل هي حالة في أجواء ثورية في لحظات حسم، أم حالة تعبير عن موقف وإيصال رسالة.

* * * *

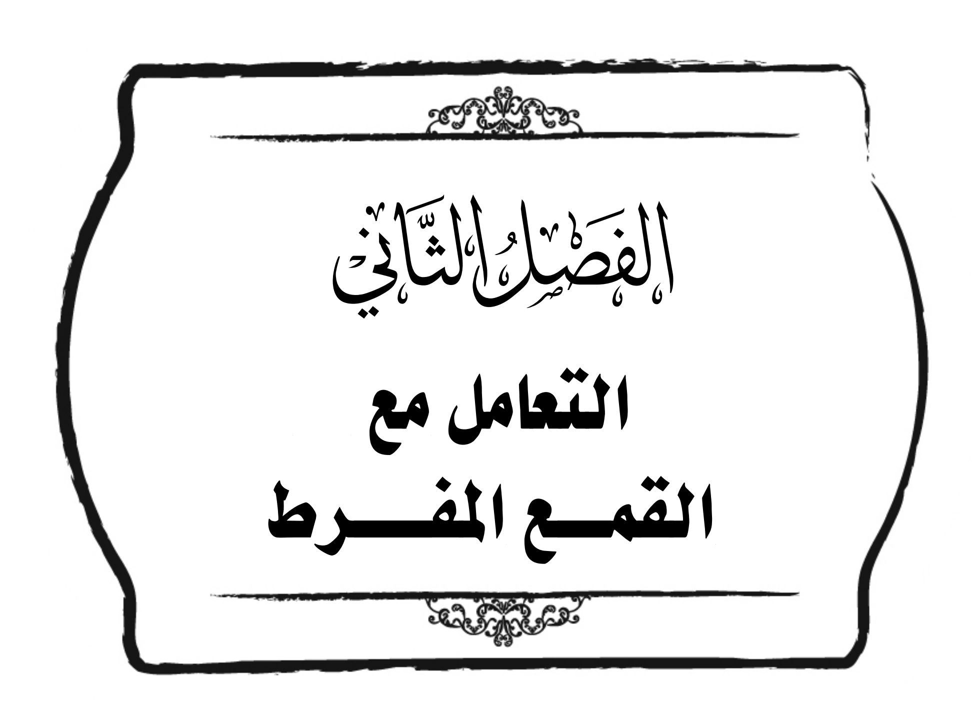
الخلاصات

* ينقسم قمع السلاح إلىٰ قمع محدود: أسلحة غير مميتة، وقمع مفرط: أسلحة مميتة.
* تندرج التكتيكات تحت ست استراتيجيات أساسية: استراتيجية إزالة التوتر. واستراتيجية تقييد الذات، واستراتيجية إظهار الشجاعة، واستراتيجية الاقتراب الحذر (**في حالة المنشآت الحيوية**)، واستراتيجية التشتيت، واستراتيجية تجنب المواجهة.
* تشمل استراتيجية إزالة التوتر التكتيكات التالية: تقديم شخصيات لها وجاهة، و تقديم جيش المهرجين، وتقديم كبار السن والعائلات، وشغر الصفوف الأمامية بمجموعات مدربة، والجدار البشري الفاصل، و وضع ساتر كبير، والنوم والجلوس أرضًا في الصفوف الأمامية، و الجلوس أرضًا مع إعطاء الظهر لقوىٰ القمع.
* تشمل استراتيجية تقييد الذات التكتيكات التالية: سلسلة المواسير، السجين.
* تشكل استراتيجية إظهار الشجاعة التكتيكات التالية: الاستبسال، وعدم إبداء أي مقاومة في الاعتقال، وتسليم النفس للشرطة، والسعي لدخول السجن.
* تشمل استراتيجية الاقتراب الحذر التكتيكات التالية: تكتيك الزرافة، وحرف " **v** "، والنشاط الخاطف.
* تشمل استراتيجية التشتيت التكتيكات التالية: المسيرات المتحركة بدلاً

من الثابتة، ومسيرات الشوارع بدلاً من الميادين، واحتلال أكبر عدد ممكن من الميادين، والتظاهر في عدة مدن بدلاً من مدينة واحدة، والتلويح بوسيلة ثم استخدام وسيلة أخرىٰ.

* تشمل استراتيجية تجنب المواجهة التكتيكات التالية: حصار القوات، والاقتراب غير المباشر.

* * * *



الفصل الثاني

التعامل مع القمــع المفــرط

يتبادر سؤال إلىٰ الأذهان حول حالات القمع المفرط التي لا يستخدم فيها النظام إلا الأساليب الدموية القاتلة لمحاولة وأد مقاومة شعب أعزل، كأن يستخدم مرتزقة تنتهك الحرمات، فتقتل وتروع، أو يوظف قوات الجيش بكل آلياتها، البرية والبحرية والجوية، في حرب شاملة علىٰ الشعب، يقتل فيها العزل فيقصف المنازل ويدمر الأحياء، ليقتل الرضع، والأطفال، والنساء، والرجال، بل وأحيانا الحيوانات بلا هوادة، في مجازر بشعة للحفاظ علىٰ العرش...!! هل يمكن للاعنف بصورته النموذجية السلمية أن يتصدىٰ لهذه الجريمة؟ وما الذي يملك شعب أن يقوم به إزاء محاولات الإبادة الجماعية والتهجير والتطهير العرقي؟

إننا في هذا الفصل لا نتحدث عن عنف مفرط طاريء، نتج عنه مقتل محتجين بشكل استثنائي، ولكننا نتحدث عن القمع المفرط الممنهج الذي يهدف إلىٰ سحق شعب بكل ما تحمله الكلمة من معنىٰ، مثلما حدث في كوسوفو ضد القرويين الألبان في عام 1998. ولاينسحب حديثنا هنا علىٰ عنف قوات مكافحة الشغب التي تتبنىٰ إرشادات علمية، محددة، مقننة محلياً، وعالمياً لفض تظاهرات أو احتجاجات، حتىٰ وإن نتج عن ممارساتها إزهاق في الأرواح، لا يعبر عن سياسة أصيلة في القمع.

وإجابة السؤال تتطلب الإشارة للمستويين الأوليين لحرب اللاعنف: الفلسفة والاستراتيجية، قبل الاستفاضة في الحديث عن المستوىٰ الثالث «**مستوىٰ التكتيكات**».

علىٰ مستوىٰ الفلسفة لابد من التعرض إلىٰ سؤال: ماهو الشكل النهائي للمجتمع الذي يريده المقاومون؟

وعلىٰ مستوىٰ الاستراتيجية: ما المسار الأفضل لتحقيق هذا المجتمع؟

وأما على مستوى التكتيك: ما هي التكتيكات المناسبة لإنجاح هذا المسار؟

أولاً: مستوى الفلسفة

الهدف النهائي من الصراع السياسي في فلسفة "حرب اللاعنف" هو بناء مجتمع قوي، حر، متماسك، منتج، يحترم التعددية، يدور الصراع السياسي فيه عبر وسائل مدنية، وليس مغلوباً على أمره بالقوة العسكرية، أو الأمنية التي غالباً ماتحتكرها أجهزة النظام.

أما عن موقفه من الحكومة فهو ليس معتمداً عليها بقدر ما هي معتمدة عليه، فهو الذي يملك القدرة على دعمها أو معارضتها أو تغييرها، متخذاً من اللاعنف مساراً لضمان توزيع القوة بشكلها الصحيح داخل المجتمع.

ثانياً: مستوى الاستراتيجية

يطرح المسار اللاعنيف نفسه كأحد أقوى المسارات التي تؤدي إلى إعادة توزيع القوة في المجتمعات، وإعادة تعريفها، وتحديد موقع القوة العسكرية من المجتمع كوسيلة لحماية حدوده، لا يسمح المجتمع باستخدامها من أي طرف في إدارة الصراع السياسي الداخلي، ذي الطبيعة المدنية الصرفة.

وعلى المستوى الاستراتيجي تأتي القاعدة: إن كل ما يدعم بناء المجتمع القوي يصبح صحيحاً، وكل مايؤدي إلى ضعفه يصبح مرفوضاً. وينبغي فهم كيفية التعامل مع القمع في هذا السياق. فإجابة سؤال كيفية التعامل مع القمع لا تنفصل عن إجابة سؤال أساسي في مسار التغيير: إلى أين نريد أن نصل بالمجتمع؟ يجب أن نحدد، هل نريد مجتمعاً متماسكاً أم مفتتاً؟ الكلمة العليا فيه لمن يستند إلى السلاح أم لمن ينحاز إلى الشعب؟!

ثالثاً: مستوى التكتيك

أما على المستوى التكتيكي، فمع الحفاظ الدائم على تقوية حراك اللاعنف،

ووضع ذلك كمعيار دائم تقاس عليه صحة المسارات التكتيكية، يتم تحليل استراتيجية النظام، ومراده من القمع: هل تخويف الناس؟ هل حصد المجموعة الجريئة واستنزاف الحراك الشعبي؟ هل يهدف إلىٰ جر المجتمع إلىٰ دوامة العنف؟ وإبعاده عن مركز قوته (اللاعنف)، فيقتل المقاومة من جهة، ويمرر لها السلاح من جهة أخرىٰ ليجرها إلىٰ الساحة التي يتفوق فيها عليها، ويخدعها كي تظن أنها تقاتله؟!

وهنا يجدر علىٰ المقاومة أن تعي جيداً، أن الانجرار غير الواعي إلىٰ العنف، يضعف الحركة المقاومة ولا يقويها، وإن الضابط الأساسي لاستخدام بعض التكتيكات العنيفة إن لزم الأمر، هو الدفاع عن المسار اللاعنيف، في مقابل عمليات قصف وإبادة وحشية يمارسها النظام. حتىٰ لا يفقد المقاومون مصدر قوتهم، ولا يستنزف عنف النظام مواردهم. فمثلاً جنوح عقل الجموع إلىٰ أن الحل الوحيد المتبقي هو العنف المضاد، خطأ قاتل، حيث أن الناتج النهائي لهذا الجنوح هو انتقال القوة العنيفة من يد مجموعة أو طائفة تحكم، إلىٰ مجموعة أخرىٰ قادمة متحكمة في أداة الحسم الخاطئة "العنف". وهو ما يعد انقلاباً علىٰ الأهداف التي انطلقت المقاومة لأجلها.

بعد تحديد مراد النظام من القمع يكون الهدف التكتيكي هو قطع الطريق علىٰ القمع كي لا يحقق أهدافه. وهذا يتطلب دراسة أكثر من مسار من خلال طرح التالي:

ما هو المسار المقاوم المقترح سلوكه؟

ما تكلفته علىٰ المقاومة؟ هل يقع ضمن حدود قدرتها الاستراتيجية، أم يفوقها؟

هل يقوي مسار اللاعنف أو يضعفه؟

ما ردود الفعل المتوقعة عليه (**من الجماهير والنظام والعالم**)؟

كيف يمكن رفع التكلفة علىٰ الخصم في حالة تصديه لهذا المسار المقاوم الجديد؟

كيف سيضع المسار المختار الخصم في معضلة؟

كيف ستستثمر ردود الفعل المتوقعة من النظام علىٰ هذا المسلك الجديد (**الجماهير والنظام والعالم**) لصالح المقاومة؟

وبعد دراسة كل مسار (**بإجابة الأسئلة السابقة**) يتم اختيار المسار عن وعي لا تحيز مسبق، وعن تقدير استراتيجي لموزاين القوىٰ وبناء قدرات المقاومة لانتهاج هذا المسار، وتسديد فاتورة تكلفته المتوقعة.

ونضرب هنا نموذجاً لتوضيح الصورة عن المسارات المتوقعة في حالات القمع المفرط الممنهج والمتواصل:

مسار الاستسلام: قد يفكر المقاومون في مسار الاستسلام، وفي هذه الحالة يُتوقع أن يزيد القمع، لا أن يقل وأن يتم وأد المقاومة بشكل متسارع.

مسار العنف غير المدروس: قد يفكر المقاومون في انتهاج مسار الرد العنيف غير المدروس، كحمل مسدس في وجه مدفع، أو بندقية مقابل طائرة، أو جيش غير مؤهل أمام جيش نظامي مجهز، وفي هذه الحالة سيكون النظام هو أول ممول وداعم للمقاومة بالسلاح، ليجرها إلىٰ لعبته التي يجيدها، ويعلن الحرب علىٰ الإرهاب، فيحول القضية إلىٰ اقتتال يصرح فيه الإعلام العالمي بأن انتهاك الحقوق البشرية متبادل بين الطرفين، ويطالب فقط بوقف إطلاق النار. وتكون النتيجة النهائية هي الوأد البطئ للمقاومة، عبر انحسار المشاركة الشعبية، ظناً خاطئاً من البعض أن الحسم أصبح للطرف الأعنف. هنا يجدر الإصغاء إلىٰ نصيحة سول ألينسكي للأمريكيين السود: «**إن القول بأن السلطة هي علىٰ مرمىٰ**

بندقيتنا إنما هو قول أخرق، طالما أن خصومنا يمتلكون البنادق كلها». [1]

مسار اللاعنف المطلق: قد يفكر المقاومون في مسار اللاعنف المطلق ويراهنون علىٰ استعدادهم للموت باعتبار ذلك خطة لا استسلامًا، فلن يقتل النظام مئات الآلاف ممن يتلقون الموت بصدور عارية، وفي هذه الحالة لن يستمر القمع إلىٰ ما لانهاية وسيزداد التصدع في معسكر الخصم، ويتم إحراج الدول الداعمة للنظام الديكتاتوري، وسيزداد التعاطف الشعبي. وهذا المسار يتطلب استعداداً نفسيًا عاليًا، وعلىٰ المقاومة أن تعد نفسها له جيداً إن اختارته. وعاة ما يتطلب قيادة عامة يثق فيها المشاركون ليطبقوا هذه الاستراتيجية. ومن أبرز تحدياته حالات التنكيل الشديدة التي تثير الغضب والرغبة في الرد في الانتقام، مثل اغتصاب النساء. وهو ما يجعل أي صوت يدعو للتريث وعدم تحويل المسار صوتًا متخاذلاً مفرطًا في الأعراض.

كانت ثورة الخميني من الثورات التي جسدت في بعض ملامحها تلك المعاني بوضوح حين أطلق نداءه المشهود للمتظاهرين: «**لا تهاجموا الجيش في صدره، ولكن هاجموه في قلبه**»، إذا صدرت إليهم الأوامر بإطلاق النار عليكم، فلتعروا صدوركم، فدماؤكم والحب الذي ستظهرونه لهم وأنتم تسلمون الروح لبارئها سوف يقنعهم؛ فدماء كل شهيد ناقوس خطر يوقظ آلافًا من الأحياء".. هذه كانت نصيحة الخميني للثوار في إيران عام 1979.. ترىٰ هل كان الخميني جبانًا أم استراتيجيًا حكيمًا؟؟

مسار العنف المدروس: قد يفكر المقاومون في العنف المدروس، مثل حماية التظاهرات، والهدف هنا هو التصدي لإحدىٰ العقد الاستراتيجية، كمعالجة الخوف لدىٰ المقاومة، أو بعث الأمل والجرأة علىٰ المشاركة، أو

---

1 جان ماري مولر، معنىٰ اللاعنف، مركز اللاعنف وحقوق الإنسان، ط1، ص55.

إلقاء الرعب في قلوب من يقمعون...الخ، بحسب ما يحدده استراتيجيو المقاومة اللاعنيفة. **وفي هذا المسار تطرح الكثير من الأسئلة:**

❋ ما الغرض من العنف: الدفاع – الهجوم.

❋ من الذي سيستخدم العنف: حركات محددة – قوات منشقة عن الجيش – قبائل وعائلات معروفة. (**من الذي سيتحمل المسئولية؟**)[1]

❋ ما مدىٰ إمكانية أن توكل المقاومة مسؤولية الحماية لمجموعات أو جهات لا يمكن اختراقها، أو توظيفها في عنف غير مدروس؟

❋ ضد من يستخدم العنف: الجيش – الشرطة – البلطجية.

❋ ما درجة قبول المجتمع: (**فقد تتحسس المجتمعات من مواجهة الجيش الذي يحمي البلاد، وتقل هذه الحساسية مع الشرطة القمعية، وتتلاشىٰ مع البلطجية، ويختلف هذا الترتيب في العلاقة من مجتمع لآخر بحسب طبيعة العلاقة بين الشعب والجيش والشرطة**[2]).

❋ ما طبيعة العنف: لفظي – بدني – حجارة – مولوتوف - أسلحة (**بيضاء – نارية – ثقيلة**).

❋ ما نتيجة العنف المتوقعة؟

❋ ما مدىٰ قدرة الحراك المقاوم علىٰ السيطرة علىٰ العنف: بحيث لا يتحول إلىٰ مسار أصلي؟

❋ كيف يتم تجنب فوضىٰ السلاح حيث يقتل الثوار بعضهم بعضاً؟

كل هذه الأسئلة تطرح علىٰ العنف الأسئلة الجادة، إذ يبدو مخرجاً حالماً، فتساعد هذه الأسئلة في كبح جماحه وتقدير إمكانات المسار وتوابعها بشكل

---

1 ارجع في الملحق للثورة اليمنية وكيف كانت المسئوليات محددة في التعامل العنيف.

2 راجع الثورة اليمنية في الملحق.

منهجي. فالهدف هنا سيكون حماية المسار اللاعنيف، حتىٰ لا يضطر الناس للانخراط في العنف الجاهل الذي لا يبقي ولا يذر. الهدف هو حصار العنف حتىٰ لا يندلع بشكل هيستيري، والحفاظ علىٰ مسار اللاعنف الذي يكفل تقوية المجتمع.

وهذا الخيار يتطلب الدراسة الواعية لأن أخطاءه قد تطيح بمشروع التغيير برمته، لتحول المقاومة في وعي الناس إلىٰ مجموعة من الإرهابيين، بينما الأخطاء في كل أشكال العمل السلمي تكلفتها محدودة، وتزيد من خبرة المجتمع وتبني قدرته علىٰ الفعل المقاوم اللاعنيف، حتىٰ وإن أثارت أحياناً غضب المجتمع فهو غضب مؤقت سطحي لا يضرب بجذوره في أعماق الذاكرة.

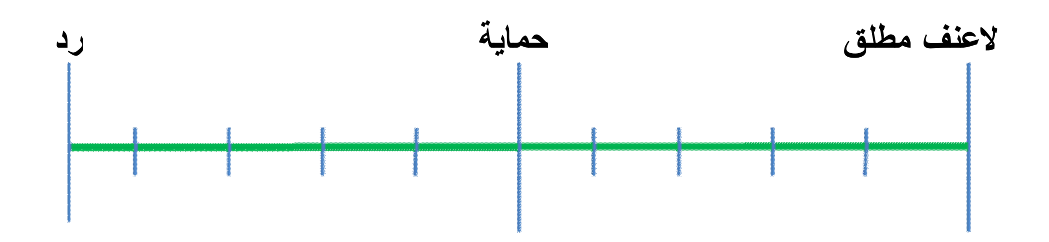
وهكذا تتعدد المسارات، ويتم دراسة كل مسار وتكلفته وإمكانية القيام به. فقد يكون المسار الأفضل هو اللاعنف المطلق، لكن إمكانية تحقيقه غير متوفرة، خاصة إن لم تكن الثقافة اللاعنيفة متوفرة، ولم يتم استيعاب معنىٰ «**أن تُقتَل ولا تَقتُل**». أو كانت الجموع تخشىٰ الموت فلا تخرج بصدور عارية، وهذا مسار وإن كان هو الأفضل يتطلب خدمة وتقديم نموذج بارز. وقل مثل ذلك في مسار العنف المدروس، فربما كانت حماية المسار السلمي هي الأفضل، لكن لا توجد تلك الجهة أو المجموعة المؤتمنة علىٰ هذه المهمة. وبالتالي يمكن الاستغناء عن المسار والاكتفاء بحماية كل شخص لنفسه بما يستطيع توفيره من أدوات ردع مقبولة مجتمعياً بحسب كل بيئة. وتظل العبرة النهائية بالهدف، فإن كان الهدف مجتمعاً قوياً يخوض الصراع السياسي بوسائل مدنية، فعليه أن ينتصر لتلك الوسائل، وألا يضن علىٰ ذلك بأي تكلفة مطلوبة.

ليست هذه هي المسارات الوحيدة المحتملة، ولكنها نماذج، والاستراتيجيون بارعون في تصميم مسارات مكافئة للواقع، وقد يدمجون بين أكثر من مسار.

في النهاية وبعد اختيار المسار المناسب تبدأ عملية اختيار التكتيكات المناسبة، التي من شأنها أن تضمن سلامة المسار وتحقيقه لأهدافه. حتىٰ أولئك الذين يجدون ضرورة أن يحموا نشاطهم من قمع مفرط، عليهم أن يختاروا التكتيكات التي تقول نعم سندخل في المسار الذي درسناه، وخططنا له جيداً، وسنظل دائماً في مربع الفعل، ولن ننجر إلىٰ رد الفعل عن جهل أبداً. كل ذلك وفق شروطنا، وبناء علىٰ معاييرنا العلمية، ليجد الخصم نفسه في النهاية في مسارنا نحن، يلعب وفق القواعد التي وضعها المقاومون لتقوية المجتمع. فيقاوم الإضراب مثلاً بحشد عمالي من الموالين له، وهذا في حد ذاته انتصار للمجتمع، بعد أن كان يرميه بالرصاص، حيث تمكن المجتمع من نزع سلاح السلطة، وحافظ علىٰ مسار اللاعنف، وفرضه علىٰ خصمه لتصبح «**السلمية**» لغة الحوار بدلاً من الرصاص، كما يتم حقن دماء المجتمع، وتوحيد صفه، وعدم تكريس القوة العسكرية لدىٰ أي فصيل فيه.

خلاصة خيارات حرب اللاعنف في التعامل مع القمع

سواء كانت المقاومة تواجه عنفاً محدوداً أو مفرطاً فإنها تقع بين عدة خيارات تقع علىٰ مسطرة، يتوسطها خيار الحماية، وطرفاها هما اللاعنف المطلق والرد، وتتحرك المقاومة علىٰ هذه الدرجات المختلفة بحسب الحالة. وقد تدمج بين الخيارات، فتختار اللاعنف المطلق لمدة ساعة، مع التحمل وضبط الناس، ثم ترد بأعمال احتجاجية تصعيدية لاحقاً بعد أن يتأكد مشروعية مقاومتها.



شكل 18: **يبين الخيارات المتاحة والطيف الواسع بين اللاعنف المطلق والحماية والرد، والدرجات التي بينهم، ويتم الاختيار السليم بناء على طبيعة المرحلة والاستراتيجية المحددة، بما يحافظ على المسار السلمي ولا ينحرف به لصالح مسار العنف.**

أولاً: التمسك باللاعنف المطلق

ويكون ذلك من خلال:

التحدي بالصدور العارية: تحدي آلة القمع، ولا يوجد افتراض في هذه الاستراتيجية أن قوات القمع لن تطيع الأوامر، بل ستطيع، وسيجسد صمود المتصدين بأجسادهم العارية درجة إيمانهم بقضيتهم، ويرى الناس والعالم ومجتمع القمع هذه الحالة من التفاني وعدم الرد من جهة المقاومين، كما يرون الحمق والإجرام من جهة النظام. وقد يتسبب ذلك في سقوط شهداء، كأي معركة ضد الطغيان قد يسقط فيها بشر.

وتأخذ أشكال التمسك باللاعنف والتصدي بالصدور العارية أشكالاً عدة مثل الوقوف مجموعات، أو الجلوس أرضًا، أو النوم في الشارع أمام المدرعات وقوى القمع، وكلما كان المشهد أكثر تجسيداً للسلمية وتأكيداً لها وأبلغ على مخاطبة العالم كله، كلما أصبح القمع في هذه الحالة جزءاً من الخطة.. خطة انهيار الحق الأخلاقي والسياسي لما يقوم به النظام. كما يسرع ذلك من عمليات الانهيار الداخلية للنظام. ولا يستبعد من ذلك مواجهة

الرصاص بالحجارة – في تعبير عن الغضب – إن كانت الاستراتيجية تسمح بذلك، فليس الكل يستطيع رفع يديه للسماء وفتح صدره لتلقي الضربات. ففارق السلاح واضح للجميع.

استراتيجية تجنب الاشتباك: وتسعىٰ لتجنب الاشتباك تماماً مع القمع، مثل الامتناع عن دفع الفواتير، أو الجلوس في البيوت وعدم مغادرتها، أو إشغال المباني الحكومية بأعداد كبيرة من البشر بدعوىٰ طلب خدمة معينة، لكنهم في الواقع يشلون حركة الإدارة.

ثانياً: الحماية:

أحياناً يُدمج التمسك باللاعنف المطلق باستخدام وسائل الحماية المتنوعة التي تقلل الخسائر وتزيد من شجاعة المحتجين، مثل الدروع ونظارات البحر. وكل الأدوات المستخدمة تكون في إطار الحماية **(وليس الرد)**. كما يراعىٰ اختيار شكل الدروع وأدوات الحماية والكتابة أو الرسم عليها بحيث تعكس الرسالة ولا توحي بنية الرد.

ثالثاً:الرد:

ويكون في حالات القمع المفرط مع الرغبة والقدرة علىٰ الحسم من قبل المقاومين، أو الحالات الحاسمة التي تحسم نهائياً الصراع وتتطلب درجة من التدخل المباشر، مثل ما حدث من تدافع بدني، وإحضار الجرافات لإزالة الحواجز إن لزم الأمر في مشهد احتلال مبنىٰ البرلمان في الثورة الصربية عام 2000. كذلك يدخل في خيار الرد وسائل التدخل الخشن وفق ضوابطه المذكورة سابقاً.[1]

---

1 انظر قاعدة التدخل الخشن.

هل استخدام السلاح في بعض الحالات يندرج في حرب اللاعنف؟

استخدام الأسلحة البيضاء والنارية وأي سلاح مميت، لا يندرج مبدئياً في أسلوب «**حرب اللاعنف**».. لكننا سنتناول هنا نظرة «**حرب اللاعنف**» لأشكال العنف المسلح، من حيث مدىٰ قرب أو بعد حالات الرد بعنف من المسار الذي تتبناه، ومتىٰ يجب أن يستشعر المقاومون أن المسار أصبح عرضة للخطر.

حالات القوات النظامية

* أن يبادر المحتجون قوات مكافحة الشغب برمي الحجارة، فهذا الفعل لا يمت لمسار اللاعنف بصلة.
* أن يكون المسار السلمي هو الطاغي، وتصحبه محاولات دفاعية بالحجارة أمام عدوان بالسلاح، فلا يعني ذلك انحراف المسار السلمي، فالمحتجون اختاروا أداة رمزية (**غير مميتة**) يحاولون دفع الأذىٰ بها عنهم، بدون نوايا لإزهاق الأرواح. وتظل بذلك حركة المقاومة في إطار «**حرب** اللاعنف» التي تنهض بالمسار السلمي وتحميه.
* أن يكون السلاح الخفيف موجهاً إلىٰ أجهزة قمعية نظامية بغرض الدفاع من قبل مجموعات قليلة جداً (**مثلاً واحد من كل ألف من المشاركين**). هذه الحالة تعد انحرافاً تاماً عن مسار «**حرب اللاعنف**»، ومؤشراً خطيراً بانتهاء المسار، إن لم تكن هناك وقفة جادة للتحقيق في أسباب وهويات من قاموا بذلك، وإعلان التبرؤ الكامل مما جرىٰ.
* أن يكون السلاح الخفيف موجهاً لأجهزة قمعية نظامية بهدف الهجوم: هذه الحالة خارج نطاق«**حرب اللاعنف**» تماماً. ولا تصنف فيه بأي حال من الأحوال.

حالات القوات غير النظامية (البلطجية)

* أن يكون الرد بالحجارة علىٰ مجموعة تحمل أسلحة قاتلة تهاجم الأنشطة السلمية. في هذه الحالة يظل الحراك في إطار حرب اللاعنف.
* أن تستعمل أعداد قليلة جداً أسلحة نارية للرد علىٰ هجوم من البلطجية دون تواجد لقوات نظامية، يكون مؤشراً علىٰ أن مسار اللاعنف في خطر.
* أن تستعمل (**أعداد كبيرة**) أسلحة نارية في هجوم علىٰ البلطجية دون تواجد قوات نظامية، لا يمت لمسار حرب اللاعنف بصلة.
* أن تستعمل (**أعداد صغيرة**) أسلحة نارية في هجوم علىٰ البلطجية مع تواجد قوات نظامية، لا يمت لمسار حرب اللاعنف بصلة.

حالات القوات الخارجية

في حالة ظهور المقاومة المسلحة (**سواء أسلحة بيضاء أو أسلحة نارية خفيفة ومتوسطة وثقيلة**) كخط أساسي وفاعل، فلا تعتبر امتداداً لحرب اللاعنف، سواء حظيت بمباركة شعبية، أم لم تحظ. خاصة حين تأخذ الطابع الهجومي، ويكون الرهان عليها في خوض الصراع، ويتوقع أن تنتج عنها ردود أفعال عنيفة. في هذه الحالة نكون أمام نوع جديد من الحروب، وهو «**حرب العصابات**»، قد تصاحبه بعض الوسائل السلمية، لكنه لا يمت «**لمسار حرب اللاعنف**»بصلة.

الطرف	الحالة	التقدير
قوات نظامية	المحتجون يبدأون الهجوم بالحجارة.	عنف
	المسار سلمي والمحتجون يدافعون عن أنفسهم بالحجارة أمام هجوم مسلح.	حرب اللاعنف
	المسار سلمي والمحتجون وأعداد قليلة جداً تدافع بالسلاح الخفيف أمام هجوم	عنف ومؤشر خطير علىٰ احتمال تحول مسار

	مسلح.	حرب اللاعنف
	سلاح خفيف موجه بهدف الهجوم.	عنف
	كل الأسلحة المتوسطة والثقيلة.	عنف
البلطجية	رد بالحجارة علىٰ مجموعة تهاجم بالسلاح.	حرب اللاعنف
	أعداد قليلة مسلحة ترد هجوم مجموعات مسلحة، لا تدعمها ميدانياً قوات نظامية.	عنف ومؤشر خطير علىٰ احتمال تحول مسار حرب اللاعنف.
	أعداد قليلة مسلحة ترد هجوم مجموعات مسلحة من البلطجية تدعمهم ميدانياً قوات نظامية.	عنف
	أعداد كبيرة مسلحة ترد هجوم مجموعات مسلحة من البلطجية.	عنف
القوات الخارجية	المقاومة المسلحة.	عنف

جدول 8: **استخدام السلاح بصفة عامة يعتبر خارج مسار «حرب اللاعنف»، بعض حالات الرد بالحجارة يغض الطرف عنها باعتبار السلاح المقابل والحالة الدفاعية، وبعض حالات الدفاع عن الذات بالسلاح ضد بلطجية تكون مؤشراً وجرس إنذار علىٰ احتمال انحراف المسار.**

ويمكن القول بأن الحالات السابقة قد لا تصلح حكماً علىٰ الحالات في كل البلاد. لتحديد ما إذا كانت ممارساتها انحرفت عن مسار «**حرب اللاعنف**» أم لا. بسبب اختلاف الثقافات حول معنىٰ العنف وطبيعة التعامل مع السلاح، وطبيعة من يصوب نحوه. فالمجتمعات التي يغلب عليها الطابع القبلي المسلح تختلف عن المجتمعات الحضرية. ويظل المعيار الأساسي هو إمكانية أن

يساعد هذا العنف المحدود في حصار العنف، وليس إشعاله[1].

فعلىٰ سبيل المثال عنف الثورة المصرية في موقعة الجمل في يوم 2 فبراير 2011، وهي تتصدىٰ بالحجارة والزجاجات الحارقة للبلطجية – الذين حاولوا اقتحام ميدان التحرير – في مشهد دفاعي لا تخطئه عين مراقب؛ كان من شأنه حصار العنف، بل ومشاركة الكثير من المصريين لاحقًا تضامنًا مع من كانوا في ميدان التحرير، ولم تكن هناك إدانة شعبية تذكر لهذا الرد (**رغم وجود إدانة من البعض للثورة ذاتها**)، لأن الجميع يعلم أن المواجهة تتم مع بلطجية، علىٰ عكس لو كان هذا الاشتباك مع القوات المسلحة المصرية، في هذه الحالة كان العنف سيشتعل، ولم تكن الجماهير ربما لتشارك آنذاك.

لماذا عدم التساهل في الرد بعنف؟

القاعدة الأساسية في حرب اللاعنف هي الصمود والحماية وعدم فتح الباب علىٰ مصراعيه أمام فكرة الرد بعنف، ليتحول العنف إلىٰ أن يكون الإجابة الأسهل بدلاً من التفكير في إبداع آليات جديدة، **ويعود ذلك لعدة أسباب:**

* من السهل فتح بوابة العنف ومن الصعب إيقاف طوفانه والتحكم فيه. تبدأ الفكرة في البداية بمجرد الرد علىٰ العدوان، ثم تتوسع لبعض العمليات الهجومية، ثم الحديث عن ضرورة القضاء علىٰ العملاء والطابور الخامس المتربص بالثورة، ثم يتطور الأمر للاقتتال الأهلي بين المجموعات المسلحة.

* العنف لا يقود إلىٰ مجتمع مدني قوي، بل يقود إلىٰ مجتمع تترعرع فيه

---

1 عندما نتعرض للحديث عن استخدام السلاح فهو تناول موضوعي من منظور "حرب اللاعنف"، لنحدد ما يدخل في إطاره وما لا يعتبر في إطاره. فمقاومة المحتل بالسلاح لا تدخل في منهج حرب اللاعنف، وهذا في حد ذاته لا علاقة له بإدانة هذا النوع من المقاومة أو تأييده. إنما مجال الكتاب هنا هو التعريف بأسلوب "حرب اللاعنف"، ومحاولة تحديد الخط الفاصل بينه وبين العنف.

الميليشيات العسكرية، حيث يصبح القانون أن من لديه القوة العسكرية ينتصر.

* تكتشف المقاومة في وسط الصراع أن الأزمة لم تعد في دحر الخصم، فهذا سيحدث عاجلاً أم آجلاً بعد استنزافه، وإنما التحدي في هذه الجماعات المسلحة التي ستقتتل بسبب اختلاف الأهداف والأيديولوجيا والمطامع. وبذلك يكون المجتمع بدخوله مسار العنف قد فجر خصمه ونفسه معًا.
* العنف هو الملعب المفضل لدىٰ الخصم وكثيراً ما تجر الأنظمة القمعية حركات المقاومة السلمية إليه، وتستفزها حتىٰ تتورط فيه، وتسقط عنها أي بعد أخلاقي، وتشيطنها في عيون الناس والعالم.
* العنف يؤدي إلىٰ شرخ اجتماعي قد يتطلب علاجه سنوات طويلة.
* ما أُخذ بالعنف سيتم الدفاع عنه بالعنف، وهو ما يضع البلاد في دوامة العنف المستمر.
* استخدام العنف سيشرع لأي قوة تغيير لاحقًا أن تستخدمه.
* يتطلب العنف حتىٰ ينجح حاضنة شعبية وهو ما لا يتوفر بسهولة في الصراع ضد الديكتاتوريات، اللهم إلا إن استخدم النظام نفس وحشية قوات الاحتلال من قصف وتهجير.
* العنف يخيف الناس وهي بطبعها تميل للاستقرار، ويحرم قطاعات واسعة من المجتمع من المشاركة لتنعزل المقاومة عن الشارع ويفترسها النظام لاحقًا.

* * * *

الخلاصات

* الهدف النهائي من الصراع السياسي في فلسفة «**حرب اللاعنف**» هو بناء مجتمع قوي، حر، متماسك، منتج، يحترم التعددية، يدور الصراع السياسي فيه عبر وسائل مدنية.

* علىٰ المستوىٰ الاستراتيجي تأتي القاعدة: إن كل ما يدعم بناء المجتمع القوي يصبح صحيحًا، وكل مايؤدي إلىٰ ضعفه يصبح مرفوضًا.

* الانجرار غير الواعي إلىٰ العنف يضعف الحركة المقاومة ولا يقويها، وإن الضابط الأساسي لاستخدام بعض التكتيكات الخشنة إن لزم الأمر، هو الدفاع عن المسار اللاعنيف.

* المسارات المحتملة في حالات القمع المفرط هي الاستسلام أو العنف غير المدروس أو اللاعنف المطلق أو العنف المدروس.

* التمسك بمسار اللاعنف المطلق ينبغي أن يصحبه قدر من الحماية لتقليل الخسائر وزيادة الشعور بالأمن.

* القاعدة الأساسية في حرب اللاعنف هي الصمود والحماية وعدم فتح الباب علىٰ مصراعيه أمام فكرة الرد بعنف، ليتحول العنف إلىٰ أن يكون الإجابة الأسهل بدلاً من التفكير في إبداع آليات جديدة.

* من السهل فتح بوابة العنف ومن الصعب إيقاف طوفانه والتحكم فيه. وهو يؤدي لتصدعات اجتماعية يتطلب علاجها عقوداً.

* العنف لا يقود إلىٰ مجتمع مدني قوي، بل يقود إلىٰ مجتمع تترعرع فيه الميليشيات العسكرية.

❊ العنف هو الملعب المفضل لدىٰ الخصم، وانجذاب حركات المقاومة السلمية إليه يُسقط عنها البعد أخلاقي، ويساعد النظام القمعي علىٰ شيطنتها في عيون الناس والعالم.

❊ ❊ ❊ ❊



الفصل الثالث

كيفية حصار العنف

ليس عنف الأجهزة القمعية وحده هو الذي يتطلب تسليط الضوء عليه والتفكير في كيفية مقاومته. فقد يتسلل العنف إلىٰ الممارسات التغييرية، ليصبغ مشروع التغيير بطابع عنيف.

فبالرغم من أن العنف عادةً ما يبدأ كرد فعل لعنف الأجهزة القمعية أو لاستفزاز الأطراف الأخرىٰ التابعة للنظام الديكتاتوري لجموع المقاومين، إلا أننا لن نتطرق هنا إلىٰ ظاهرة عنف المقاومين كرد فعل، وإنما عن مبادرتهم بانتهاج العنف حتىٰ في ظل غياب مظاهر الاستفزاز من قبل قوات الأمن التي عادةً ما تتواجد في ساحات المواجهة.

وقبل البدء في استعراض أساليب حصار العنف الجماهيري نرىٰ أنه من الضروري تذكير الشعوب المقاومة بأن الحفاظ علىٰ أهداف التغيير مرتبط بشكل كبير بالحفاظ علىٰ مساره، فكلاهما يمكن تعرضه لمحاولات السرقة والاختراق. لذلك ينبغي أن يعيَ المقاومون أن التأكيد والحرص علىٰ الأهداف يجب أن يصاحبه التأكيد والحرص علىٰ المسار.

ويمكن تصنيف العنف الذي يتسلل إلى الأنشطة التي تدعو إليها قوى التغيير إلى:

* عنف المتظاهرين نتيجة الحماس.

* عنف قوىٰ أخرىٰ منظمة.

أولاً: عنف المتظاهرين نتيجة الحماس:

ويأخذ أشكالاً منها:

العنف اللفظي: ونعني به استخدام السباب والإشارات البذيئة من قبل بعض المتظاهرين المتحمسين، وهم في غالب الأمر يعبرون عن مواقفهم بالطريقة التي اعتادوا عليها، وبناء علىٰ ثقافتهم، وهؤلاء يجب ألا يعاقبوا؛ بل علىٰ مجموعات العمل المتواجدة في مسرح الفعل المقاوم مساعدتهم علىٰ تغيير

أسلوبهم. وهذه المجموعات المتحمسة والجرئية يمكن لها – بروح التحدي التي تتمسك بها – أن تتحول إلىٰ مكون مهم في مشروع التغيير[1]، وسنذكر بعض الاستراتيجيات العامة للتعامل مع هذا النوع من العنف **علىٰ سبيل المثال**:

1. **إدارة الحوار**: حيث يدار حوار مع المجموعات التي تمارس هذا السلوك، مع توضيح سلبيات هذه الممارسة، التي تنعكس علىٰ شكل التظاهرة ومدىٰ اندماج عموم الناس معها. ويكون هذا الحوار ميدانياً أو استبقاياً قبل موعد التظاهرة في حالة أن المجموعات التي تمارس هذا النوع من العمل معروفة.
2. **التجاهل مع أخذ الحذر**: فإن لم يفلح الإقناع فلا بأس من تركهم وتجاهل ما يقومون به حتىٰ لا يتطور الأمر ويزيد العناد. علىٰ أن يتم أخذ الحذر – من تلك المجموعات تحديداً- حتىٰ لا يتطور العنف اللفظي إلىٰ عنف بدني أو تخريب.
3. **التشويش**: كذلك يمكن تجاوز العنف اللفظي بالتشويش عليه من خلال أغنية حماسية جماعية، أو هتاف منظم، أو نشاط يلفت الانتباه فيجذبهم للمشاركة فيه، دون إظهار أن هذا رد فعل علىٰ تلك الممارسة حتىٰ لا تتفاقم.
4. **الاستيعاب**: في حالة أن تلك المجموعات لها قيادات؛ يمكن في هذه الحالة استيعابها في الساحة الأساسية للتظاهرات، فكلما شعرت بالغربة مارست عملها بالطريقة التي تعودت عليها، وكلما أمكن دمجها في

1 من الضرروي التمييز بين المقاوم صاحب الرؤية وبين المحتج الذي خرج للتعبير عن رأيه بطريقته، فالمقاوم صاحب الرؤية لا يلجأ إلىٰ ما ينفس عن غضبه بقدر ما يلجأ إلىٰ ما يجعله يفوز بالجماهير، وربما ابتعد عن أشياء تتمناها نفسه مثل السباب التزاماً برؤية لإنجاح النشاط. وفي هذه الحالة لا نقيم السباب من منظور أخلاقي، بل من منظور استراتيجي من حيث أثره الإيجابي والسلبي علىٰ النشاط.

الفعاليات المقامة كان ذلك أدعىٰ لانسجامها مع الجو العام للتظاهرة. وإحاطة المتظاهرين بها أولىٰ من تركها علىٰ الأطراف.

5. **الجدار البشري**: وفي جميع الحالات حين تشارك مجموعات من المتوقع أن تثير شغباً يجب علىٰ الفرق المخصصة لأمن التظاهرة أن تتقدم تلك المجموعات كعازل بشري (بسمك خمسة صفوف علىٰ الأقل بحسب كثافة تلك المجموعات)، للحيلولة دون وقوع اشتباكات. ويراعىٰ في تلك الفرق أن تكون علىٰ وعي كاف، وأن تطور وسائل الحوار مع مثل هذه المجموعات، وتجرب ميدانياً وسائلها، والتدريب الجيد لتلك الفرق يحول دون اشتباكها هي مع المتظاهرين الذين يلجأون ممارسات تتسم بالعنف.

العنف البدني: ويحدث في الغالب حين يكون في مقدمة التظاهرات من يريدون الاشتباك مع قوىٰ الأمن، وللحيلولة دون اندلاع العنف يجب أن تسيطر علىٰ الصفوف الأمامية مجموعات مدربة علىٰ ضبط النفس وعدم الاشتباك، دورها عدم التصدي لقوات الأمن من جهة والتفاوض معهم، والحيلولة دون اشتباك أحد من المتظاهرين معهم من جهة أخرىٰ. كما يمكن استخدام تكتيكات الجلوس في التظاهرات، فالصفوف الأولىٰ (**عشرة صفوف أو أكثر بحسب الحالة**) كلها جالسة أرضاً، وفي حالة وقوف أحد المتظاهرين في هذه المساحة يتم اعتباره في هذه الحالة مخرباً. فليس المخرب أو البلطجي هو من يحمل سلاحاً، بل من يخرب نظام التظاهرة، فحمل صورة مستفزة للمحتجين علىٰ سبيل المثال يعد تخريباً يجب التعامل معه، لأنه قد يشعل المكان برمته دون إلقاء زجاجة مولوتوف واحدة.

العنف التخريبي: كإشعال النيران وإتلاف الممتلكات، وهذا يتم التعامل

الاستباقي معه من خلال التأكد من عدم دخول أي مشارك بمواد حارقة أو أدوات يمكن استخدامها في أعمال تخريب، أو توفير لجان شعبية لحماية المنشآت دون أن تشارك بشكل مباشر في التظاهرات. [1]

ثانياً: عنف تقوم به قوى أخرى منظمة:

هناك حالات أخرىٰ يكون سبب اندلاع العنف فيها ليس حماس مجموعات من المتظاهرين، وإنما عنف ممنهج تقوم به مجموعات منظمة. هذه المجموعات قد تكون مؤمنة فعلاً بالمسار العنيف باعتباره المسار المجدي. وهذه المجموعات تتطلب إدارة حوار جاد معها، ومحاولة إقناعها، وعدم التسرع في رميها بالاتهامات، لأن الهدف ردها إلىٰ مسار اللاعنف، وليس زيادة عنادها.

وقد تكون هناك مجموعات مندسة تهدف إلىٰ إفشال مشروع التغيير، كأن تكون تابعة لجهات خارجية أو لبقايا النظام السابق، أو لأطراف لا تريد استقرار الأوضاع، هؤلاء في النهاية سنطلق عليهم «**مخربون**»، ليس فقط لأنهم يخربون منشآت، بل لأن هدفهم الأساسي تخريب مسار ودفع المجتمع إلىٰ ما لا تحمد عقباه.

في حالة المجموعات التي تؤمن بالعنف كمسار أصيل، ستفقد أي دعم جماهيري فعلي، خاصة إن كان المجتمع يحقق سلمياً أهدافه- ولو ببطء، مدركاً أن ثمة هدف مهم يتحقق بممارساته غير العنيفة، وهو تشكل مجتمع جديد متماسك، يتفاعل مع واقعه بأدوات جديدة، ترسخ في المجتمع وسائل متطورة للحوار السياسي وتصعيد الضغوط، وبتطوير وسائل اللاعنف وزيادة

---

1 كان للجان الشعبية دور بارز في ثورة الخامس والعشرين من يناير في مصر في هذا المجال، حين كانت تمسك بكل من يحمل أي أداة أو مادة يمكن أن تستخدم للضرر بالمنشآت أو المتظاهرين.

فعاليتها سينحسر ذلك المسار.

أما المجموعات التي تحمل أهدافاً لا تمت لمشروع التغيير بصلة (**المخربون**)، ولا تريده أن ينجح؛ **فأهدافها الأساسية**:

* إثارة الاستياء العام.
* إفشال الحكومة القائمة، وتوريطها في ملفات ترهقها (في **حالة دعم الحكومة لمشروع التغيير**).
* توريط المتظاهرين في أعمال عنف.

هنا لا يكون العنف في حد ذاته هو الهدف، أي ليس تدمير المنشأة أو تخريبها باعتبارها هدفاً استراتيجياً. وإنما الهدف هو التأثير علىٰ الجماهير، والنيل من القوىٰ القائمة علىٰ مشروع التغيير.

ومنع هذه الأعمال أو التعامل معها ليس مرتبطاً بقوة قادرة علىٰ تنظيم الشارع، وإنما بالقدرة الفعلية علىٰ تأمين المنشآت والتصدي لمحاولات التخريب. وهذه مهمة رجال الأمن بالدرجة الأولىٰ. ثم كشف هويات مثيري العنف والتخريب وفضحهم أمام الرأي العام، وهذه مهمة قوىٰ التغيير. ويمكن أن تشارك مجموعات مدربة علىٰ ضبط النفس في حماية المنشآت. كما يتم وضع كاميرات تصوير لتوثيق حالة الاعتداء في حالة حدوثها. وبذلك تكون المجموعات الإعلامية متواجدة بدورها في مواقع المنشآت الواجب حمايتها.

إن دور المتظاهرين الأساسي هو التصدي لأهداف مثيري العنف، وليس العنف ذاته، فيسعون لكسب الرأي العام حين يحاول مثيرو العنف إثارة الاستياء، ويدعمون الحكومة إن كان الهدف تعطيلها، يرجع ذلك بالطبع إلىٰ موقف المجتمع عموماً من الحكومة ورضاه عن أدائها.

وفي حالة العنف المنظم من قوى تريد إفشال مشروع التغيير؛ يمكن لقوى التغيير أن تقوم بالتالي:

* الحفاظ علىٰ المسار اللاعنيف منذ بدايات الصراع – كعمل استباقي – حتىٰ تُطبع الحركات التغييرية بذلك الطابع، ومن ثم لا تبذل مجهوداً في الدفاع عن نفسها أوقات الأزمات، ليس أمام المسئولين فحسب، بل أمام الشعب وهو الأهم.
* استمرار التوعية بمسار اللاعنف باعتباره الفكرة الفعالة لبناء مجتمع يتقن الحوار. وتعتبر مشاريع التوعية باللاعنف فرصة للتواصل الشعبي وتأكيد المنهج. وهذا كفيل بإعداد الجموع علىٰ ضبط النفس والإيمان بالمسار، بالإضافة إلىٰ التبرئة مقدماً من أية شبهة ترمي إلىٰ تلوث الحركات بالعنف.
* حصار العنف بعد اندلاعه والمبادرة إلىٰ تقليل تكلفته، فاللاعنف قد لا ينجح في وأد العنف بشكل كامل، إلا أنه قادر علىٰ حصاره.
* الانسحاب مباشرة من الأماكن التي يندلع فيها العنف، مع توثيق ما يجري إعلامياً، ومحاولة الإمساك ببعض من يمارس تلك الأعمال لمعرفة دوافعهم وانتماءاتهم وفضحهم أمام الرأي العام. فكما يتسللون فجأة لتغيير المشهد إلىٰ مشهد عنيف دام، يمكن الانسحاب المفاجيء لتركهم في الساحة وحدهم لا يحتمون بالجماهير.
* تتصدىٰ المجموعات المجهزة كفرق أمنية لحماية المنشآت والتواصل مباشرة مع وسائل الإعلام لإيضاح الصورة، فلا يوجد أي متظاهر في المكان، ولا توجد سوىٰ مجموعة من المخربين. وانسحاب الجماهير مع تطوير هذه الطريقة يقي الإشاعات التي تتردد من المشاركين، حيث

يحكي كل شخص قصة مغايرة عما حدث. كما يقي الجماهير عواقب العنف أو الخوف من المشاركة لاحقًا. (**هذا يتطلب توعية شعبية بكيفية التعامل في التظاهرات**).

* وجود مجموعات محايدة تعرف بمجموعات «**دعم الأداء السلمي**»، دورها هو مراقبة مدىٰ سلمية العمل وأسباب اندلاع العنف، وإصدار تقارير محلية وعالمية بهذا الشأن.[1]

* مساعدة الشرطة في القيام بدورها في حماية المنشآت، خاصة عندما لا تُظهر أية عداوة للمحتجين. فالعلاقة بين الشرطة والمتظاهرين من المهم العمل علىٰ جعلها علاقة تكاملية. ويتوقف ذلك علىٰ مدىٰ ولاء الشرطة للشعب.

* استثمار العنف وتحويله إلىٰ حدث إيجابي من خلال إجراء حوار مع المجتمع عبر أنشطة متنوعة، ومن خلال فعاليات تؤكد التمسك بالأهداف والمسار السلمي وإيضاح ضرورة تصدي الشعب لمرتكبي تلك الأحداث.

* تنوع الوسائل وتطورها، فأي وسيلة جديدة تربك الخصم لفترة، لكنه بعد فترة يتكيف معها ويكتشف ثغراتها ونقاط ضعفها ومن ثم يبدأ في استهدافها وإفشالها. والحشود الكبيرة وسيلة فعالة ومربكة، لكنها بعد فترة يمكن تسلل العنف من خلالها إن لم يكن هناك اهتمام بالتوعية بالمسار.

ويمكن إجمال القواعد الأساسية للتعامل مع العنف في النقاط التالية:

* تأمين النشاط لا يقل أهمية عن النشاط ذاته، كلاهما يجب التخطيط له.

---

1 انظر في الملحق "مشروع دعم الأداء السلمي".

* اللاعنف المطلق أحيانـاً يكـون مستحيلاً، لكنه يتميز أنـه يسعىٰ لحصار العنف لا إثارته.
* كلما زادت الأعداد كان الأدعىٰ إضفاء الطابع المبتهج الذي يقلل التوتر ويحد من التشنج، كما يعكس طبيعة النشاط التي يقوم بها المتظاهرون، وهي أبعد ما تكون عن العمل التخريبي، ويمكن في ذلك ارتداء ملابس مميزة تجذب الانتباه ولها دلالات رمزية، الكتابة علىٰ الأرض، الغناء، الخ، مع مراعاة تصوير ذلك وبثه إعلامياً.
* الاتصال مع أهالي المنطقة قبل موعد التظاهرة، وإعلامهم بالبرنامج والهدف لكسب تأييدهم. كما يمكن التواصل مع قوات الأمن في المنطقة لطمأنتهم وتنسيق حماية المنشآت معهم.
* شكر أهالىٰ المنطقة التي استضافت التظاهرة بعد الانتهاء، وذلك من خلال كل الوسائل المتاحة، من أجل تعميق علاقتهم بمشروع التغيير، ووفاء لاحتضانهم التظاهرة. وقد يكون الأهالي هم عنصر التأمين وهم الشاهد الأساسي علىٰ ما يجري، سواء إن تمت التظاهرة بدون عنف، أو تسلل إليها مخربون.
* الوعي العام بأسلوب اللاعنف صمام أمان للمجتمع، وبذلك يتحول من ثقافة نخبة سياسية إلىٰ ثقافة شعبية.
* في حالة الخشية من اندلاع عنف، يمكن اعتماد الأنشطة التي تتطلب أعداداً قليلة والقادرة علىٰ القيام بتأثير نوعي. (**ليست كل الوسائل الفعالة في حرب اللاعنف تعتمد علىٰ الأعداد الضخمة**).
* تنوع وتطور الوسائل يحول دون اندلاع العنف الذي يكون من أطراف هدفها إفشال مشروع التغيير، لأنها وسائل جديدة عليها لم تدرس ثغراتها بعد.

❋ بعض درجات العنف قد تتطلب تدخل الشرطة، حين يكون الأمر أكبر من طاقة منظمي التظاهرات، وعليهم التنسيق مع الشرطة في حدود التدخل، هذا بالتأكيد في حالة اقتناع منظمو التظاهرات بحاجتهم إلىٰ الشرطة للتصدي لأعمال العنف التخريبية، وأن قدراتهم وحدهم غير كفيلة بإجهاض أي عنف. خاصة فيما يتعلق بحماية المنشآت.

❋ اندلاع العنف فرصة لتطوير المجتمع لاستراتيجيات وأدوات تعامله مع العنف.

❋ ❋ ❋ ❋

استهداف منشآت المقاومة

قد يستهدف المخربون المقرات التي تجتمع فيها المقاومة، بإطلاق النار عليها، أو تهشيمها، أو إشعال النار فيها وسرقة محتوياتها. وتختلف طريقة التعامل مع هذا الموقف بحسب الحالة الشعبية، فبوصلة حرب اللاعنف هي الشعب، وتظل الفكرة هي كيف يمكن تحويل هذه الأعمال التخريبية لصالح المقاومة. ومن الوسائل التي يمكن استخدامها لذلك.

* إخلاء المنشآت بالكامل سواء من الأفراد أو الملفات.
* جمع أهالي المنطقة في محيط المنشأة (**في حالة وجود تعاطف شعبي**).[1]
* وضع ملفات أو صور لها دلالة معينة، أو لوحات مكتوبة علىٰ الجدران لإيصال رسالة محددة.
* تثبيت كاميرات في أماكن مختلفة من المكان، وتسجيل ما يجري ونقله مباشر عبر الإنترنت أو الفضائيات.
* المقاضاة القانونية.
* فضح المتورطين في التحريض علىٰ هذا العمل.

---

1 إن الوعي بضرورة "الحاضنة الشعبية" في غاية الأهمية، فأي منشأة تتبع المقاومة من المهم تعهد سكان المنطقة التي تتواجد فيها بالرعاية والتحرك لمشاكلهم، والانشغال بقضاياهم، والدفاع عن حقوقهم، وبذل الوقت والجهد لهم، أياً كانت توجهاتهم السياسية. فهؤلاء هم خط الدفاع الأول عن حركة المقاومة. وعندما تقصر الحركات في ذلك تكون هذه المنشآت أقرب لبؤر يتحفز الشعب ضدها، فهو يراها أجساماً غريبة. لذلك لا مجال للتهاون في ذلك، فالحاضنة الشعبية هي أهم حجر أساس في المنشأة. فيصعب التواجد في وسط شعبي رافض أو غير داعم للمقاومة، سواء كانت عنيفة أو غير عنيفة. وهو ما عبر عنه تشي جيفارا بوضوح: "يجب كسب ثقة سكان المنطقة كلياً وقبل كل شيء، ويتم الفوز بها باتخاذ موقف إيجابي من مشاكلهم، بمساعدتهم وتوجيههم باستمرار، والدفاع عن مصالحهم..." مباديء حرب الغوار، ص 71.

* إعلان الأحزاب والمجموعات الداعمة للمقاومة أن جميع مقراتها مفتوحة للمقاومة.
* القيام برد يكون فيه نوع من الإزعاج، مثل الاعتصام في مكان لا يحبذه النظام.
* عمل مؤتمر صحفي محلي وعالمي يعرض ما جرىٰ.
* عمل المقر بشكل مؤقت في مكان يضع النظام في موقف محرج، فإن كان المتضررون مسلمين كانت الاجتماعات في مكان يخصص في الكنيسة، وإن كان المتضررون مسيحيين يعقد الاجتماع في مكان يخصص في مسجد.[1]
* تصعيد الضغوط بكل الوسائل اللاعنيفة بحيث يضطر النظام إلىٰ التحقيق السريع وعدم تكرار ما حدث.
* عمل اجتماعات رمزية في الشارع تحت إطار حملة «**حرقوا المكان**»، واستثمارها في الحوار مع الناس، وتصحيح الصورة الذهنية لديهم في حالة أنها صورة مشوهة.

إن الفكرة الأساسية هنا أن يتحول هذا الحدث إلىٰ نشاط في صالح المقاومة، ربما يكلفها خسائر مالية، لكن سيقل احتمال تكراره إن لم يحصل مرتكبي العنف علىٰ بغيتهم. كما أنه يحول المعركة من دفاعية إلىٰ هجومية، ويعطي مبرراً كافياً للمقاومة لتصعيد الكفاح.

قد يفكر البعض من منطلق أن القانون يحمي حق الإنسان في حماية ماله

---

1 في المجتمعات التي تؤمن بالمواطنة الكاملة علىٰ مستوىٰ الوعي الشعبي والنخبوي؛ ربما لا يكون للمسجد والكنيسة دلالة كبيرة اللهم إلا أن يكون التخريب جاء في سياق أحداث طائفية. والإيجابي هنا أن حرب اللاعنف تستثمر كل مناسبة لتحقيق أهدافها التي يأتي في مقدمتها بناء مجتمع قوي متماسك، فهنا تم استثمار حادثة التخريب لتأكيد تماسك المجتمع، وصناعة صورة تخلدها الذاكرة.

وعقاره، وهذا صحيح في حالة أن منطق القانون هو السائد، وتوفر تعاطف شعبي مع المقاومة. وفي هذه الحالة يمكن الاستعانة بشركات الحماية الخاصة التي تؤمن المنشآت. بحيث تتسع دائرة المشكلة في حالة تعرض أحد موظفيها للقتل.

وأحياناً لا تقاس المسائل بالحق الذي يعطيه القانون، ولكن بالخيار الذي يحقق أفضل المكاسب. وسنجد في أغلب حديثنا في حرب اللاعنف الحديث عن «**التعاطف الشعبي**»، فمن يخسر التعاطف الشعبي، لن تغني عنه ألف منشأة شيئاً. فالمنشأة الحقيقية التي لا يمكن التفريط فيها هي «**الحاضنة الشعبية**» من البشر، ولو كان علىٰ حساب ألف منشأة من الحجر.[1]

كانت هذه بعض الأفكار الأولية حول التعامل مع العنف حين يتسلل إلىٰ مشروع التغيير، سواء بفعل قوىٰ التغيير أو قوىٰ خارجها، يمكن تطويرها بعمل ورش عمل وتأسيس مؤسسات مجتمع مدني للقيام ببعض المهام الجزئية التي تتطلب تخصصاً واحترافاً، كالأعمال الإعلامية والتأمينية.

إن مجتمعاً يعتمد التظاهرات كوسيلة أساسية للضغط السياسي يجب أن تتطور فيه تلك الوسيلة، حتىٰ تصبح وسيلة احترافية لا وسيلة هواة، والحاجة إلىٰ التجديد يدق ناقوسه العنف المنظم. بغض النظر عمن وراءه، فالخصوم السياسيون لن ينتهوا، وتسلل العنف إلىٰ مشهد التغيير يدق أجراس وجوب الانتقال إلىٰ العمل المدروس المتطور.

---

1 تلتهم الثورات العنيفة المنشآت ولا تسعفها الحراسات في شيء، وتلتهم كذلك المشاهد العنيفة الطارئة علىٰ بعض الثورات السلمية المنشآت التي كان المواطنون يتجرعون السوء فيها. لم يتمكن المدفع من حماية منشأة سلط الشعب غضبه عليها، وينطبق الأمر نفسه علىٰ المقاومة. فلا جدوىٰ من التفكير في حماية منشأة إن كانت المقاومة ملفوظة شعبياً، ولا توجد حاضنة شعبية تعبأ بهذه المنشأة. أما إن كان الشعب يعبأ فربما يحميها من جهة، أو تكون له ردود أفعال قوية.

والرسالة المهمة التي ينبغي الانتباه إليها عندما يتسلل العنف إلىٰ مسار التغيير –دون مبررات يمكن تفهمها كالقمع المفرط- أن المجتمع كله مسؤول عن تطوير استراتيجيات وآليات لحماية مساره السلمي، وهو ليس مساراً مرتبطاً بحدث ثوري بقدر ما هو مرتبط بتأسيس ثقافة جديدة في المجتمع، هي التي ستحدد كيفية إدارة الحوار السياسي فيما بين مكونات هذا المجتمع.

إن اندلاع العنف يمكن رؤيته كفرصة لوضع لبنة جديدة في المجتمع القوي، فهو لا يعكس تحدي اليوم، بل تحدي المستقبل، كيف سيتمكن المجتمع من بناء قدراته علىٰ إدارة صراع السياسي بشكل حضاري مقدماً النموذج للعالم؟ ولأن الحاجة أم الاختراع فإن أحداث اندلاع العنف تبشر باختراع قادم، حين تتخصص مجموعات أكاديمياً وميدانياً في مجال (**أمن المجتمع القوي**)، حيث تطور استراتيجيات ووسائل خاصة بالتأمين الشعبي لأي نشاط، كما سيكون لها دور بارز في كل الأنشطة في المجتمع التي يُتوقع فيها احتكاكات بين الشعب، ولا يراد إقحام جهاز الشرطة فيها، أو لا يريد هو ذلك.

* * * *

الخلاصات

* يمكن تصنيف العنف الذي يتسلل إلىٰ الأنشطة التي تدعو إليها قوىٰ التغيير إلىٰ: عنف المتظاهرين نتيجة الحماس، وعنف قوىٰ أخرىٰ منظمة.
* قد يأخذ عنف المتظاهرين الطابع اللفظي أو البدني أو التخريبي.
* يواجه العنف اللفظي بإدارة الحوار، والتجاهل مع الحذر، والتشويش، والاستيعاب، والجدار البشري.
* يواجع العنف البدني بتكتيكات تعزل المخربين عن مقدمة التظاهرة وتجعل المقدمة مخصصة لمجموعات معينة معروفة.
* يواجه عنف التخريب بلجان شعبية تحاصر العنف وتمنع تفاقمه.
* في حالة المجموعات التي تؤمن بالعنف كمسار أصيل، ستفقد أي دعم جماهيري فعلي، خاصة إن كان المجتمع يحقق سلمياً أهدافه- ولو ببطء. وهذه المجموعات تتطلب إدارة حوار جاد معها، ومحاولة إقناعها، وعدم التسرع في رميها بالاتهامات، لأن الهدف ردها إلىٰ مسار اللاعنف، وليس زيادة عنادها.
* قد يهدف عنف المجموعات المخربة المندسة إلىٰ إثارة الاستياء العام، أو إفشال الحكومة القائمة، وتوريطها في ملفات ترهقها، أو توريط المتظاهرين في أعمال عنف.

* * * *



الفَصْلُ الرَّابِعُ

التعامل مع الاعتقال



كما تحدثنا سابقـًا في القواعد الاستراتيجية، فإن القمع جزء من النشاط، والاعتقال كذلك يمكن استثماره في رفع تكلفة القمع.

كيف ترفع تكلفة الاعتقال؟

قبل الاعتقال

يبدأ رفع تكلفة الاعتقال قبل أن يتم، من خلال التخطيط الجيد للنشاط الذي يُتوقع أن يعقبه اعتقال، ومراعاة الخطاب والوسائل التي لا توجب اعتذاراً من المقاومين لاحقـًا، بحيث لا يتحول الاعتقال بعد النشاط في أعين الناس إلىٰ عقوبة مستحقة، ولكن بطولة وبزوغ رموز جديدة.

أثناء الاعتقال

أما أثناء الاعتقال فيراعي الطريقة التي سيتعامل بها مع إجراء الاعتقال نفسه، (**كما بينا سابقـًا في فصل التعامل مع القمع المحدود**)، والمظهر الذي يود أن يظهر به. كما يهتم بالتأكد من أن هواتفه وجيوبه ليس بها أشياء تدينه.

بعد الاعتقال

1- **تحييد رجال الشرطة عبر مسارين:**

الأول: استثمار الاعتقال والتحقيق في بناء حوار مع رجال الشرطة، ورغم صعوبة هذا الأمر إلا أنه مهم جداً، وليس بالضرورة أن يكون هذا الحوار عن طريق الكلام والإقناع – إذ قد يتعذر بناء حوار منطقي مع رجال الشرطة خلال التحقيق – ولكن يمكن الاستعاضة عن ذلك بأن يعطىٰ جميع المشاركين في المظاهرة مثلاً بعض الأوراق القليلة التي تحوي أرقامـًا ومعلومات موثقة حول موضوع المظاهرة (**الفقر – البطالة – الفساد** – ...)، وما علىٰ المحتجز سوىٰ إعطاء هذه الأوراق للمحققين كمبرر علىٰ مشاركته في المظاهرة.

ومع تكرار المحاولة يبدأ الحوار النفسي داخل ضمير رجل الشرطة (**علىٰ**

الأقل في المستويات الدنيا – موظف النظام/ عبد المأمور) حول شرعية النظام، وشرعية قمع الشعب من أجله.

والثاني: عبر الملاحقة القانونية للمسؤولين عن حالات الاعتقالات والتعذيب والقتل عبر اللجوء إلىٰ القضاء، والملاحقة الإعلامية عبرنشر صورهم وأسمائهم لتصبح وصمة عار وفضيحة لهم أمام أهليهم وأقربائهم وجيرانهم، والملاحقة المهنية عبر المطالبة بعزلهم عن مواقعهم ومناصبهم.

2. **الاستثمار الإعلامي** لكل حالة اعتقال وعرض الجوانب الإنسانية، وتحويل المعتقل إلىٰ رمز، وذلك عبر توثيق حالات الاعتقال والقمع والضرب وبثها عبر الفضائيات ووسائل الاتصال المختلفة **(الإنترنت والهاتف الخلوي)**، ومناقشتها علىٰ صفحات الجرائد والمجلات وعبر الفضائيات، وتحويلها إلىٰ قضية محلية ودولية، ورفض ممارسة العملية السياسية **(انتخابات – مفاوضات –...)**، وحشد الأعداد الغفيرة بسرعة وكفاءة عالية أمام الأماكن التي يُحتجز وينقل إليها النشطاء، والتهديد بالتصعيد حتىٰ يتم الإفراج عن المعتقل.

3. **حشد مصادر القوة الداخلية:** عبر الاتصال باللجان الحقوقية والديمقراطية ولجان الحريات والنقابات ومؤسسات المجتمع المدني المختلفة، ومحاولة جعلها أداة ضغط علىٰ النظام.

4. **حشد مصادر القوة الخارجية:** عبر الاتصال بالهيئات الدولية والحقوقية العالمية لممارسة الضغط علىٰ النظام للإفراج عن المعتقلين وللتوقف عن منع الجماهير من الإعلان عن مطالبها سلمياً.

5. **تضامن نشطاء الحركة التغييرية:** والتضامن في حقيقته حالة عقلية وروحية توحد بين الأفراد في كفاحهم الطويل أكثر منه نشاط يكلف الأفراد

بتطبيقه. هو قوة داخلية موجودة لدىٰ كل فرد ومختزنة داخل كل مجموعة، إنه التزام نابع من كل فرد تجاه الآخرين وتجاه القضية المشتركة، إنه تقديم الصالح العام علىٰ المصالح الشخصية. وتكريس كل فرد لوقته وجهده لدعم الوطن وللمضي في العمل علىٰ رفعته في كل الأوقات، وفي جميع المواقف. ولا تستطيع سلطة أيًا كانت أن تكسر هذا التضامن.

أنواع التضامن

التضامن المعنوي: تجمع النشطاء حول مقار الشرطة ومراكز الاعتقال، وتجمع النساء حول أماكن احتجاز أبنائهن وأزواجهن وآبائهن، ووضع الزهور علىٰ أسوار وأبواب السجون، رفض المعتقلين لقرارات الإفراج في حال استمرار اعتقال بعض زملائهم.

التضامن المالي: مساعدة عائلات المحتجزين، وتوفير الكفالات المالية لخروج المسجونين.

6. **تقويض شرعية القمع:** عبر استخدام استراتيجية عدم التعاون.

لقد اكتسبت الاعتقالات والمداهمات والتعذيب شرعية - لا مكتوبة – لكثرة وطول استخدامها. وبالتالي فغالبًا ما يدرب النشطاء علىٰ كيفية التعامل مع القمع لا علىٰ كيفية تقويضه ورفضه عبر استخدام استراتيجية عدم التعاون وأساليب اللاعنف.

فبعض النشطاء يرفضون التعاون – جزئيًا أو كليًا –مع إجراءات التحقيق والمحاكمة، فيرفضون تقديم الالتماسات أو توكيل أو القبول بالمحامين، أو الوقوف في المحكمة أو التحدث إلىٰ القاضي كونه يمثل رمز سلطة المحكمة، أو اتخاذ موقف أو سؤال الشاهد، ولكنه قد يلقىٰ خطبة علىٰ الجموع الذين تجمعوا في مقر المحاكمة، أو ينام أو يجلس علىٰ الأرض إذا أُريد حمله، أو

يحاول المغادرة إذا لم يُمنع بالقوة. ويمكن رفض دفع الكفالات للخروج، هنا تتحول المحاكمات إلىٰ ساحة مستمرة للكفاح، يتم من خلالها إعلان المطالب وإظهار إجرام النظام.

وقد تكون العقوبات المترتبة علىٰ عدم التعاون صارمة، لأن بعض المحققين أو القضاة يأخذون هذه التصرفات علىٰ محمل الإهانة الشخصية، أو إهانة هيبة التحقيق، ولكن من ناحية أخرىٰ يغض بعض المحققين أو القضاة الطرف عن هذه السلوكيات بل وربما يحاولون الاتصال بالنشطاء.

كما يمكن تطبيق عدم التعاون الجسدي خلال عمليات ووقت الاحتجاز، وهذا يتضمن رفض المشي والأكل والنظافة الشخصية أو نظافة المكان المحيط، وهذا قد يؤدي إلىٰ محاولة مسؤولي السجن إجبار السجين علىٰ الأكل ووضع حفاظات له.

ويعد الصيام من أحد أشكال اللاتعاون، ويقصد به الامتناع عن الطعام والسوائل ما عدا الماء. وبينما يمثل الامتناع عن الغذاء إزعاجاً لسلطات السجن كونه يمثل خطورة علىٰ حياة السجين؛ فإن الامتناع عن الغذاء والسوائل كلية وحتىٰ الماء أشد خطورة، حيث أن السجين لن يعيش لفترة طويلة. ولذلك تراقب السلطات الأشخاص الذين يهددون ويلوحون باستخدام «**صيام الماء**» فيدخلونهم المستشفيات حرصاً علىٰ حياتهم. ولكن يجب علىٰ المتظاهر ألا يعتمد علىٰ هذه الوسيلة لجذب الانتباه، بل أن يكون قادراً علىٰ وقف الصيام أو أن يكون عازماً علىٰ الاستمرار حتىٰ الموت، كما فعل مقاتلو الحرية في أيرلندا في عام 1981م.

وعدم التعاون قد يأخذ أشكالاً أخرىٰ، فرفض الفرد إعطاء اسمه لا شك أنه ينبع من رغبته وتصميمه علىٰ المقاومة والتغلب علىٰ النظام الذي يلفق محاضر

إجرامية للناس، ويصنفهم ويتجسس عليهم، ويعاقب المنظمين والمخالفين للقانون بعنف وصرامة أشد. وهذا ينقل رسالة للنظام مفادها أنه لا أحد منا سيتعاون مع النظام وأن هذا الأمر سيتكرر المرة بعد المرة.

ويختلف تقدير الشكل الأنسب لعدم التعاون بحسب استراتيجية الحركة والموقف وطبيعة الرسائل المراد إيصالها من خلال المحاكمات، فكثير من نشطاء الحركة التغييرية اللاعنيفة يعملون بانفتاح وثقة، ويطبقون ما يطلق عليه "التعاون المقيد"، فيختارون ما سيتم التعاون فيه مع المحققين، لتصل من خلال هذا التعاون رسائل معينة. كأن يحرصون علىٰ التجاوب مع التحقيق في بعض الأسئلة التي من شأنها أن تبين فكرهم وأهدافهم ووسائلهم.

كيف ينجح اللاتعاون؟

1- **استراتيجية حركة لا استراتيجة فرد:** فحتىٰ يتحول عدم التعاون إلىٰ ظاهرة عامة تحدث تأثيراً حقيقياً، فإنه ينبغي أن يتخذ القرار بشأن استراتيجية التعاون الكامل أو المقيد أو عدم التعاون بشكل جماعي لا فردي، بمعنىٰ أن يكون استراتيجية حركة لا استراتيجة فرد، حيث أن اتخاذ قرار اللاتعاون مثلاً بشكل فردي قد يضر بصاحبه أشد الضرر رغم عدم احتياج الحركة إليه في المرحلة الراهنة كما أنه لن يحدث التأثير المطلوب، كما أن اتخاذ قرار اللاتعاون بشكل جماعي يمثل إزعاجاً ومشكلة للنظام، ويعطي مصداقية وشرعية لممارسيه.

2- **الحفاظ علىٰ ثوابت الحوار في اللاعنف:** ففي حالة اختيار استراتيجية التعاون لابد أن تكون المعلومات الأساسية التي تعطىٰ للمحققين صحيحة،(لا مانع من إخفاء بعض الأمور، لكن الكذب المرفوض هو الذي يفتح باب الشك لدىٰ المحقق)، فاستراتيجية اللاعنف تستمد قوتها

من قوة الحقيقية والمواجهة والمجابهة المفتوحة واللاتعاون، وليس من خلال المراوغة أو التهرب والتحايل، فلابد من الحفاظ علىٰ ثوابت أسلوب اللاعنف المتمثلة في الأمانة والصراحة المباشرة في طرح القضية خلال تعامل نشطاء الحركة مع الموظفين المسؤولين عن تطبيق القانون.

وتكمن المشكلة هنا في أنه في أغلب الأحيان يكون الكذب أسهل من إعلان رفض التعاون، فعلىٰ سبيل المثال إذا ما سئل المعتقل عن شخص ما فإن الأسهل أن ينفي معرفته به من أن يواجه المحققين بأنه يرفض الإجابة والتعاون.

كذلك يكون الحوار من خلال الأنشطة التي يقوم بها المعتقلون، مثل الكتابة علىٰ الجدران، والأرض، والهتافات.. الخ.

3- **تأمين قنوات الاتصال**: لابد من العمل علىٰ إيجاد قنوات اتصال بين المعتقلين وبين نشطاء الحركة التغييرية في الخارج قبل البدء في الأنشطة، وهذا الاتصال قد يكون من خلال المحامين أو رجال الشرطة المتعاطفين أو المعتقلين الجدد أو المفرج عنهم، وهذ التفكير في كيفية الاتصال في حالة حدوث الاعتقالات ينبغي أن يشمل أيضًا مجموعات العمل الصغيرة، فعلىٰ كل مجموعة أن تفكر في تأمين قنوات اتصالها.

4- **المتابعة والتوثيق وتوفير الاستشارات**: في الأنشطة الكبيرة لابد أن توفر الحركة التغييرية الاستشارة القانونية في موقع الحدث (مكان تنفيذ النشاط)، أو عبر صفحات الإنترنت، لإعلام النشطاء بما عليهم فعله خلال اعتقالهم. كما يجب أن تكون هناك مجموعة مختصة بمراقبة ساحة الفعل، فتوثق أسماء وصور المعتقلين والقائمين علىٰ عملية الاعتقال، وتوثق أي ارتفاع لمستوىٰ العنف أو القمع.

وقد لا يحتاج النشطاء إلىٰ محامين إذا اختاروا استراتيجية عدم التعاون، ولكن إمدادهم بالاستشارة القانونية أو وجود محام متعاطف معهم أو مؤيد لموقفهم قد يساعدهم في التعامل بحنكة أكثر مع النظام القانوني القائم.

5- **بناء قدرة الحركات التغييرية علىٰ مواجهة القمع**: من خلال التدريب، حيث تتدرب مجموعات علىٰ مناقشة هذه المسائل القانونية، وبخاصةً الجزئية المتعلقة بعدم التعاون والموقف من المحاكمات. وعلىٰ قائد المجموعة أن يضع مجموعة من المواقف الافتراضية وأن يرىٰ كيف سيتجاوب أفراد المجموعة مع مثل هذه المواقف. وتجدر هنا الإشارة إلىٰ أن حركات اللاعنف تصدر لنشطائها دليلاً إرشادياً عملياً (**Manual**)، ليتدارسوه وليتدربوا عليه.

6- **الاهتمام بالقيادة والأطراف**: لابد أن ترسم الحركات التغييرية خطة للرد علىٰ النظام منطلقةً من كون كل أفراد المقاومة – سواءً كانوا في القيادة أو في الأطراف – علىٰ نفس الدرجة من الأهمية الاستراتيجية، فحين تتخذ الحركة رد فعل فقط عند استهداف أفراد من القيادة يقوم النظام باستهداف الأطراف، فإذا لم تستجب الحركة تتمادىٰ الحكومة في اضطهاد الأطراف، وشيئًا فشيئًا تنصرف الأطراف عن الحركة فتجد القيادة نفسها وحيدة في مواجهة النظام، الذي سرعان ماينفرد بها ويفنيها بعد أن فرطت في مصدر قوتها.

7- **تقويض شرعية النظام**: من خلال سعي الأطراف المقاوِمة إلىٰ تفنيد الغطاءين الأخلاقي والقانوني اللذين استخدمهما النظام أمام المجتمع الدولي والمحلي والنيل من هيبته وتبيان عدم شرعيته.

8- **وضوح الرؤية لدىٰ المجموعات المختلفة**: من خلال إمداد النشطاء باستراتيجية توضح الخطوط والمبادئ الكبرىٰ (**تتناول أسس ومبادئ أسلوب اللاعنف وتوفر رؤية شاملة لخارطة الصراع وتحدد الاتجاهات الداعمة لنشاطات المقاومة**)، وتزويدهم بالأجوبة الضرورية حول الأسئلة المطروحة علىٰ الساحة، مثل رؤية الحركة، وكيفية بلوغ أهدافها، وموقفها من الأطراف المختلفة، والمراحل التي سيمر بها التغيير، والمرحلة التي تعمل فيها الحركة في الفترة الراهنة، والموقف من أهم القضايا المطروحة، وتفنيد شبهات الخصوم بشكل علمي منطقي.

كما تتوفر رؤية حول طبيعة القمع والاعتقال ولماذا تم اختيار التعامل معه بهذه الطريقة دون غيرها، وكيف أنها ستساهم في تحقيق الرؤية الكلية للمقاومة.

وتوفير مثل هذه الأجوبة يكسب النشطاء قوة إقناعية ووعياً بما يدعون إليه، ويظهرهم كوحدة واحدة، ويمكن أن توفر هذه الأجوبة المتجددة عبر الإنترنت، بحيث تكون متاحة للجميع.

معضلة المعتقلين في الاعتراف

تتناسب طرق التعامل السابقة مع الاعتقال والاستجواب أكثر مع حالات الأنظمة التي لا يتم فيها تعذيب للمعتقلين، فيمكن للحركة أن تضع استراتيجية معينة للتعامل مع حالات الاستجوابات، وتحديد ما يقال وما لا يقال. فماذا عن حالات الأنظمة القمعية التي تستخدم التعذيب لانتزاع الاعترافات؟!

في هذه الحالة تظهر «**معضلة المعتقلين**»،[1] فإن اعتقل شخصان علىٰ سبيل المثال، وأخبر المحققون كل شخص علىٰ حدة، أنه لو اعترف وذكر أسماء

---

1 سيردجا بوبابيتش، أندريج مولافيجتش، سولوبودان دينوجونفيتش، الكفاح السلمي.. 50 نقطة حاسمة، مركز تطبيق الاستراتيجيات وعمل اللاعنف، بلجراد، صربيا، 2006. ص136- 137.

زملائه سيخرج بعد أسبوع، أما إن لم يعترف فسينال عقوبة الحبس ثلاثة أشهر بتهمة «**الدعوة للفوضىٰ**». يعرض المحقق علىٰ الطرفان نفس الصفقة ليصنع المعضلة، إما أن يعترفا، أو يرفضا الاعتراف، أو يعترف أحدهما ويرفض الآخر.

النتيجة المحتملة هي:

❋ إذا اعترف الاثنان سيمكثان أسبوعًا.

❋ إذا رفض الاثنان سيمكثان ثلاثة أشهر.

❋ إذا اعترف أحدهما ولم يعترف الآخر، سيمكث أحدهما في السجن أسبوعًا، والآخر ثلاثة أشهر.

الاستراتيجية الآمنة للجميع هي الاعتراف، فإن اعترف أحدهما ولم يعترف الآخر، سيظهر الآخر كاذبًا ويناله من التعذيب ما يناله. وسيصاب كل سجين بقلق نفسي لأنه لا يعرف ما الذي اعترف به زميله، وما الذي أخفاه أو أنكره. كذلك فانتزاع الاعترافات ليس عملية صعبة، ويضع كل أعضاء الحركة في اختبار صلابة لا يطيقه كل إنسان.

حسنًا.. ماذا إذا اعتقلت بمفردك؟

حينها قد يخبرك المحققون كذبًا أن زملاءك اعتقلوا، وبالتالي توضع في نفس الحرج، في النهاية فإن أفضل خيار هو الاعتراف. فكلما بدا أنك تخفي أسراراً كان ذلك أدعىٰ للتنكيل بك.

❋ ❋ ❋ ❋

الخلاصات

* يتم التعامل مع الاعتقال قبله وأثناءه وبعده.

* يبدأ رفع تكلفة الاعتقال قبل أن يتم، من خلال التخطيط الجيد للنشاط الذي يُتوقع أن يعقبه اعتقال، ومراعاة الخطاب والوسائل التي لا توجب اعتذاراً من المقاومين لاحقًا، بحيث لا يتحول الاعتقال بعد النشاط في أعين الناس إلىٰ عقوبة مستحقة، ولكن بطولة وبزوغ رموز جديدة.

* أثناء الاعتقال يراعىٰ الانتباه للطريقة التي سيتعامل بها المقاوم مع إجراء الاعتقال نفسه، والمظهر الذي يود أن يظهر به. كما يهتم بالتأكد من أن هواتفه وجيوبه ليس بها أشياء تدينه.

* بعد الاعتقال يتم استثمار القمع من خلال محاولة تحييد رجال الشرطة، الاستثمار الإعلامي للاعتقال، وحشد مصادر القوة الداخلية والخارجية، والتضامن المادي والمعنوي مع المعتقلين وأسرهم، وتقويض القمع من خلال اللاتعاون.

* ينجح اللاتعاون عندما يكون استراتيجية حركة وليس فقط أفراد، مع الحفاظ علىٰ إجراء حوار عبر الأنشطة، وإيجاد قنوات اتصال بين المعتقلين والحركة، والمتابعة والتوثيق، وتوفير الاستشارات، والاهتمام بالتدريب علىٰ التصرف في حالات الاعتقال والاستجواب والمحاكمة، وتبني استراتيجية تحافظ علىٰ القيادة والأفراد علىٰ السواء، ونزع شرعية لنظام، وإيجاد رؤية تشترك عليها المقاومة.

* في الأنظمة القمعية التي تعتمد انتزاع الاعترافات بالتعذيب تظهر «**معضلة المعتقلين**». يعرض المحقق علىٰ الطرفان (**أو أكثر**) نفس الصفقة ليصنع

المعضلة، إما أن يعترفا، أو يرفضا الاعتراف، أو يعترف أحدهما ويرفض الآخر. وفي جميع الحالات لا يعرف كل معتقل ما الخيار الذي اختاره صاحبه تحت التهديد بالتعذيب.

❊ أفضل خيار هو الاعتراف. فكلما بدا أنك تخفي أسراراً كان ذلك أدعىٰ للتنكيل بك.

❊ ❊ ❊ ❊



الفصل الخامس

الشهـــادة

تقدم حرب اللاعنف الشهداء وهي تُشق طريقها نحو الحرية وكرامة الإنسان، خاصة حين تواجه ديكتاتوريات قمعية تسفك الدماء، فترتوي الأرض بدماء زكية، ما خرجت بصدورها العارية إلا من أجل حرية الإنسان والأوطان.

والفرق بين الحرب العسكرية وحرب اللاعنف، أن الثانية لا يخرج فيها المقاوم بنية إزهاق روح من أمامه ليمر علىٰ جثته إلىٰ حلمه، فهو لديه استعداد أن يضحي ويُقتل من أجل قضيته، لكنه ليس مستعداً لأن يقتل أخاه حتىٰ وإن قمعه أو نكَّل به.

إن شهداء حرب اللاعنف يجمعون بين النبل والشجاعة، فهم لا يغدرون أو يقتلون، وهم كذلك يتصدون للطغيان بصدور عارية، لا يفكرون في كيفية الانتصار من الظالم فحسب، فعيونهم موجهة إلىٰ أبناء وطنهم، لا يريدون أن يحمل بعضهم السلاح في وجه بعض، لذلك فهم يقاومون علىٰ جبهتين، جبهة الظلم وجبهة العنف، كلاهما ينبغي التعامل معه في آن واحد.

وعندما يبذل فريق من الشعب روحه، فيستشهد العشرات أو المئات أو الآلاف، فإنهم يعلمون أنهم بذلك حقنوا الدماء أضعافًا مضاعفة، وجنبوا مستقبل بلادهم ويلات الحروب البينية التي تترك جراحًا نفسية لا تندمل بسهولة. اختاروا أن تسيل دماؤهم أنهاراً، ولا تسيل أنهار الكراهية والحقد وطلب الثأر في المجتمع. فأنهار الدماء ستسجلها ذاكرة الكرامة والصمود في المجتمع، أما أنهار العنف والكراهية فستسجلها ذاكرة الخوف والقلق والتربص في المجتمع.

والشهداء هم زينة رحلة التغيير، هم نجومها الهادية، لأنهم من أثبتوا أن الأفكار العادلة تتطلب أن تفتديها الأرواح، وأن الخصوم أبناء الوطن يمكن لمشاهد الدماء الزكية أن تنير عقول الكثير منهم. فليس كل صاحب موقف

مخالف متكبر، البعض ينقصه فقط أن يبصر زاوية أخرىٰ للمشهد. والشهداء كذلك يحيون بدمائهم روح التغيير والنضال في النفوس، فدماؤهم توقظ النائمين وتحرك آلاف المترددين.

أفكارعملية

والشهيد ليس كالمقاوم العادي، ينتهي دوره بنهاية مشاركته، فكم من شهيد أحيا أمة، فكيف يمكن استثمار معنىٰ الشهادة وقصصها؟! وكيف يمكن أن يكون الشهيد نهر لا ينضب في معركة التغيير؟! بحيث تكون تكلفة استهدافه من الخصم عالية جداً، حتىٰ أنه يقول.. ليتني ما فعلت!!

إن الشهيد لديه قدرة مذهلة علىٰ تكدير صفو الظالمين وإيقاظ المجتمع، شريطة أن يترك خلفه أناساً عباقرة، لديهم قدرة علىٰ استثمار قصته في أنشطة متعددة.. نذكر بعضها علىٰ سبيل المثال.

على مستوى الملاحقات القضائية والضغط على المجرمين

1 – رفع دعاوىٰ قضائية للمطالبة بالقصاص.

2 – لجنة مستقلة للتحقيق.

3 – أنشطة متنوعة أمام منازل وأماكن عمل المتسببين في القتل.

4 – نشر صور وبيانات القاتل **(إن وجدت)**.

5 – حملات ضغط علىٰ المتسببين في القتل.

على مستوى العمل المجتمعي

6 – عمل جنازة مهيبة.

7 – عمل عزاء.

8 – تغيير اسم الشارع باسم الشهيد.

9 – مداخلات علىٰ القنوات الفضائية للتعريف بقصته.

10- عمل فيلم وثائقي عن قصة الشهيد وعرض القصة الإنسانية.

11- إصدار كتيب يحكي قصته.

12- معارض صور توثق بطولته.

13- عروض مسرحية تحكي القصة.

14- عمل صفحة أو موقع علىٰ الإنترنت تنشر ثقافة العمل السلمي. (**لماذا واجه بدون سلاح؟**).

15- عمل مركز تدريبي في منطقته باسمه لتدريس ثقافة اللاعنف.

16- عمل أنشطة رمزية بالأماكن التي كان يتواجد فيها (**العمل – المدرسة – الجامعة – النادي**). ومخاطبة الزملاء ورواد هذه الأماكن.

17- رفع صور الشهيد في الشوارع والمحلات في منطقته.

18- عمل نصب تذكاري عليه أسماء الشهداء.

19- عمل وقفات في الذكرىٰ السنوية لاستشهاده وإحيائها بأنشطة متنوعة، بحيث يكون في كل منطقة مناسبة سنوية لتجديد وإحياء روح المقاومة وفكرها، بشكل يشعرها بالخصوصية.

20- استثمار المناسبات الاجتماعية والأعياد في التذكير بالشهيد.

21- إطلاق المسيرات من أمام بيته بشكل دوري أو التحرك إلىٰ مقر بيته.

22- عمل مجموعة عمل أو حركة، باسم الشهيد لها أنشطة مميزة.

23- عمل أنشطة خيرية باسم الشهيد، لتعريف الناس به وبقصته.

على مستوى عائلة الشهيد

24- عمل رابطة تجمع أسر الشهداء وتتفقد أحوالهم.

25- التواصل الهاتفي في المناسبات مع أسر الشهداء.

على المستوى الشعبي الدولي

26- التعريف بالقضية علىٰ المستوىٰ الدولي عبر الصحافة.

27- وقفات أمام السفارات والبرلمانات.

وبذلك يمكن استثمار «**الشهادة**»[1] ليتحول كل شهيد إلىٰ مشروع فاعل، فروحه خرجت من جسده لتعود من جديد إلىٰ المجتمع، لتحيي مئات، أو ربما آلاف الأعمال. وهو استثمار بما تحويه الكلمة من معنىٰ، فقد أراد الشهيد أن يمد مشروع التغيير بدفعة حياة جديدة، والمقاومون سيضاعفون هذه الدفعة. إنه خيار المقاومين، إما أن يكون شهداؤهم مجرد أرقام، أو تصبح لكل روح معنىٰ يحيي المجتمع ويؤرق الظالمين.

شهداء القوات المضادة

ولأن حرب اللاعنف ليست حرب كراهية، ولأن المقاومين يؤمنون بحرمة الدماء، كل الدماء، مستلهمين قول الله عزل وجل، ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة:28]؛ فإنهم يهتمون بشهداء القوات المقابلة علىٰ الناحية الأخرىٰ، رغم أنهم كانوا يهمون بقتلهم أو ربما فعلوا. لأن المقاوم اللاعنيف يحمل رسالة، ويعلم أن هذا المسار في حد ذاته يرسخ في المجتمع معان سامية. هو ليس سبيل وصول إلىٰ السلطة، بل سبيل تحرير للمجتمع، وتخليصه من أمراضه، وانتصار للقيم. والمقاوم يوقن أنه لم يقتل، وأن هذا ليس منهجه، ومن ثم فهناك جهة صوبت

---

1 يختلف مفهوم "استثمار الشهادة" عن "المتجارة بالدم" التي تحمل معنىٰ الانتهازية والتدليس، فالشهيد مقاوم نذر نفسه لملحمة التغيير، وأراد أن يكون لدمائه دور في بعث الروح في المجتمع. فالشهيد أراد استثمار حالة نضالية بالأساس، وشارك فيها ليدعمها ويغذيها. وقد يكون البديل عن الاستثمار هو "الهدر"، أن تضيع الدماء هدراً ولا تحقق فائدة تذكر. فتصبح رخيصة بلا مقابل. إن مفهوم "الاستثمار" يعني أن يتحقق مراد "الشهيد"، فيكون لدمائه أعظم الأثر، وهذا ليس دوره فحسب، بل دور كل المحيطين به القادرين علىٰ العمل لجعل هذه الدماء لها أكبر فائدة ممكنة.

النيران علىٰ المعسكر المقابل، سواء من داخله أو خارجه.

ولا يكفي أن يخلي المقاومون ذمتهم ويعلنوا براءتهم من الدماء بمؤتمرات صحفية وبيانات إدانة، بل أن يعاملوا الجندي أو الضابط كشهيد قُتل غدراً. ويمكن أن ينفذوا كل الأفكار السابقة لتأكيد أن حرمة الدم فوق كل شيء. وليرفعوا تكلفة القتل علىٰ من ارتكب هذا الفعل الدموي، فيأتي بعكس ما أراد.

كثيراً ما نسمع كلمة دماء الشهداء لعنة علىٰ الطغاة، وهو ليس تعبيراً مجازيًا، إن كان خلف الشهداء رجال يجعلون تكلفة القمع باهظة.

إنها مناسَبة جديدة لخلق حوار، حوار مع قوىٰ القمع والمجتمع والنظام، وحوار مع الإنسانية كلها، هذا الحوار الذي تديره الأنشطة المتنوعة والأفكار المبتكرة، ليعلم الجميع أن الكرامة الإنسانية ليست شعارات، وأن المقاومين يطبقونها في ساحة المعركة، وأنهم لم يتخلقوا بأخلاق خصومهم.

مجموعات متخصصة

ويتطور هذا المجال بتخصص مجموعات عمل فيه، ربما تتأسس عليها مشاريع ومؤسسات، يتركز دورها في:

* التفكير في كيفية التعامل مع جوائز «**الشهادة**» التي تهب الحياة للمجتمعات.

* دراسة الحالات من منظور حماية الأرواح، فتسجل التقارير حول الأسباب التي أدت إلىٰ الاستشهاد؟! فأحيانًا يكون وراء الحدث خطأ تكتيكيًا أو استراتيجيًا كان يمكن تجنبه. وبذلك يتم تدارك الأخطاء والحفاظ علىٰ الأرواح في المرات اللاحقة. فالاحتفال بفكرة «**الشهيد**» لا ينبغي أن يكون علىٰ حساب منع آخرين من أن يلقوا نفس المصير. والبحث في الأسباب والملابسات يتطلب عملاً جريئًا، لا يخشىٰ التنقيب عن أسباب الموت، من أجل العثور علىٰ أسباب الحياة.

الخلاصات

* الفرق بين الحرب العسكرية وحرب اللاعنف، أن الثانية لا يخرج فيها المقاوم بنية إزهاق روح من أمامه ليمر علىٰ جثته إلىٰ حلمه، فهو لديه استعداد أن يضحي ويُقتل من أجل قضيته، لكنه ليس مستعداً لأن يقتل أخاه حتىٰ وإن قمعه أو نكَّل به.

* تعمل حرب اللاعنف جبهتين: جبهة الظلم وجبهة العنف، كلاهما ينبغي التعامل معه في آن واحد.

* يتم استثمار «**الشهادة**»، مثلما يتم استثمار كل أشكال القمع الأخرىٰ من ضرب واعتقال..الخ.

* إن الشهيد لديه قدرة مذهلة علىٰ تكدير صفو الظالمين وإيقاظ المجتمع، شريطة أن يترك خلفه أناساً عباقرة لديهم قدرة علىٰ استثمار قصته في أنشطة متعددة.

* حرب اللاعنف ليست حرب كراهية، حيث يكرم شهداء المعسكر الآخر ممن قُتلوا غدراً.

* لا يكفي أن يخلي المقاومون ذمتهم ويعلنوا براءتهم من الدماء بمؤتمرات صحفية وبيانات إدانة، بل أن يعاملوا الجندي أو الضابط كشهيد قُتل غدراً. ويرفعوا تكلفة القتل علىٰ من ارتكب هذا الفعل الدموي، فيأتي بعكس ما أراد.

* إن الاحتفال بفكرة «**الشهيد**» لا ينبغي أن يكون علىٰ حساب منع آخرين من أن يلقوا نفس المصير، والبحث في الأسباب والملابسات يتطلب

عملاً جريئاً، لا يخشىٰ التنقيب عن أسباب الموت، من أجل العثور علىٰ أسباب الحياة.

❊ كثيراً ما نسمع كلمة دماء الشهداء لعنة علىٰ الطغاة، وهو ليس تعبيراً مجازياً، إن كان خلف الشهداء رجال يجعلون تكلفة القمع باهظة.

❊ ❊ ❊ ❊



البَابُ الخَامِسُ

تكنولوجيا مواجهة القمع

من التحديات التي تواجه حركة اللاعنف كيفية التصدي لقوات القمع بدون عنف، سواء كان قمع قوى الأمن، أو مستخدمي العنف من البلطجية والمخربين الذين يروعون الناس.

ولأننا في أكاديمية التغيير نعمل على البحث عن وسائل تضاعف قدرات الإنسان وتقلل من احتياجه للعنف في الدفاع عن نفسه، كانت هذه الموضوعات المتعلقة بتطوير تكنولوجيا مواجهة القمع. أملاً أن تساهم في شحذ العقل لإبداع وسائل فعالة، تحول دون انجراره في مسار العنف الدامي.

وإن كان«**اللاعنف المطلق مستحيل**» حتىٰ يومنا هذا كما يقول غاندي،[1] فإن دورنا هو تقليص المساحات التي يُضطر المتظاهرون فيها لاستخدام العنف، حتىٰ تتمكن البشرية – مع تضافر الجهود- من إنضاج وسائل اللاعنف، إلىٰ أن يأتي اليوم الذي لا يجد العنف ثغرة ينفذ من خلالها للمقاومة.

ومن تكنولوجيا مقاومة العنف كل ما يتعلق بأشكال الحماية من دروع بأنواعها، ونظارات لحماية العين، ومتاريس تحمي من الرصاص. وقد ذكرنا بعضاً من هذه الأمور فيما سبق، كما تناولنا في كتاب «**الدروع الواقية من الخوف**» تفاصيل صناعة الدروع. ونزيد علىٰ هذه التكنولوجيا بعض الوسائل الأخرىٰ التي لم نتناولها **سابقاً وهي**:

❃ سحابة الردع.

❃ سلاح خيوط العنبكوت.

❃ درع المتاهة.

---

1 جان ماري مولر، استراتيجية العمل اللاعنفي، حركة حقوق الناس (جمعية العمل الاجتماعي الثقافي)، 1999، بيروت، لبنان، ص66.



سحابة الردع

يواجه المقاومون الذين يخوضون حرب اللاعنف تحدي السماء المكشوفة، حيث تمطرهم قوىٰ القمع بقنابل الغاز والمولوتوف والأحجار (**أحيانًا**) وسيل المياه المتدفق من الخراطيم... وهو ما يدفعهم أحيانًا إلىٰ الرد بعنف، بالرغم من إعلانهم في البداية عن سلمية احتجاجهم.. لكنهم ومع سقوط الإصابات في صفوفهم يجدون أنفسهم مضطرين للرد، فهل توجد طريقة لحل مشكلة سماء المقاومة المكشوفة؟!

الآن نستعرض إحدىٰ التقنيات التي يمكن الاستفادة منها لتحصين سماء المقاومين، وتقليل مساحة التوتر واللجوء إلىٰ العنف من قبلهم.

الفكرة

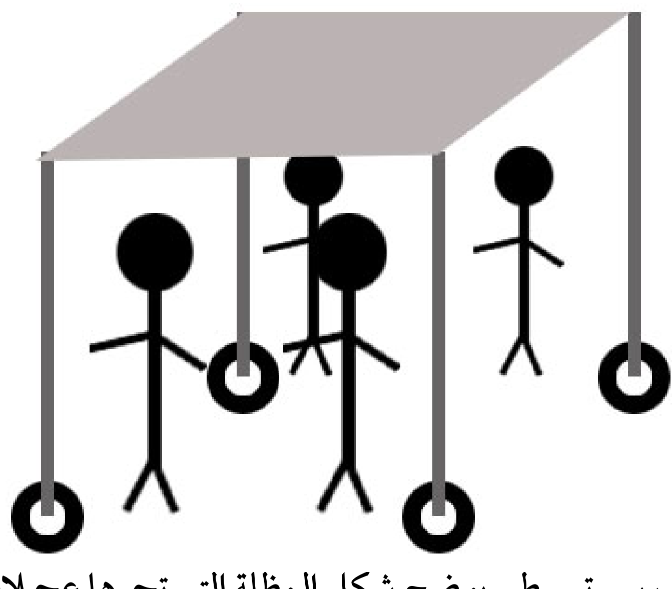
عمل سحابة تظلل رؤوس المتظاهرين وتتحرك بحركتهم. هي درع سماوي متحرك يمنع سقوط أي نوع من المقذوفات السابق ذكرها علىٰ رؤوسهم.

مكونات السحابة

1- مظلة مصنوعة من أي مادة تتحمل الأحجار وقنابل الغاز ويفضل أن تكون قابليتها للاشتعال منخفضة. يمكن استخدام صاج معدني، ثم تغطيته بالرمل أو أي مادة تمتص الارتطام وتقلل إمكانية الاشتعال. ولسهولة الحركة يفضل استخدام مواد خام خفيفة تتمتع بقدرتها علىٰ التحمل. وفي حالة أن الغرض هو صد الرصاص الحي يمكن زيادة كثافة الرمل، أو صب كتلة خرسانية علىٰ السقف.

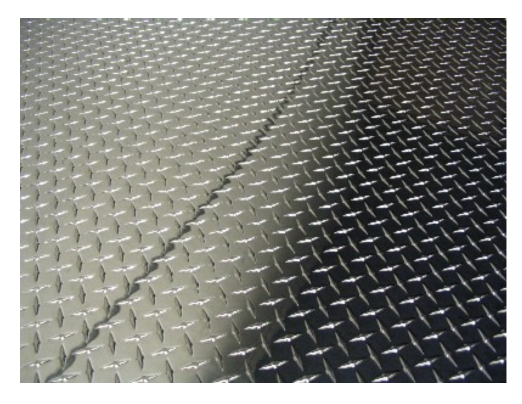
2- أعمدة لحمل المظلة، وتراعىٰ الأحمال بحسب طبيعة السقف.

3- عجل يركب أسفل كل عمود لتحريك المظلة.



صورة 52: **رسم تبسيطي يوضح شكل المظلة التي تجرها عجلات وتكون قريبًا من الرؤوس إلىٰ حد ما.**

4- في المقدمة المواجهة لخط القمع يمكن استخدام درع رأسي شفاف من زجاج مضاد أو بلاستيك له سمك كاف لصد طلقات البلي، يتم تغليفه بلوح معدني شبكي يتيح الرؤية، وهدف اللوح هو صد الضربات الموجهة في اتجاه أفقي مباشر. ويمكن استخدام حواجز معدنية مثل عربات القمامة.



صورة 53: **اللوح المعدني الشبكي**

فوائد السحابة

1 - تصد عن المتظاهرين الكثير من المقذوفات وتحمي رؤوسهم.

2 - تمنع الشمس الحارقة والأمطار الغزيرة عن المتظاهرين.

3 - تمنع المتظاهرين من استخدام العنف لأنها تكون على مقربة من رؤوسهم، ولا تسمح لهم برمي الأحجار لأعلى. فهي أقرب لاستراتيجية السلحفاة في مواجهة أي عدو.. الاحتماء في الدرع.

4 - تعطي هتافات المتظاهرين قوة وتزيدهم حماساً بسبب وجود المظلة وتأثيرها على قوة الصوت.

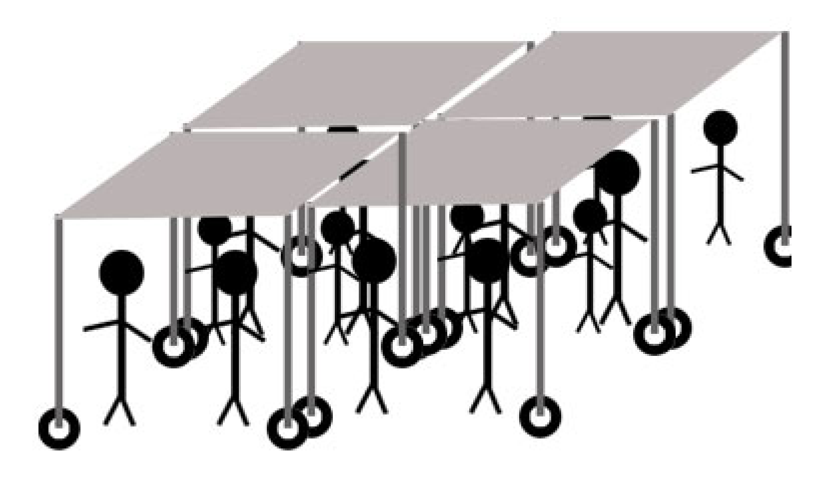
5 - يمكن الكتابة عليها من أعلى ومن الأجناب والمقدمة وتوصيل رسالة للمجتمع ولمعسكر القمع.

6 - يمكن كذلك أن تتوفر وسائل حماية من خلال دروع جانبية عريضة، وبذلك يكون تم تحصين سقف المسيرة وأجنابها.

إرشادات

* تتميز المظلات الصغيرة بسهولة جرها، كما تتميز بسهولة الفك والتركيب. وإمكانية عمل إصلاحات باستبدال الفاسد فيها بآخر جديد. وعند استخدام مجموعات من المظلات الصغيرة يجب سد الفراغات البينية بشكل جيد، حتى لا تتسبب في سقوط أي مقذوف على المتظاهرين.

* كما تفيد المظلات الصغيرة في أوقات الاشتباكات في إمكانية أن تتحرك بها مجموعات صغيرة لتصل إلى أماكن معينة سواء في المواجهة، أو لتأمين انسحاب البعض، أو حمل المصابين.



صورة 54: **مظلات توضع بشكل متجاورة**

* يمكن وضع أوعية ماء فوق كل مظلة، علىٰ أن يكون بها قدر قليل من الماء حتىٰ لا يسبب ثقل، ويمكن لذلك أن يساهم في إطفاء قنابل الغاز عند وقوعها داخلها.

* تعليق كاميرات في أركان المظلات الداخلية، وأخرىٰ فوق المظلة لتسجيل الأحداث.

* تثبت في أحد أركان كل مظلة مطفأة حريق يدوية، بحيث تستخدم في حالة اندلاع نيران، أو سقوط قنبلة غاز.

* تعليق لافتات داخلية تقلل من توتر المتظاهرين.

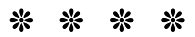
* تجنب تركيب إضاءات ليلية من خلال دوائر كهربية قد تسبب حريقـًا، ويفضل استعمال كشافات تعمل بالبطاريات تعلق في زوايا المظلة.

* تكليف أفراد بمسئولية حركة وصيانة المظلة في حالة الرغبة في التقدم أو التأخر، أو علاج أي خراب نالها، ويرتدي هؤلاء الأفراد ملابس الحماية المتنوعة التي تغطي الرأس والعيون والجسم.

* عند بداية سقوط المقذوفات علىٰ السحابة يكون هناك تكتيك محدد لعدم توتير المحتجين، مثل الرد الجماعي بهتافات محددة، أو الغناء، ولا يُترك المحتجون فريسة الصمت والتفكير في رد فعل متهور.

وتهدف هذه التقنية إلىٰ حصار العنف قدر المستطاع، سواء كان هذا العنف من قوىٰ القمع أو يُتوقع أن يقوم به المتظاهرين. وهي خطوة علىٰ طريق تطوير المقاومة، وتقليل حاجتها إلىٰ الرد بشكل مباشر علىٰ عنف قوىٰ القمع، ويمكن للعقل المقاوم أن يبدع أشكالاً أخرىٰ، ويستخدم مواد أكثر فاعلية لصناعة «**سحابة الردع**».

كما يمكن لقوات مكافحة الشغب استخدام نفس التقنية لحماية جنودها ومركباتها، ومن ثم يرتقي مستوىٰ الصراع السياسي في المجتمع، ويدار بشكل أكثر تحضراً، توضع في أولوياته كرامة الإنسان، وحرمة الدم.





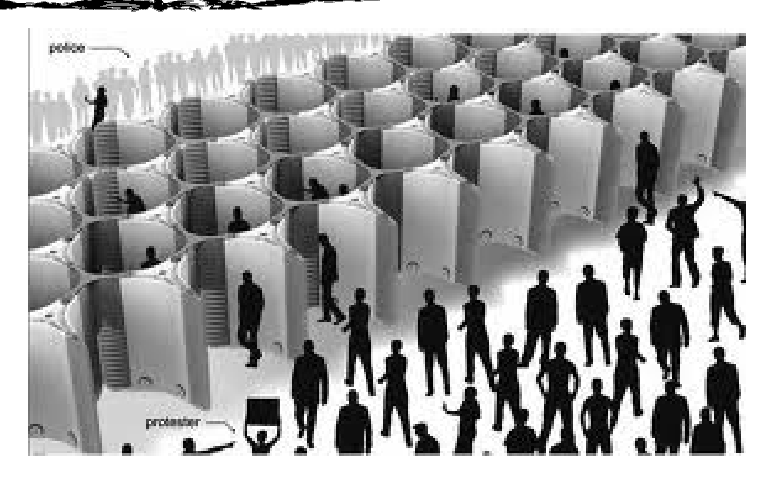
درع المتاهة

يظل العقل الباحث عن السلوك الحضاري في عمل دؤوب للتخلص من الجهل، وتقليص مساحات العنف، سواء كانت من قبل قوات مكافحة الشغب، أو من قبل المحتجين، خاصة عندما تعلو قيمة الإنسان في المجتمع، فيصبح الاحتجاج فيه حقًا أصيلاً، واهتمام السلطات بالحفاظ علىٰ الأرواح البشرية في المقام الأول، ثم الممتلكات والنظام.

ويهتم العاملون في مجال تطوير تكنولوجيا سلمية علىٰ تقديم أجوبة عملية لحصار العنف، من هذه الأجوبة الفكرة المبتكرة عن دروع تفرقة مثيري العنف.

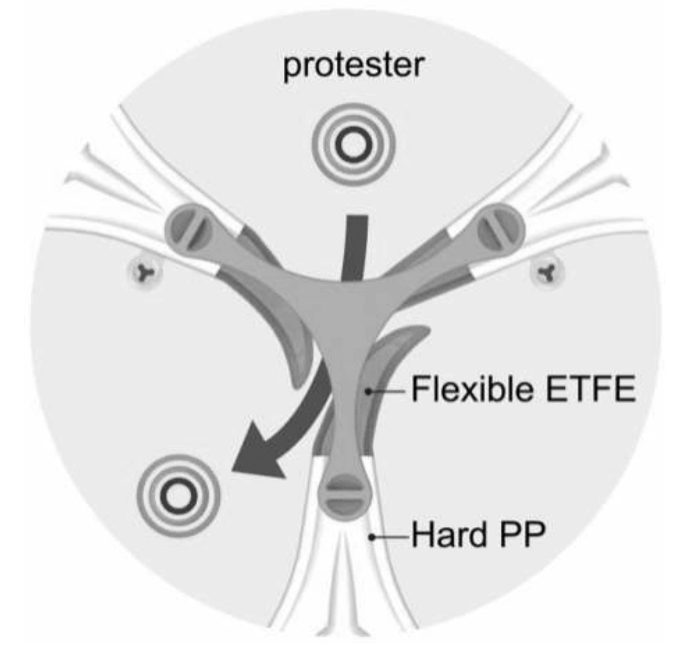
تقوم فكرة المصمم **Hsu Sean** علىٰ عمل دروع ذكية تفصل بين المتظاهرين وقوات مكافحة الشغب، وهي لا تفصل تمامًا بين الطرفين، **ولكنها تعمل علىٰ:**

* تقليص دائرة العنف.
* تشتيت مثيري العنف، من خلال الحركة داخل وخارج متاهة الدروع.
* تقليل حدة التوتر والغضب، من خلال الحجز البصري بين المحتجين وقوات الشرطة.
* تقليص فرص الاشتباك بين المحتجين والشرطة. حيث يقل عدد من يخترقون الحاجز ويعبرون المتاهة دفعة واحدة.



صورة 55: **رسم توضيحي لفكرة درع المتاهة يبين الحواجز التي تفصل بين الشرطة والمحتجين وتبين كيف يتمكن عدد قليل من الوصول للناحية الأخرىٰ في توقيت واحد، حيث يدخل الشخص من إحدىٰ البوابات الدوارة محاولاً الخروج العبور للناحية الثانية.**

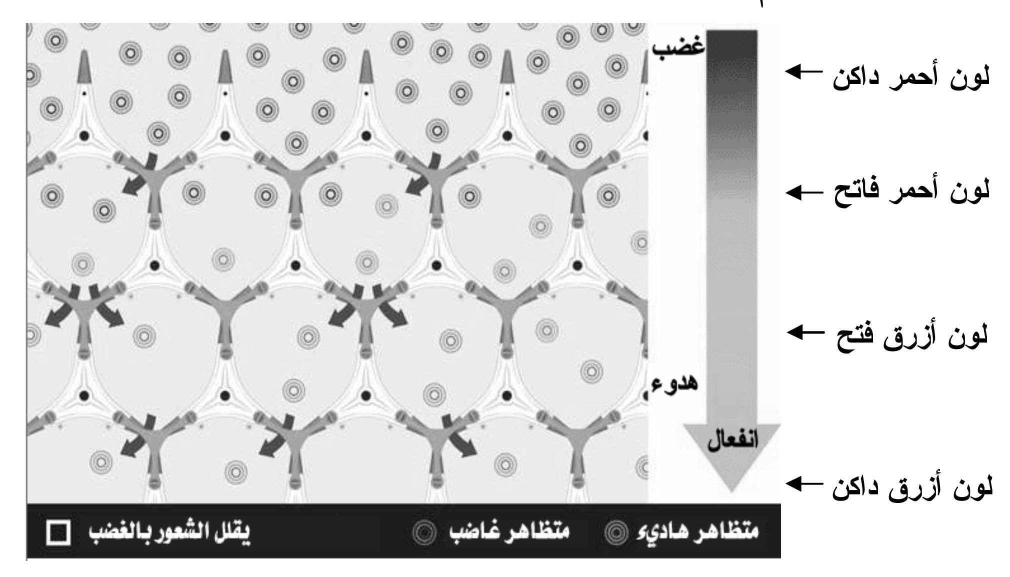
ويتكون «**نظام التشتيت**» من ثلاث وحدات، بحيث يمكن نقله وتركيبه بسهولة.



صورة 56: **رسم يبين كيف يدخل مثير العنف في الباب الدوار**



صورة 57: **رسم يبين الباب الدوار**



صورة 58: **رسم توضيحي لكيفية امتصاص الغضب حيث يقل الانفعال الغاضب تدريجياً عبر التنقل من باب لباب ونتيجة عدم رؤية وجه الطرف الأخر التي قد تستفز المحتجين.**

كـذلك يمكـن الكتابـة علـىٰ الجـدران الداخليـة للممـرات لتوجيـه رسـالة تخاطب عقل وعاطفة المتحرك داخل الممر، بحيث تقلل من توتره.

ملاحظات على الفكرة

وجهت الانتقادات للفكرة باعتبارها تزيد التوتر أكثر مما تقلله، وأن هذه الحواجز نفسها يمكن للمحتجين تسلقها ومن ثم الانتقال فوقها. وأيـًا كانت كفاءة هذا النظام، وأيـًا كانت أمنية مصممه وطموحاته، إلا أنه فكرة قد تعقبها أفكار في مجال تطوير تكنولوجيا سلمية يمكن استخدامها في الحالات التي يُراد فيها تقليل دائرة العنف، مثل مواجهة البلطجية، كما يستخدمها المتظاهرون السلميون ضد أجهزة قمع غاشمة، أو تستخدمها قوات الشرطة ضد مخربين يثيرون الشغب.[1]

* * * *

1 http://www.yankodesign.com/2012/01/24/riot-slower-downer/

سلاح خيوط العنكبوت

هـذا الـسلاح يمـنح المقاومـة اللاعنيفـة قـدرات هجوميـة تواجـه بهـا القمـع، وتفـتح بهـا ثغـرات في الـسدود البـشرية التـي تـشكلها قـوات القمـع التـي تواجـه المتظـاهرين العـزل. ويعتمـد هـذا الـسلاح علـىٰ اسـتخدام الـشبكاك بـأدوات ووسائل متعددة تمنحها قوة وقدرة تفـوق الوصـف، فقـوة «**الخيـوط**» يمكـن أن تفوق علىٰ قوة «**الحديد**». ويشتمل هذا السلاح علىٰ البندقية الشبكية والمدفع الشبكي، والفخ الشبكي، بالإضافة إلىٰ شباك الـصيد الحرة، التي تلقـىٰ يـدويـًا بتكتيكات استخداماتها المختلفة.

وظيفة خيوط العنكبوت

1 – عرقلة قوىٰ البلطجة والتخريب.

2 – التقييد اللاعنيف لشخصيات محددة تثير الـشغب أو تفـرط في اسـتخدام العنف.

3 – تمكين المتظاهرين من اختراق حاجز أمني.

4 – نزع السلاح من مستخدمي العنف سواء كانوا داخـل المتظـاهرين أو مـن المخربين والبلطجية.

5 – تكبيل وتقييد من يقومون بمهام مداهمة البيوت وترويع الآمنين.

6 – شـل حركـة الكـلاب البوليـسية والخيـول التـي تـستخدم في مكافحـة التظاهرات.

بندقية الشبكة Net Gun[1]

تستخدم بندقية الشبكة لصيد الحيوانات، حيث تفقدها القدرة علىٰ الحركة. كما تـستخدمها شركات الأمـن الخـاص في بعـض الـدول، ويمكـن اسـتخدامها

1 شاهد الفيلم القصير "سلاح خيوط العنكبوت" من إنتاج أكاديمية التغيير ومعروض علىٰ موقعها.

كذلك لإرباك البلطجية والقبض على المخربين. ومن مزاياها أنها لا تسبب ألماً للكائن الذي تصوب نحوه، لكنها تعرقله وتمكنك من القبض عليه.

ويصل مدى البندقية من 3 – 20 متراً، في مساحة 16متراً مربعاً في حالة حركة الهدف. ولا تتطلب البندقية ترخيصاً، حيث تستخدم في الصيد والحراسة.[1]

ويفضل استخدام الشبكة التي قطر فتحاتها 6 بوصة، فهي الأنسب إن كان الهدف إنساناً أو حيواناً مثل الكلب البوليسي.[2]



صورة 59: **البندقية الشبكية الصغيرة**

أنواع واستخدامات الشباك

بندقية الشبكة الصغيرة: تستخدم في عرقلة شخص واحد فقط، على مسافة قريبة، وهي مناسبة في حالات:

1 – التصدي للبلطجية أو المخربين، والقبض عليهم.

2 – مداهمات المنازل من قبل المخربين.

3 – العناصر المثيرة للشغب والمندسة داخل المظاهرات بهدف تحويلها إلى مسار عنيف، حيث يتم قنصهم بالشباك، وأخذ أسلحتهم وتكبيلهم.

---

1 http://net-gun.com
2 http://www.humanecapture.com/nets/

4- شل حركة الكلاب البوليسية والخيول المستخدمة في مكافحة التظاهرات.

وهـذا يتطلـب مجموعـات مدربـة بـشكل جيـد في الـصفوف الأماميـة وفي الأماكن الحيوية لمواجهة العنف.



صورة 60: **بندقية الشباك الصغيرة القادرة علىٰ تقييد حركة شخص واحد**

بندقية الشبكة المتوسطة: ويمكـن بهـا عرقلـة شخـصين أو ثلاثـة، وتـستخدم أيضـًا في التصدي للمخربين أو مداهمي البيوت.



صورة 61: بندقية الشباك المتوسطة القادرة علىٰ تقييد حركة شخصين.

بندقية الشبك الكبيرة: تستخدم للمسافات البعيدة، وبإمكانها عرقلة مجموعة كبيرة. ويمكن إيجاد صفوف من المدافع التي تطلق هذا النوع من الشباك، في حالة الرغبة في عرقلة أعداد ضخمة، مع مراعاة أن يكون هناك فارق حوالي عشر بين إطلاق كل شبكة، بحيث لا تتداخل الشباك، **وهذا النوع من البنادق أو المدافع يستخدم في حالات:**

1 – عرقلة مجموعات من البلطجية والمخربين.

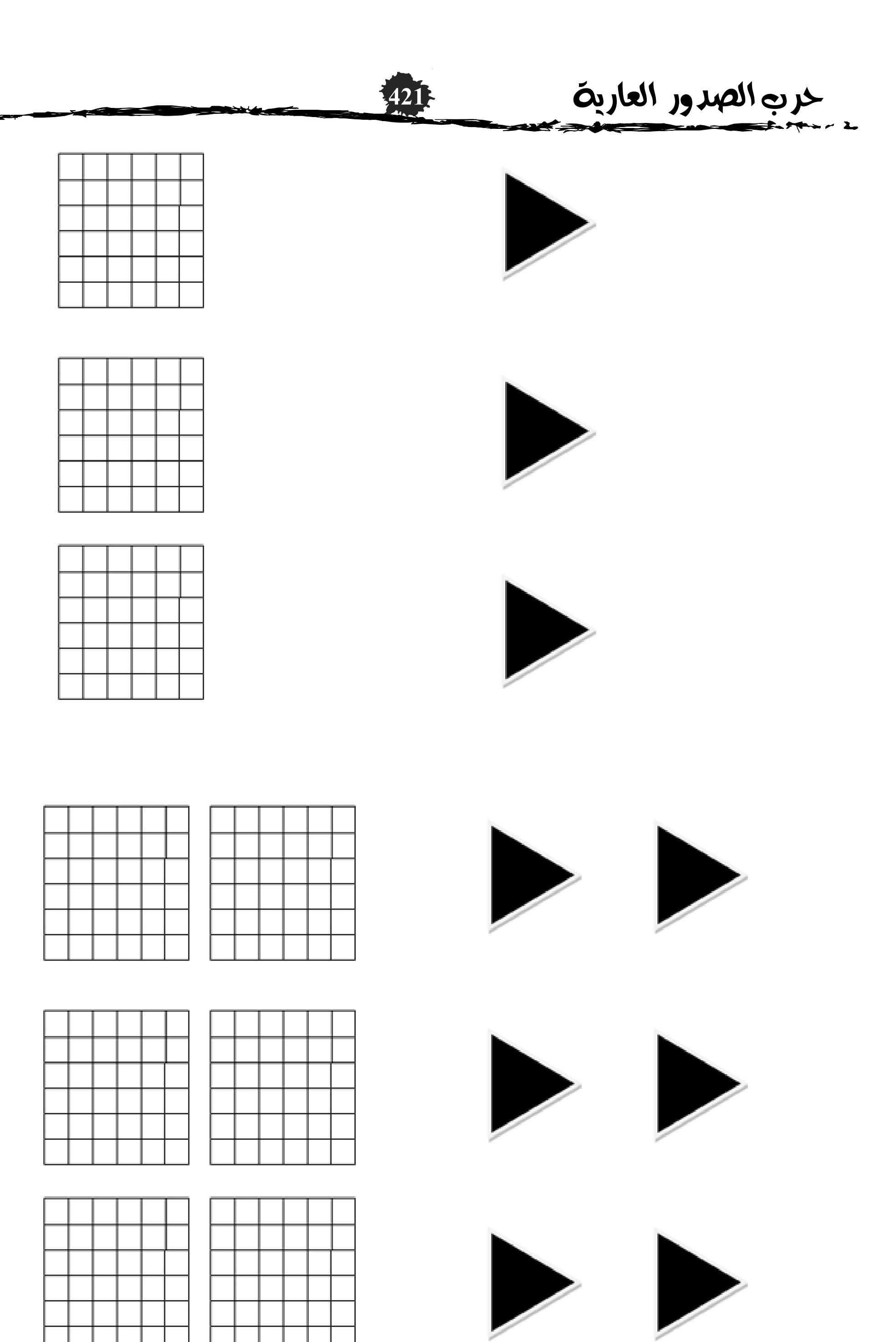
2 – الحاجة إلىٰ خط حماية أول يتقدم التظاهرة او الاعتصام بمسافة ليحول دون تقدم المجموعات العنيفة المترجلة.

3 – الحاجة إلىٰ اختراق منطقة محاصرة بمجموعات مسلحة، حيث يتم عرقلتها بالشباك، ثم يتقدم المتظاهرون متخطين الحاجز.

وفي حالة ضرورة إحكام السيطرة يمكن إطلاق أكثر من شبكة علىٰ نفس المجموعة بحيث يتعذر عليها الخروج سريعـًا من الشباك المتداخلة.



صورة 62: **مدفعية الشباك بعيدة المدىٰ ولقادرة علىٰ تقييد حركة مجموعة أفراد.**



شكل 19 : رسم توضيحي لثلاثة مدافع (المثلث الأسود)على خط واحد تطلق ثلاث شباك

الفخ الشبكي: حيث تثبت الشباك في مكان عال، وتنزل الشبكة على مجموعة تمر تحتها، ويمكن صناعة الفخ بتعليق مجموعة من الشبكات على مسافات متباعدة. **ويستخدم في حالات:**

1- نفس الحالات السابقة.

2- الحاجة إلى أفخاخ في أماكن يتم جر قوى القمع إليها، (**تحت جسر - شارع ضيق**) فتستخدم كفخ.

3- الحفاظ على مكان اعتصام مفتوح، حيث يتم تأمين المكان بتعليق الشباك في حبال وإطلاقها في حالى احتلال المكان من مجموعات مثيرة للشغب.



صورة 63: **رسم توضيحي لستة مدافع تطلق شباكًا كبيرة، وبذلك يمكن تغطية مساحة كبيرة من الأرض عبر تكتيك «مظلة الشباك»**.

كيفية الحصول على بندقية الشبك

* من محلات بيع أدوات الصيد.

* تصنيعها منزليًا.

محاذير استعمال الشباك

* لا ينصح باستخدامها مع قوات نظامية في احتجاجات تقليدية. لأنها تضر المحتجين أكثر مما تنفعهم، وأحيانًا تكون استراتيجية «**اللاعنف المطلق**» أو «**اللاعنف المطلق مع الحماية**» أكثر فائدة.

❋ إن شعرت القوات القمعية بالخطر فيمكن لها اللجوء للأسلحة المميتة ودليل مكافحة الشغب يعطيها ذلك الحق (**انظر دليل قوات مكافحة الشغب في الملحق**). لذلك لا ينبغي أن يكون استخدام هذا السلاح ذريعة لاستخدام الأسلحة المميتة. ومن هنا كان عدم تفضيل استخدامه مع قوات نظامية.

❋ لا تستخدم إلا في مراحل الحسم في حالة قوات نظامية وبأغراض منطقية يمكن أن تحققها هذه التقنية وإلا تحولت إلىٰ وبال علىٰ مستخدميها، حيث تؤدي إلىٰ استثارة المزيد من غضب قوىٰ القمع. لذلك يمكن استخدامها فقط للعرقلة وليس لاعتقال عناصر من القوات.

❋ يمكن استخدامها مع مثيري العنف داخل المسيرات أو البلطجية.

❋ أحياناً تكون الشباك الحرة بدون المدفع أكثر مرونة وأسهل في استخدامها خاصة مع مجموعات مدربة علىٰ تقنية رمي الشباك لاصطياد الأسماك.

❋ من المهم التدريب عليها قبل الاستخدام وتجربة مدىٰ فاعليتها والمدىٰ الزمني الذي يستمر فيه مفعولها (**بعد كم من الوقت يتمكن الشخص/ المجموعة من التخلص من القيد**)، وبالتالي يمكن تحديد غرض الاستخدام والتكتيكات الأنسب للتعامل معها.

❋ ❋ ❋ ❋



الروبوت
(رجل المهام الصعبة)

تستخدم الروبوتات في المهام الخطرة حفاظاً على حياة الإنسان، مثل إرسالها في بطن الأرض لأخذ عينات أو صور، أو في المجال النووي. ترىٰ هل يمكن للروبوتات أن تساعد الإنسان أيضاً في مجال المقاومة، وتدفع عنه الأخطار لتفتديه بنفسها؟! هل تساعده في رفع راية العصيان؟! وهل يكون الروبوت رجل المهام الصعبة؟!

يؤذن العصر القادم بانتقال الروبوتات إلىٰ عالم المقاومة، لتساند الإنسان، وتقوم نيابة عنه ببعض المهام الصعبة التي قد تتسبب في اعتقاله.

ومن أشكال هذه الروبوتات:

رسام الجرافيتي[1]: تجميع من ريموت كنترول سيارات الأطفال مرتبط بفرشاة، ورقاقة إلكترونية (**chip Technology**). هذا الروبوت بإمكانه رسم الشعارات مثلما تفعل الطابعات (**dot-matrix printer**).[2]

الربوت المزعج: فبدلاً من إطلاق الألعاب النارية الصوتية، يتم عمل لعبة صوتية يتم التحكم بها عن بعد، ويمكن استخدام صفارات الإنذار، وتأثير هذه الوسيلة أكبر في الأماكن المغلقة.[3]

روبوت توزيع المنشورات: يوزع المنشورات في المراكز التجارية والمطارات،[4]

روبوت التصوير: طائرات تحمل كاميرا لتصوير الاحتجاجات أو استطلاع بعض المناطق.

---

1 يمكنكم قراءة تفاصيل طريقة تصنيع الروبوت في صفحة أكاديمية التغيير علىٰ الإنترنت (www.aoc.fm) في القسم الخاص بكتاب "حرب الصدور العارية".

2 Electronic Civil Disobedience (ECD), Printed Matter, NYC, 1994, p109

3 Electronic Civil Disobedience (ECD), Printed Matter, NYC, 1994, p109.

4 Electronic Civil Disobedience (ECD), Printed Matter, NYC, 1994, p109.



صورة 64: **طائرة مثبت فيها كاميرا للتصوير، وقد استخدم المحتجون في اعتصام رابعة العدوية في مصر عام 2013 طائرة إلكترونية لتصوير الاعتصام كرد علىٰ التعتيم الإعلامي.**

وتتطلب مثل هذه الأعمال:

❋ مهندسون متخصصون في الإلكترونيات.

❋ شراء المكونات اللازمة.

ويراعىٰ أن استخدام هذه التكنولوجيا أحياناً قد يتسبب في توقيف صاحبه مثل حالات التواجد عند منشآت عسكرية،[1] فحتىٰ لو تم الإمساك بالروبوت، واكتشفت الشرطة أنه لعبة، سيعتقلون من قام بهذا العمل وسيعامل كمقاوم عنيف وليس سلمياً.[2]

ولتفادي ذلك وتقليل نسبة الخطر، يشتري المهندس المكونات التي

1 تمكن المحتجون في اعتصام رابعة العدوية في القاهرة عام 2013، من إطلاق طائرة صغيرة قاموا بتثبيت كاميرا عليها للتصوير في محيط منشآت عسكرية، ما منع التوقيف آنذاك هو كثرة الحشود في المنطقة، فقد كانت تقريباً تحت سيطرة المحتجين.

2 Electronic Civil Disobedience (ECD), Printed Matter, NYC, 1994, p111.

سيصنع منها الروبوت نقداً وليس عبر بطاقة إلكترونية، كما يرتدي قفازات أثناء التصنيع، ويزيل الأرقام الكودية للمكونات إن كان ذلك ضرورياً.[1]

إن فتح المجال لمثل هذا النوع من التكنولوجيا سيمكن المقاومة اللاعنيفة من بناء قدراتها على القيام بمهام معقدة مع الحفاظ على العنصر البشري. وستساهم الروبوتات في سد الكثير من الثغرات التي تواجه المقاومة اللاعنيفة، وستكون عموداً فقرياً في معارك المقاومة القادمة، حين يعتصم المهندسون في معاملهم وورش العمل ليبدعوا تكنولوجيا متطورة، فهذا مكان اعتصامهم الفعال.

❋ ❋ ❋ ❋

1 Electronic Civil Disobedience (ECD), Printed Matter, NYC, 1994, p112.



الخاتمة

ليست قوىٰ المقاومة هي التي تعاني كما يتبين من الوهلة الأولىٰ عند رؤية مشاهد الاعتقالات وإطلاق الرصاص والقنابل. فقوىٰ المقاومة تعرف أنها هي من تملك ناصية المعركة وزمام المبادرة، وأن لديها فضاءً متسعاً من الخيارات، وأنها هي من تُلجئ قوىٰ القمع إلىٰ خانات ضيقة وتقلل من خياراتها .فالمقاومة بصمودها تفرض إيقاع حركة القوىٰ الأمنية .

فبينما تظل قوىٰ الأمن ساهرة، تذهب قوىٰ المقاومة للنوم سعيدة ببلائها. وبينما لا تعرف قوىٰ الأمن من أين سيأتيها سيل الجماهير، تدرك قوىٰ المقاومة متىٰ سينهمر طوفانها المتدفق. وبينما تكبر قوىٰ المقاومة في عيون الناس كل يوم، تصغر قوىٰ الأمن في عيون أنفسها.

إن قوىٰ المقاومة تعمل بمنهج التجربة والخطأ، حيث لن يضرها خطأ تكتيكي طالما التزمت استراتيجياً بمنهج اللاعنف، أما قوىٰ القمع فكل خطأ منها يشعل فتيل المقاومة ويزيد الأنصار. إن قوىٰ المقاومة فخورة بنفسها كونها تعمل من أجل قضية عادلة، بينما قوىٰ الأمن خجولة من هيئتها علىٰ شاشات التلفزة ووسائل الإعلام.

سيُقهر الطغيان ما استطاع المقاومون إبداع مسارات فعالة، هذه المسارات التي ينبغي أن تنسجم تماماً مع ما يدعون إليه من عدالة واحترام للكرامة الإنسانية. فهزيمة الطغيان ليست مرهونةً باندحار أهله، ولكن بالانتصار علىٰ منطقه والقيم الخبيثة التي يتحرك من خلالها وتتجسد في مساراته ووسائله. فالطغيان لا ينتصر حين يقتل المحتجين الذاهبين إلىٰ الموت بصدور عارية، ولكنه ينتصر حين يفرض لغته في ساحة المعارك، ويحدد الإيقاع، ويختار لون الدم في وسائله لتفقد الإنسانية معناها. لكن حرب اللاعنف تأبىٰ ذلك، وتنتزع الإنسانية من بين فكيّ الطغيان.

إن حرب اللاعنف تشن حرباً مزدوجة، فهي تخوض حرباً بأهداف سياسية واجتماعية محددة مثل دحر الديكتاتوريات والتأسيس لتداول السلطة، ولكنها من ناحية أخرىٰ تخوض حرباً قيمية تؤكد فيها أن المستقبل لن يتأسس بفكر الأعداء، وأن المفاصلة ليست فقط علىٰ مستوىٰ الأهداف بل المنهج والمسار، وكل يوم يمر فيه المقامون علىٰ هذا المسار الصافي، ينحت في عقولهم وقلوبهم معان جديدة، فيتأسس داخلهم المجتمع الذي يرنون إليه، ذلك المجتمع الذي تنتصر فيه قوة العقل والإرادة علىٰ قوة المدفع والدبابة.

إن حرب اللاعنف ليست مجرد وسيلة أو تقنية، يمكن إلقاؤها أرضاً والبحث عن غيرها، ولكن مسار اللاعنف هو السبيل لتحقيق الغاية (**بناء مجتمع مدني قوي**)، وهناك فرق بين بذل الجهد في تطوير المسار واكتشاف ثغراته ومعالجتها، وبين اعتباره مجرد جسر يوصل إلىٰ الهدف، نتركه مع أول إخفاق لنبحث عن جسر آخر يقوم علىٰ قيم وفلسفة من نحاربهم، وكأننا ونحن نقاومهم نعترف بانتصارهم في المعركة القيمية، فقيمهم فعالة أكثر عند الحاجة، بينما قيمنا لا تسعفنا!!

والحالة التي يمكن فيها طرح هذا المسار أرضاً أن يولد فكر جديد للتغيير، ينافسه في احترام القيم الإنسانية ويغزل منها منهجاً واضحاً بعيداً عن الشعارات.

لقد اجتهدنا في هذا الكتاب أن نجيب علىٰ السؤال الذي يشغل الكثيرين، والذي يراه البعض ثغرة كبيرة في فكر حرب اللاعنف، وهو: كيف يتم التعامل مع القمع؟

حاولنا أن يكون الطرح عملياً بدرجة كبيرة، وكذلك واقعياً يبتعد عن الرومانسية التي تتوقع أن يلقي الخصم سلاحه أمام شباب يقدمون له الزهور،

فلكم شاهدنا حول العالم مدافع الديكتاتوريات تحصد زهرة الشباب في المجتمعات في ثوان معدودة.

إن جزءاً من نجاح حرب اللاعنف أن تجبر السلطة علىٰ أن تعتمد نفس لغتها، فتقاوم الاعتصامات والإضرابات بنفس منطقها وليس بمنطق العنف، لينتصر تمدين الصراع السياسي علىٰ عسكرته، وينتقل المجتمع كله خطوات للأمام نحو احترام حرية وكرامة الإنسان. حينها سيتطور هذا الأسلوب علىٰ صعيد السلطة والمجتمع معـًا، وهو ما يعني أن المجتمع والسلطة قد اتفقا علىٰ نمط جديد لإدارة الصراع.. نمط مدني بامتياز لا يعرف للقوة العسكرية سبيلاً.

وفي ختام الكتاب نؤكد أن حرب اللاعنف تحتاج المزيد من الجهد النظري في مجال التأمين ومواجهة القمع، وتتطلب في تخصصاتها من يعكفون علىٰ دراسة هذا الملف فقط، ليبدعوا استراتيجيات وتكتيكات فعالة، وعلىٰ الناحية التطبيقية تتطلب تكنولوجيا تحاصر العنف ولا تشعله.

وإن كان المقاومون يضطرون أحيانـًا للعنف بنسبة 10٪، حين يواجهون قوىٰ غاشمة، وينفد صبرهم علىٰ التحمل؛ فإن هذا التخصص سيبدع لتتقلص مساحة العنف تدريجيًا ويتحقق حلم «**حرب اللاعنف**»، في الوصول إلىٰ المسار السلمي الخالص، بل وفي فرض لغتها علىٰ السلطة لتتعامل بأساليب مشابهة.

❊ ❊ ❊ ❊



الملاحــق

جيش المهرجين

ثورة المهرجين

فلسفة أخرىٰ للثورة يعرضها جيش المهرجين، المميز بطلته المرحة، والذي



يُظهر البون الشاسع بين هيئته وهيئة رجل القمع المختبيء خلف ملابسه الحديدية السوداء. أصبح لجيش المهرجين وجوداً كبيراً في التظاهرات العالمية سواء من ينتمون إلىٰ فكره وفلسفته، أو من يقلدون وسائله التي من شأنها أن تضفي جواً من البهجة علىٰ التظاهرات والأنشطة المختلفة للمقاومة.

إنه جيش من المهرجين المتخصصين، يفهمون فلسفة عمل المهرج بشكل جيد، وهو فن له جذور وفلسفة ممتدة. يعرف ممارسوه كيف يدخلون السرور إلىٰ القلوب، لكنهم في ذات الوقت علىٰ الصعيد السياسي، يرقصون في المساحة الفاصلة بين الفوضىٰ والنظام.



CIRCA هو اسم الجيش السري للمهرجين المتمردين، وهي مختصر The Clandestine Insurgent Rebel Clown Army، له وجود في بريطانيا وبلجيكا والدانمارك، وألمانيا والبرازيل وهولاندا.

وتعود هذه التسمية للاعتبارات التالية:

فهو جيش لأنه يخوض حرباً دائمة على الكوكب، حرب المال ضد الحياة، الربح ضد الكرامة، والتقدم ضد المستقبل، يصفون أنفسهم بالجيش لأن المعارك تتطلب التزاماً وانضباطاً وتضامناً. يقولون «**نحن جيش لأننا غاضبون وحيثما سقطت القنابل يجب أن ننجح في صناعة الضحك، والضحك يتطلب صدى**».



وهي مجموعات سرية من حيث أنها لا تحب الشهرة، كل فرد يمكن أن يكون أي واحد في الشارع، يقولون أنه بدون الأسماء أو الوجوه أو الأنوف الحقيقية، تتبين لنا أفكارنا وأحلامنا ورغباتنا، وهي الأهم من سيرنا الذاتية. هم يرفضون رقابة المجتمع عليهم، وتحكمهم فيهم، وتسجيل كل خطوة يقومون بها. ومن خلال إخفاء هوياتهم تكتسب أفعالهم قوة، لأن أحداً لا يتساءل من هو الشخص الذي خلف الحدث، وإنما ما هو الحدث؟! ومع طلاء الوجوه تكتسب المقاومة وجهاً ضحوكاً مرحاً، فتتجدد قوتها مجدداً.

وهم متمردون لأنهم يرون أن الأفكار يمكن تجاهلها، لكنها لا تُقمَع، وتمرد الخيال لا يمكن مقاومته، يعلمون أنهم كلما سقطوا نهضوا مجدداً مرة تلو أخرى، فالتاريخ لن يضيع جهودهم، وسيسجلها، كما يدركون أن التاريخ يمر بمنحنيات ولا يسير في خط مستقيم. ومفتاح التمرد هو عبقرية الارتجال لا كمال التخطيط.

هم متمردون لأنهم يحبون الحياة والسعادة أكثر من الثورة، لأنه لا توجد

ثورة كاملة، لكن المتمردين يبقون للأبد. هتافهم لن نتخلىٰ أبداً عن عصيان الذين يسيئون استخدام السلطة ويراكمون نفوذهم.

هم مهرجون لأنهم يتساءلون بعمق.. ما البديل لأن تعيش مهرجاً في هذا العالم الغبي؟! ففي داخل كل فرد مهرج خارج علىٰ القانون يحاول الفرار. ولا شيء يقوض شرعية السلطة الغاشمة مثل جعلها مادة للسخرية. ويسعون إلىٰ أن يعود التهريج من جديد كخطر علىٰ من يمارسون الظلم، يعود التهريج إلىٰ كل شارع. ليستعيد دوره في نقد وإحياء المجتمع. يفضحون الأكاذيب، ويبينون الحقائق.



هم وسطيون، بين العقل والجنون، الطاعة والعصيان، ليسوا هنا أو هناك، ولكنهم يتواجدون في أقوىٰ منطقة في كل مكان، هم في المساحة الواقعة بين الفوضىٰ والنظام. هم ليسوا كسائر الجيوش التي تقاتل أو تتراجع، هم لا يستريحون البتة، لأنهم يعرفون أن الراحة هي اللغة التي تتمكن السلطة من التعامل معها. المهرجون لا يعرفون الثنائية، سلاحهم الإرباك، دائماً لديهم خيار ثالث.



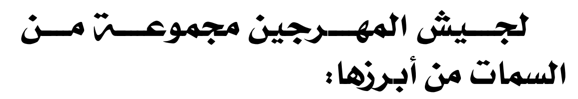
التدريب

ويخضع المهرجون الجدد للتدريب، من خلال تمارين متنوعة، بداية من اكتشاف كل فرد للمهرج الذي بداخله، وهو أمر يتطلب عملاً شاقاً لإخراج ذلك المهرج المختبيء خلف المظهر الجاد، فليست العبرة بأن تلقي نكتة، أو تطلق لعب نارية في الهواء، إنما أن تعيش بكل كيانك في مدينة المهرج. وأن تتدرب علىٰ القيام بالنشاط المناسب في الوقت المناسب بالطريقة المناسبة التي تجعل الناس تتفاعل معك. تماماً مثل فن إلقاء النكت.



كما يتدرب الجيش علىٰ تكتيكات العصيان المدني، وتنظيم المظاهرات، كيف يسيرون في مظاهرات منظمة، وكيف يتفرقون فجأة، كما يتعلمون كيف يتمتعون بالعفوية والمرح الذي يميز جميع أعمالهم.

سمات أساسية



لجيش المهرجين مجموعة من السمات من أبرزها:



خوض الحرب بالحب: فالمهرجون دائماً في حالة طواريء وهم يكافحون الظلم، ما يجعل من الصعب أن يعيشوا حياتهم دائماً في اكتئاب. هم يستمتعون بما يقومون به، ويعلمون أن مهمتهم هي

استخراج دولتهم من ركام الطواريء.

الثورة الممتعة: واحدة من أخطر ما تمر به الثورات أن تصبح مملة، لذلك فهم يبحثون دائماً عن التجديد والظهور كل مرة بوجه مختلف. بل ويعتبرون الضحك مؤشراً لانتصاراتهم، يرون أن أغلب الأعمال المسرحية لا تكتسب معنىٰ إلا بتلك الأفواج الهائلة من البشر التي تضحك. وبدون هذا الضحك لا تُفهم الدراما ككل، ولا تظهر بشاعة الظلم، ولا نستشعر المشهد المؤثر. المهرجون يصنعون مشاهد الضحك ليبرزوا المشاهد الأخرىٰ القاسية في الحياة.

المهرج سلاحه الضحك، وقد يضحك علىٰ شخص (**الخصم**) أو يضحك مع شخص (**تضامناً معه**). هي قوة الضحك المفرط التي تخلق فوضىٰ التفكير لدىٰ الخصم، فيرتعد من السخرية التي تناله.

طرح الأسئلة: فالمهرجون يطرحون أسئلتهم علىٰ الجمهور، من خلال أنشطتهم المتنوعة، يعيدون طرح السؤال كل مرة بشكل مختلف، من الذي من حقه أن يأمر؟ ومن من حقه أن يطيع أو يحتج؟

الانضباط: تنطبق علىٰ المهرجين نفس مواصفات جنود الجيش، فهم ليسوا فقط مجرد مجموعات تلطخ وجهها بالألوان، أو تضع فوق رؤوسها شعراً مستعاراً، أو تغير شكلها بأنوف ضخمة، هم مهرجون مدربون تدريباً عالياً، لديهم انضباط قوي، يعبرون عن أنفسهم كميليشا من الحمقىٰ، وكتيبة من المهرجين.

الارتجال: فالمهرج يعتمد علىٰ عاطفته ومشاعره، ويتمرن علىٰ التفاعل معهما بشكل كبير، وتعطيل هيمنة الجزء المنطقي في العقل، النصيحة الشهيرة هنا.. «**تعلم أن تكون غبياً**».. أن تحسن إدارة العلاقة بين شق العقل الأيسر

(**المنطق**) والأيمن (**العاطفة**). هذا ما يمنح المهرج أدوات الصدق والانفتاح وتفاعل الجمهور معه.

المهرج يتفاعل مع الكون كله، كل الكون بالنسبة له مكونات مترابطة يجمعها نظام، رجل، امرأة، عجوز، طفل، شجرة، سيارة، وهو يحاول صناعة اللوحة التي تجمع مكونات مختلفة بشكل مبهر.

مزج التهريج باللاعنف: فهم يعتمدون علىٰ فنون المهرج التراثية، ويدمجونها بوسائل اللاعنف، ووسائل التدخل المباشر، فيواجهون القمع ويوقفون الآليات. كما يسعون إلىٰ تطوير منهجية تجمع بين الروح والنشاط، فهناك صلة وثيقة بين الشارع والروح، فكلاهما ميدان الصراع. فهم يسعون إلىٰ أن يحدث النشاط تحولاً في الفرد نفسه، كما يرون أن تجديد أشكال النضال في الشارع تحدث تغييراً في الحركات وتكون مصدر إلهام لها.

الاعتماد علىٰ الألعاب: فالناس قد ترفض الأفكار، وقد ترفض النقاش الجاد، لكنها لا يسعها أن ترفض اللعب. ومن خلال اللعب يمكن التعبير عن كل المفاهيم، العدالة، الحرية، الخ.

استثمار كل رد فعل: فالمهرج لا يخاف الفشل، أو يرهب القمع، لأنه سيحوله إلىٰ مشهد مضحك مثير للسخرية، وربما تكون هذه هي فقرة الساحر، التي سيبدأ فيها العرض المبهر للجماهير. فبعد توقيف الشرطي له في الشارع، والبدء في تفتيشه أمام المارة؛



يكتشف أن جيوب من يتهمهم بالإرهاب مليئة بألعاب صغيرة لحيوانات وسيارات، وبط مطاطي، والتي تلقىٰ جميعها في الشارع أمام أعين المارة، عشرات من الضباط يبحثون عن جيش من المهرجين في مشهد غريب. وعند اعتقالهم قد يمثلون أنهم يتعثرون في الأرض، أو يلقون بأنفسهم في السيارة بشكل رياضي. علىٰ المهرجين قدرة علىٰ استثمار القمع في كل لحظة فيه حتىٰ أثناء الاعتقال. فالتهريج مستمر. وعادة ما تطلب الشرطة من المهرج أن يخرج من شخصية المهرج لتتمكن من الحديث معه.

وقد يقومون بتقليد الحركات والوقفات التي تقوم بها الشرطة في شكل ساخر، ويحملون أحياناً ألعاب تشبه وسائل الشرطة مثل الدروع ومسدسات المياه.







المهرجون هم جيش.. لكنه جيش سلاحه الضحك.. وهي قوة جديدة يمكن أن تولد طاقة تغيير مهولة، مصدر متجدد لطاقة تغيير لا ينضب، مثل طاقة الشمس التي يمكن أن تولد الكهرباء دون أن تنضب.

❊ ❊ ❊ ❊

كيفية التعامل مع الغاز المسيل للدموع

تستخدم المواد الكيميائية فيما يعرف باسم «**الغازات المسيلة للدموع**» في جميع بلدان العالم، حيث تحتاج قوات مكافحة الشغب إلىٰ السيطرة علىٰ الأوضاع والعودة إلىٰ الاستقرار الذي تزعزعه أنشطة المحتجين.

بداية يجب الانتباه إلىٰ أن الكثير من الوسائل التي تستخدمها قوات مكافحة الشغب ليست مصممة للإيلام الشديد، وإنما تهدف إلىٰ الإلهاء والتخويف.[1]

ولإبطال مفعولها يجب أولاً فهم طريقة عملها، والأضرار الناتجة عنها.[2] فالمعرفة هي أول خطوة نحو امتلاك القوة ووضع الأمور في نصابها. فالذي يوقف المتظاهرين هو خوفهم وعدم يقينهم بالغلبة والافتقار إلىٰ المعرفة، وليس بطش الوسيلة المستخدمة ضدهم، فلا يتعدىٰ رذاذ الفلفل والغاز المسيل للدموع سوىٰ أن يكونا وسيلتي تخويف وتهديد.

مواد الغازات

تعمل الغازات المسيلة للدموع علىٰ تهييج الأغشية المخاطية في العين والأنف والفم والرئتين، مما يسبب البكاء والعطس والسعال وصعوبة التنفس، عن طريق استخدام أربعة مواد شائعة، وهي رذاذ الفلفل الأسود، وثلاث مواد أخرىٰ تعرف برموز اللغة الانجليزية[3] **CR, CS, CN** .

---

1 uan P. de Torres, Vı´ctor Correa, Jacob Rosquete, Toma´s Febles, Riot control agents and their respiratory effects, Respiratory Medicine Extra (2006) 2, 13–15

2 ROY H. RENGSTORFFJO, HNP . PETRALI, MILLARD M. MERSHONA, ND VAN M. SIM, The Effect of the Riot Control Agent Dibenz(b,f)-l,QOxazepine (CR) in the Rabbit Eye' TOXICOLOGYAND APPLIEDPHARMACOLOGYM (1975), 34, 45-48

3 ROY H. RENGSTORFFJO, HNP . PETRALI, MILLARD M. MERSHONA, ND VAN M. SIM, The Effect of the Riot Control Agent Dibenz(b,f)-l,QOxazepine (CR) in the Rabbit Eye' TOXICOLOGYAND APPLIEDPHARMACOLOGYM (1975), 34, 45-48

الوقاية

ومن الناحية العملية فإن الوقاية دائماً خير من العلاج، ويمكن الوقاية من آثار الغازات المسيلة للدموع عن طريق:

* استخدام الأقنعة الواقية ضد الغازات، وهي أفضل وسيلة للوقاية من آثار المواد المسيلة للدموع.
* منديل أو قطعة قماش مبللة بالماء أو بالخل لحماية الأنف والفم، وهذه سرعان ماتفقد أثرها لدىٰ التعرض المكثف للمواد الكيميائية، ولذا يحتاج المتعرض للغازات إلىٰ عدد منها، كما يحتاج إلىٰ استخدام نظارات مثل نظارات السباحة لحماية العين.
* ارتداء قفازات نظيفة لمساعدة المصابين في التخلص من آثار القنابل المسيلة للدموع.
* غسل الوجه مسبقاً بالصابون المصنع من زيت الزيتون.

أثناء الإصابة

* يجب عدم الارتباك أو الخوف أو القلق حيث أن أضرار القنابل المسيلة للدموع وقتية ولا تدوم. والقلق والاضطراب يعمل علىٰ فتح مسام الجلد مما يسمح للمزيد من المواد الكيميائية بدخول الجسم.
* عدم لمس الوجه أو فرك العين لتجنب إعادة التلوث إلىٰ العين.
* عدم بلع هذه المواد بل المبالغة في بصقها حتىٰ تطرد المادة الكيميائية من الفم والأنف.
* الانطلاق إلىٰ مساحة من الهواء النقي وتجنب التعرض إلىٰ الأماكن الملوثة، أو البقاء في مهب الريح الذي يخمل الغازات، مع إبقاء العينين مفتوحتين واليدين مفرودتين حتىٰ يزيل الهواء المواد الكيميائية العالقة

بالملابس والجسم، والتنفس ببطء وبعمق.

* وضع القنبلة في براميل الرمل والمياه.

* وجود فرق إسعاف مجهزة بأدواتها بين المتظاهرين، بحيث لا يضع المتظاهر أي محلول علىٰ وجهه.

* إن لم توجد أدوات طبية قد يغسل الوجه بالخل أو المشروبات الغازية.

بعد الإصابة

* يجب تطهير الجروح بماء بارد، وتجنب الماء الساخن لجعل المسام مغلقة، حتىٰ لا تتسرب المواد الكيميائية إلىٰ الجلد.

* فرك مكان التلوث بقوة بصابون زيت الزيتون، واتباع ذلك بالكحول.

* الحرص علىٰ عدم انتقال المواد الكيميائية من الشعر إلىٰ الوجه عن طريق الاستحمام مثلاً.

* استبدال الملابس الملوثة بأخرىٰ نظيفة. والابتعاد عن الأماكن المغلقة حتىٰ لا تتلوث. فإن التلوث يلتصق بالأماكن المغلقة لأسابيع.

* وضع كل ما تلوث في حقيبة مفتوحة للهواء.

* إزالة عدسات العين اللاصقة بيدين نظيفتين، وطلب المساعدة في ذلك إذا لزم الأمر.

* يمكن للفريق المسعف أن يقوم بتحضير عدد من المواد لإسعاف المتعرضين للغازات، مثل بودرة محلول معالجة الجفاف عند الأطفال، وتذويبها في لتر ماء، ووضعها في زجاجات رشاشة، لاستخدامها لتطهير الفم بالمضمضة والبصق، والعين بالرش فيها من جهة الأنف في اتجاه الخد. ويمكن استعمال قطنة طبية مع هذا الرذاذ لمسح العين من ناحية الأنف إلىٰ ناحية الخد. كما يمكن أيضا استعمال مادة MALOX التي

يستعملها مرضىٰ قرحة المعدة بعد خلطها بمقدار مماثل من الماء واستخدامها بنفس الطريقة. ويمكن استخدام المراهم الطبية المعدة لمثل هذه الأمور.

❋ يجب علىٰ الفريق المسعف إدراك أن فتح العين سيؤدي إلىٰ زيادة الألم لحظياً قبل رشها، وعليه أن يُحَذر المصاب قبل بدء العلاج.

❋ بعد ذلك يمكن استخدام قطرة **TOPIRAMATE** للعناية بالعين، ويُمنع استخدامها للمصابين بمرض المياه الزرقاء، واذا اشتدت الإصابة فلابد من مراجعة طبيب العيون.

❋ الذهاب إلىٰ الطبيب إن لزم الأمر.

نحو المعرفة

كما تتفنن قوىٰ مكافحة الشغب في وسائلها، والتدريب عليها، وتوفير الغطاء الأخلاقي والقانوني والدولي لها؛ فإن علىٰ القوىٰ المدنية في المجتمع أن تتلقي دورات متخصصة محلياً وعالمياً في الحماية، والإسعافات الأولية، والتعرف علىٰ القوانين والتشريعات، والانضمام إلىٰ فرق عالمية مثل فريق «**براها الطبي**» الذي يتكون من نشطاء دوليين في واشنطن وسياتل ولوس أنجلوس ولندن وكندا، حيث يقدم هذا الفريق دورات تدريبية متخصصة في الإسعافات الأولية، والتعامل مع الأسلحة الكيميائية (**الغاز المسيل للدموع ورذاذ الفلفل**)، بالإضافة إلىٰ تقديم الرعاية الطبية في الشوارع أثناء التظاهرات. وشعارهم في ذلك «**لن يتمكن أحد من إخراج أي مقاوم من الشارع طالما أنه يود ذلك**».

❋ ❋ ❋ ❋

الثورة اليمنية في مواجهة القمع

كان من أبرز التحديات في الثورة اليمنية[1] كيفية التعامل مع القوىٰ القمعية فيها، لكن هذا التحدي ليس بجديد، الجديد هو كيف سيتعامل شعب مسلح بطبيعته مع التحدي القمعي. ما هو موقع السلاح من الثورة؟ وكيف سيستخدم؟! هل تكون النهاية حرب أهلية بامتياز، بين قبائل مؤيدة وأخرىٰ معارضة؟ أم أن هناك عقل جمعي واع يضبط حركة السلاح.

كان التحدي القمعي يتمثل في صنفين من قوات القمع:

* القوات النظامية.
* البلاطجة.

القوات النظامية

وتتكون من الجيش وخاصة قوات الحرس الجمهوري والأمن السياسي والأمن القومي والأمن المركزي، وكان التحدي في أن الجيش والجهاز الأمني عائلي بامتياز، وكانت القوات التي دُربت وسَّلحت أمريكيًا لمواجهة الإرهاب هي نفسها بذات السلاح التي كانت تقوم بمحاربة الثورة، وقتل المحتجين في الشارع.

* وكان يدير الحرس الجمهوري أحمد بن علي عبد الله صالح (**ابن الرئيس**).
* ويرأس أركان حرب الأمن المركزي يحيىٰ محمد عبد الله صالح (**ابن أخ الرئيس**).

1 هذا العرض مأخوذ عن حوار لأكاديمية التغيير مع الأستاذ جمال المليكي، المحلل الأبرز للثورة اليمنية.

* كان جهاز الأمن السياسي هو جهاز الدولة، بينما جهاز الأمن القومي هو جهاز أمن العائلة، وكان على قيادته عمار محمد عبد الله صالح، بن أخ الرئيس.

كانت القيادة عائلية بينما الجنود أفراداً عاديين من مختلف شرائح المجتمع اليمني. انشق البعض كأفراد والتحق بالساحات والبعض ترك الخدمة وذهب للبيت، وتم اعتقال عدد من الذي حاولوا الانشقاق.

كذلك كان هناك ما يسمى بالبلاطجة الذين يستأجرهم النظام من مناطق فقيرة، بحيث يتم تسليحهم ليقمعوا المحتجين في الساحات، وخاصة عندما يحاولون التحرك إلى مناطق جديدة.

ومن المهم الإشارة إلى أن الجيش اليمني لم يكن مؤسسة صلبة ذات كيان واحد، وهذا ما يفسر حادثة الانشقاق المشهورة التي قام بها أحد أبرز قيادات الجيش اليمني، حيث كان هناك جزء من الجيش اليمني (**أقدم تاريخياً من الحرس الجمهوري**)، بإسم الفرقة الأولى مدرع، وكانت تحت قيادة على محسن الأحمر، والذي يعتبر من أبرز القيادات الاجتماعية والعسكرية، وذو وجاهة لدى القبائل اليمنية، وكان على علاقة وطيدة بالمعارضة لاسيما الإسلاميين.

استراتيجيات مواجهة القمع:

كانت هناك استراتيجية يمكن التعرف عليها من نمط الحركة.

عدم استخدام السلاح في مواجهة القمع: كان هناك اتفاق يتم التأكيد عليه بشكل دائم من شباب الثورة، يقضي بعدم استخدام العنف في مواجهة قوات القمع، لأن النتائج ستكون كارثية في شعب يملك نحو سبعين مليون قطعة سلاح، وهو ما ينذر بحرب أهلية محققة.

محاصرة قوات القمع وتقليل تحركاتها: ولكن في المقابل تحملت القبائل اليمنية مسؤوليتها، بحيث أعلنت أغلبها أنها تقف في صف شباب الثورة، ثم قامت بمحاصرة بعض المعسكرات التي تقع في نطاقها، **وكان من أبرز ما تم محاصرته:**

* حصار لوائين عسكريين من أقوىٰ ألوية الحرس الجمهوري التي كان النظام يهدد بها المعتصمين في منطقة «**أرحب**»، فأعلنت القبائل بشكل صريح لقيادات الألوية أنكم في أمان مالم تتحركوا من مواقعكم باتجاه الساحات، وإذا حصل أي تحرك فسوف نواجهكم بكل ما أوتينا من قوة. فبدأت هذه الألوية بقصف قرىٰ «**أرحب**»، وتمت مواجهات **(محدودة)** بالفعل. وخلاصة المشهد أن القبائل نجحت في محاصرة هذه المكونات العسكرية ومنعتها من التحرك باتجاه الساحات طوال فترة الثورة.
* عندما أرادت ألوية من الحرس الجمهوري الزحف نحو «**حضرموت**»، تصدت قبائل «**نهم**» في ضواحي صنعاء لهذه القوة وألقىٰ البعض بنفسه أمام المدرعات والدبابات وتمكنوا من منع الألوية من التقدم.
* أعلنت كذلك قبائل منطقة "تعز" تأييدها لشباب الثورة، وأنها ستحمي الاعتصامات من أي اعتداءات، وحدثت بعض المواجهات المحدودة كذلك. والذي ميز هذه المواجهات أنها كانت محدودة ومسيطر عليها، وكانت تقوم بها مجموعات من خارج الاعتصامات بعد أن أعلنت أنها فقط تحمي الاعتصام وليس لها نية في حسم المشهد باستخدام السلاح. بل كانت تؤكد من خلال وسائل الإعلام أن المشهد لن يحسمه إلا الحراك السلمي. وكان هذا التوجه واضحاً حتىٰ من قبل الجيش المنضم للثورة، حيث قال علىٰ محسن الأحمر عندما أعلن انضمامه **(نعلن دعمنا**

وتأييدنا السلمي لثورة الشباب السلمية). فهو لم يخرج بجيشه مقاتلاً، وإنما مستجيباً للمسار السلمي وداعماً له.

تصعيد إعلامي: للوصول إلىٰ الطبقة الصامتة وفضح جرائم النظام، وهو ما أدىٰ إلىٰ تفكيك النظام من الداخل، كان من ملامحه انضمام علي محسن الأحمر بجزء كبير من الجيش إلىٰ الثورة. ثم توالىٰ الخروج من الحزب الحاكم، حيث انضم أعداد كبيرة من الدبلوماسيين إلىٰ الثورة، استقال بعضهم من سفارته، والبعض الآخر أعلن بقاءه في السفارة كممثلاً للشعب وليس النظام، وأثرت كل هذه التحولات علىٰ الروح المعنوية لمؤيدي النظام بشكل فارق.

أسباب تمكن القبائل من التصدي للجيش

* توفر أسلحة خفيفة ومتوسطة.
* تدريب عال لدىٰ أبناء القبائل. فكل أبناء القبائل مثلاً بما في ذلك النساء يجيدون استخدام الكلاشنكوف بمهارة عالية.
* وجود أعداد كبيرة وفي مواقع قيادية من حركة الإخوان المسلمين في الجيش.
* إدراك النظام لموازين القوة وصعوبة خوض حرب مع المجتمع.
* الوعي الشعبي الجمعي الذي لا ينكر الحراك بهذا الشكل في بيئة بطبيعتها مسلحة.

البلاطجة

بدأ البلاطجة تحركهم مبكراً بعد إعلان تنحي مبارك في مصر، حيث احتلوا ميدان التحرير في اليمن تحسباً لاعتصام الميدان الذي يحمل نفس رمزية الثورة المصرية. وبالفعل لم يعتصم الشعب اليمني في هذا الميدان واتجهوا إلىٰ

الاعتصام في شوارع أخرىٰ مقابل جامعة صنعاء، أطلق عليها لاحقـًا «**ساحة التغيير**».

وقد تعامل الثوار مع البلاطجة كالتالي:

* إمساكهم وتسليمهم للجيش المنضم للثورة.

* في مناطق محدودة مثل منطقة الحصباء في صنعاء نشبت مواجهة بين الشيخ صادق الأحمر بعد أن تم قصف بيته من قبل قوات نظامية مدعومة ببلاطجة. وكانت الاشتباكات محدودة في مكان محدد بعيداً عن الساحات ولم تتسع رقعتها. وسيطر الشيخ صادق علىٰ مبنىٰ وزارة الداخلية ومبنىٰ وكالة الأنباء اليمنية سبأ، ثم سلم المباني لاحقـًا بعد أحداث الثورة.

* ساهم التهديد أحيانـًا في تخويف البلاطجة، بسبب إعلان الجيش المنضم للثورة والقبائل أنها مستعدة لمواجهتهم.

لم تخل الأحداث من أعمال عنف محدودة قام بها أفراد غاضبين، خاصة بعد محرقة ساحة الحرية بمدينة «**تعز**»، التي كانت في 29 مايو عام 2011، حيث قُتل الشباب العزل وأُحرقت خيامهم، وتم الاعتداء علىٰ الجرحىٰ في المستشفىٰ الميداني بصورة همجية.[1]

لكن المسيرة العامة للثورة اليمنية كانت سلمية، محمية مجتمعيـًا من القبيلة والجيش المنضم للثورة، لم تكن أعمالها العنيفة هجومية بقدر ما كانت دفاعية تحمي راية الكفاح السلمي من السقوط.

كيف تم التحكم في السلاح؟

* وجود أعراف قبلية تقنن استخدام السلاح.

---

1 مسيرة الحياة.. الضوء القادم من تعز، د. ألفت الدبعي، مجلس شباب الثورة الشعبية، ص7.

❊ وجود قيادة (**القبيلة**) مسموعة الكلمة لا يشذ عنها أحد.

❊ وجود توازن إلىٰ حد كبير في موازين القوىٰ من حيث التسليح والتدريب.

❊ تواجد حركة الإخوان المسلمين في الجيش، سواء تواجد عناصر أو علاقات قوية بسبب العلاقات القبلية.

❊ طبيعة العلاقات القبلية والاجتماعية تخفف الكثافة الأيديولوجية، مما قلل من حدة الصراع أيديولوجيًا.

❊ وجود خبرة مسبقة في الحروب واستخدام السلاح، ووعي بآثاره وتبعاته.

إن استنساخ استراتيجية الثورة اليمنية في التعامل مع القمع أمر صعب في دول لا تتمتع بيئاتها بهذا الشكل القبلي الذي تتضح فيه مسئوليات الدفاع والحماية، وحيث توجد أعراف وتقاليد تحكم استخدام السلاح. ولكنها تجربة ملهمة في مسيرة شعب يمتلك هذا القدر من السلاح، قرر أن يحاصر العنف، لا أن يشعله، في رغبة مؤكدة للحفاظ علىٰ المسار اللاعنيف. ربما لأنه يعي جيداً عواقب العنف. لقد حاصروا المسار العنيف عن وعي وقدرة.. لا عن جهل وقلة حيلة.

❊ ❊ ❊ ❊



الدليل الإرشادي لقوات مكافحة الشغب

نستعرض مجموعة من القواعد والإرشادات التي ذكرها الدليل العالمي لمكافحة الشغب نقلاً عن موقع منظمة الأمن العالمية[1]، **وقد اخترنا مجموعة من القواعد وهي**:

- قواعد استعمال القوة
- قواعد الاشتباك
- الأسلحة غير المميتة
- التدريب
- التكتيكات
- الحشود المتحركة
- سلوك المحتشدين
- التكتيكات العنيفة
- أدوات مكافحة الشغب

قواعد استعمال القوة

قاعدة – 1:

عندما يكون استخدام القوة ضروريًا، يجب أن تستخدم وفقًا للأولويات المذكورة في الأسفل وفي أدنىٰ الحدود، وعند الضرورة القصوىٰ، **وتكون أولويات استعمال القوة كالتالىٰ**:-

أولاً: الإقناع اللفظىٰ.

ثانيًا: الترهيب باستعراض القوة.

ثالثًا: القنابل المسيلة للدموع.

1http://www.globalsecurity.org/military/library/policy/army/fm/19-15/CH8.htm

رابعـًا: استخدام القوة المادية (**ماعدا الأسلحة النارية**).

خامسـًا: استعراض للقوة المميتة.

سادسـًا: استخدام القوة المميتة.

قاعدة2:

تقـوم القيـادة العامـة بتخويـل القيـادة الميدانيـة باسـتخدام الأسـلحة الناريـة وأدوات مكافحـة الـشغب أثنـاء الاضـطرابات، وتـضع قواعـد اسـتخدام هـذه الأدوات، وتحدد أنواع الأسلحة التي يجب استعمالها.

القوة المميتة

قاعدة3:

تسبب القوة المفرطة إصابات خطيـرة وقـد تـؤدي إلىٰ المـوت، وهـي بمثابـة قوة تدميرية تستعمل في المواقف الشديدة ضد شخص يـستعمل الـسلاح أو أيـة أداة مميتة مثلاً.

ويسمح باستخدام هذا النوع من القوة عند توافر الأسباب التالية:-

- الدفاع عن النفس أو الدفاع عن الآخرين: في حالة تيقن الشرطة من أنهـا أو الآخرين سيتعرضون لخطر مميت أو إصابات جسدية خطيرة.
- حماية الممتلكات التىٰ تتعلـق بـالأمن القـومىٰ: كحمايـة هـذه الممتلكـات ومنع سرقتها أو تخريبها.
- حماية الممتلكات ذات الطبيعـة الخطـرة علىٰ الآخـرين: كمحاولـة سرقـة مخازن الأسلحة والذخائر، مما قد يشكل خطراً علىٰ الآخرين.
- الجرائم الخطرة ضد الأشخاص: مثل العنف أو التهديد بالقتل.
- الاعتقال والتوقيف: لشخص متهم باستخدام الأسـلحة الناريـة في مـوقفين مختلفين علىٰ الأقل.

– الفرار: كفرار الأفراد الذين يمثلون خطراً علىٰ أمن الأفراد والمجتمع.

قاعدة4:

يتأكد القائد الميداني من استيعاب الجنود وفهمهم لقواعد الاشتباك، ومصطلحات استخدام القوة، والتوقف، وتحريم استعمال العنف الجسدىٰ.

قواعد الاشتباك

قاعدة5:

يعمل قائدو القوات الميدانية علىٰ تأمين سلامة القوات، والموازنة بين ضرورة إتمام المهمة الموكلة إليهم والسلامة العامة للقوات الميدانية.

قاعدة6:

يؤثر الوضع السياسىٰ علىٰ خطط الاشتباك مع المتظاهرين، وعلىٰ القيادة العليا ترجيح إحدىٰ الكفتين، إما تأمين سلامة القوات أو إتمام المهمة بغض النظر عن المخاطر التي ستتعرض لها القوة الميدانية.

قاعدة7:

لابد أن يتم شرح القواعد التي يستعملها الجنود في الاشتباك مع المتظاهرين، ولابد من التأكد من فهم الجنود الدقيق لهذه القواعد، وتدربهم عليها بدقة متناهية، بما لايترك أي مجال للخطأ مهما كان بسيطاً، لما في ذلك من نتائج يمكن أن تضخم وتستغل إعلامياً.

الأسلحة غير المميتة

قاعدة8:

تعرف دائرة الدفاع الأمريكية الأسلحة غير المميتة علىٰ أنها الأسلحة التي صممت لشل حركة شخص ما لمنع إلحاق أي إصابات مميتة بالأشخاص، أو أضرار دائمة بالأشخاص أو المباني أو البيئة.

قاعدة9:

صممت هذه الأسلحة بهدف توسيع مدى الخيارات المتاحة للقادة الميدانيين لإتمام الأهداف التالية:

- تأجيل أومنع الأعمال العدائية.
- منع تصاعد الأحداث وخروجها عن السيطرة.
- حماية قوات الأمن.
- تعطيل الأجهزة والتكتيكات التي يستخدمها المشاغبون.

قاعدة10:

ممنوع منعـًا باتـًا استعمال القوة المميتة لدى الاشتباك، ولايتم نشر القوات دون التأكد من توفير تغطية مناسبة تتيح لهم القدرة على حماية أنفسهم ضد أي تهديد قاتل.

قاعدة11:

تملك الشرطة خيارات متعددة لمكافحة الشغب تساعدها على إنجاز المهمة، **مع تجنب الإصابات المميتة مثل**:-

- عملاء مكافحة الشغب.
- القنابل المسيلة للدموع.
- رذاذ الفلفل الملهب للعيون.
- الكلاب البوليسية المدربة.
- هروات الشرطة العسكرية.

قاعدة12:

على القادة الميدانيين والممثلين الإعلاميين التصدي للإعلام وإعطاء الإجابات اللازمة لأسئلة الصحافة، وعليهم أن يبينوا بوضوح أن وجود

الأسلحة غير المميتة لا يعني بأي حال إلغاء خيار استخدام الأسلحة المميتة.

المميزات (الأسلحة غير المميتة)

قاعدة13:

توفر الأسلحة غير المميتة مميزات للقوات من أهمها:-

- انخفاض نسبة القتلى أو الإصابات الخطرة.
- رد سريع للشغب.
- بديل يقي تصعيد الموقف الى حد استعمال القوة المميتة.

قاعدة14:

الأسلحة غير المميتة لا تستفز الآخرين، ولكن عند فشلها في كبح المتظاهريين يتم استعمال القوة المميتة والتي ينتج عنها بعض الردود السلبية للمتظاهريين.

التدريب

قاعدة15:

التدريب يوفر الوقت ويضمن إتمام المهمة، لذلك فعلى القادة والجنود على كل المستويات التدريب الجيد على استعمال الأسلحة غير المميتة في البيئات المختلفة، والإلمام ب(**متى وكيف**) يكون استخدامها فعال.

قاعدة16:

تتميز الأسلحة غير المميتة بفعالية كبيرة وعادة ما تكون أقرب لتهدئة الأوضاع على المدى البعيد.

قاعدة17:

المواقف التي لا تستعمل فيها الأسلحة غير المميتة:-

- المواقف التي تستدعي استعمال القوة المميتة.
- المواقف التي تتعرض فيها القوات لخطر مؤكد.

- وفى الأغلب يتم عمل تغطية لها بالقوة المميتة.

التكتيكات

قاعدة18:

تتشكل فرق مكافحة الشغب فى وقت قصير حسب نوع المكافحة، ولايحمل أفراد التشكيل البنادق أو الأدوات القاتلة التى توفر حماية لهذه التشكيلات.

قاعدة19:

يستخدم القناصون أثناء الاشتباكات غير المميتة للأغراض التالية:-

- عمل تغطية لتشكيلات مكافحة الشغب.
- عمل مسح شامل للمحتشدين والتأكد من وجود أسلحة.
- إطلاق النار عند الضرورة بما يتناسب مع التعليمات الأمنية.

الحشود المتحركة

قاعدة20:

الحشود المتحركة تأتى على صورتين:-

- صورة إضرابات.
- صورة فوضى.

ولابد لمن يصدرون الأوامر الأخذ فى الاعتبار كيفية السيطرة على هذه الحشود وخاصة الحشود المتحركة فى الأماكن ذات الكثافة السكانية العالية.

قاعدة21:

لا تشكل الحشود المنظمة والمرتبة أى مشكلة مع النظام، ولكن عندما تنتهك الحشود القانون أو تهدد الممتلكات تبدأ المشاكل مع النظام.

سلوك المحتشدين

قاعدة22:

قيادة الحشود هى التى تمتلك آليات التأثير فى سلوك المحتشدين لعمليات التحريض غير القانوني.

قاعدة23:

يتأثر سلوك الحشد بالخوف أو الانفعال العدائى، هذا الشعور كاف لدفع المحتشدين إلى أعمال عشوائية تزيد من احتمالية حدوث العنف.

وينتج الخوف أثناء الاضطرابات فى الاحوال الآتية:-

- اقتراب الخطر من الحشود.
- صعوبة التفرق بسرعة عند التعرض لأدوات مكافحة الشغب.
- عندما تكون طرق الهروب محدودة ومزدحمة ومقفولة.

قاعدة24:

من المحتمل أن تتأثر قوات مكافحة الشغب عاطفياً أثناء المواجهة بسلوك المحتشدين، لذلك من الضرورى التدريب الفردى والجماعى على كبح هذه العواطف. فالتدريب القاصى والصارم يخلق قيادة صارمة وفعالة.

تكتيكات الحشود

قاعدة25:

تستعمل الحشود فى الإضطرابات العديد من التكتيكات سابقة التخطيط منها تكتيكات لمقاومة السيطرة عليها من قبل قوات المكافحة وتكتيكات لإنجاز الأهداف. وهذه التكتيكات قد تكون عنيفة أو غير عنيفة.

التكتيكات غير العنيفة

قاعدة26:

بعض أنواع التكتيكات غير العنيفة:-

- رفض العمل أو الأكل.

- المشاركة في العمل بطريقة بطيئة.
- إتلاف أو تدمير الممتلكات.
- بناء المتاريس.
- خلق حوار مع قوات المكافحة لصرف انتباهم أو كسب تعاطفهم.
- استخدام الإساءة اللفظية مثل (**التوبيخ، السخرية، التحقير**).

الغرض من هذه الأعمال هو استفزاز السلطة للرد بطريقة وحشية يمكن استثمارها لاحقًا.

قاعدة 27:

يمكن استثمار استخدام النساء والأطفال وكبار السن في مقدمة المظاهرة عند تدخل قوات المكافحة بتحريض عامة الناس ضد النظام، وإحراج قوات المكافحة من خلال الصحافة، بل ربما تلجأ الحشود إلى عمل حاجز بشري لإعاقة السير بالجلوس على الأرض في ممرات المشاة في التجمعات السكنية مما يصعب من عملية تفريقهم وإزالتهم، لذلك تضطر القوات الى استعمال القوة المميتة.

قاعدة 28:

التكتيكات غيرالعنيفة تشمل الأنواع الآتية:-

- **المظاهرات**: وهي أعمال غير عنيفة تقوم بها مجموعة من الناس بسبب المشاكل الحياتية المختلفة في الصراع مع السلطة.
- **الإضراب عن العمل أو الطعام**: يستخدمه الأفراد في شكل جماعي أو فردي كوسيلة للضغط على النظام، أو محاولة لكسب تنازلات منه، هذا النوع من الإضرابات تسهل السيطرة عليه عن طريق عزل وفصل المضربين عن الآخرين.

- **العمل ببطأ**: يستخدم لتأخير اكتمال المشاريع، وبهذه الوسيلة يتم إرهاق النظام. ويمكن السيطرة علي هذا النوع بعزل وفصل المضربين عن الآخرين.
- **إتلاف وتدمير الممتلكات**: يستخدم لإنهاك النظام، أو لأغراض تكتيكية أخرىٰ.
- **الإضرابات العشوائية**: تبدأ باعمال فردية مثل كل الإضرابات ثم تتطور، ويجب السيطرة علىٰ هذا النوع بسرعة.

التكتيكات العنيفة

قاعدة 29:

وتشمل التكتيكات العنيفة:-

- الهجوم علىٰ (**المعتقلين – الحراس – الممتلكات الحكومية**).
- إشعال الحرائق.
- استعمال القنابل.

وقد ترتكب أعمال العنف بطريقة عشوائية أو بطريقة مخططة، وفىٰ هذه الحالة فان المحتشدين يلجأون إلىٰ إخفاء الأسلحة أو الأدوات المخربة.

قاعدة 30:

قد تلجأ الحشود إلىٰ بناء الحواجز لعرقلة السير أو منع قوات المكافحة من دخول مكان الإضراب، وتكون هذه الحواجز عبارة عن (**سيارات وأشجار وأثاث وسياجات**) .

قاعدة 31:

يمكن أن تتعرض قوات مكافحة الشغب للاعتداء من قبل المتظاهريين عن طريق:-

- القذف بـ (**الفواكه الفاسدة أو الخضروات أو الصخور أو الطوب أو الزجاجات أو القنابل اليدوية**).

- الاستيلاء على السيارت وقيادتها فى الاتجاه المضاد لناقلات الجنود بهدف بعثرة تشكيلات قوات مكافحة الشغب.
- إطلاق النار لتراجع قوات المكافحة.
- تدمير الممتلكات.

لذلك يتم تقسيم أنواع الشغب إلى:

- الشغب المنظم: ويشبه التشكيلات العسكرية والتى لها القدرة على تطوير الخطط والتكتيكات، **وتقوم عمليات الشغب بالتحريض على:**
  - o **الهروب:** محاولة الهروب تكون فردية أو على هيئة مجموعات صغيرة أو محاولة هروب تكتلات كبيرة.
  - o **الأغراض السياسية:** مثل الدعاية أو إحراج النظام لاستخدام القوة أولتخويف الأشخاص والمجموعات التابعة للسلطة.
  - o احتجاجات المظالم: لا يكون هذا النوع عنيف ومدمر فى الظروف العادية، ولكن ربما تتغير الظروف ويستخدم العنف كخطوة لإضعاف النظام .
  - o **الأغراض التكتيكية:** مثل إلهاء النظام عن أداء مهامه.
- عمليات الشغب الغير منظمة: وهى عمليات عفوية، ويمكن لقادة الشغب تحويلها إلى شغب أو إضراب منظم، أو إلى أى نوع من أنواع الشغب السابقة.
- الشغب أو الاضراب المتعدد: هى عمليات شغب أو اضطراب فى عدة أماكن متزامنة، وعلى قائد قوات المكافحة السيطرة على أكثر التجمعات شغباً وإثارة، ويبقى على اتصال مباشر بفرق المكافحة الأخرى لاحتواء التجمعات الأخرى.

سجل الأحداث

قاعدة32:

يتم استخدام سجل الأحداث لإعداد التقارير التى ترفع إلى القيادة العليا ويتضمن الآتى:-

- وقت الحادث والجهة.
- وقت تطويق الحادث ومن أصدر الأمر.
- وقت تنبيه القوات للحشود.
- وقت إصدار الأمر بالتطويق.
- وقت دخول القوات إلىٰ حيز التطويق.
- الظروف المناخية لتحديد نوعية وكمية العتاد المناسب.
- عدد (**المصابين/ القتلىٰ**) من القوات، ووصف كيفية (**الإصابة / القتل**)، والرعاية الطبية المقدمة.
- عدد الأشخاص العاديين (**المصابيين/ القتلىٰ**)، ووصف كيفية (**الإصابة/ القتل**)، والرعاية الطبية المقدمة.
- وقت انتهاء العملية وإخلاء القوات للمنطقة.

تدابير مكافحة الشغب

قاعدة33:

يقوم القائد بالتدريب المستمر علىٰ كيفية التعامل مع المعتقلين بسرعة وعلىٰ امتلاك الخطط الجيدة التىٰ تقلل من تصعيد الموقف وهذا يتطلب دراسة مسبقة **لكل من**:-

- تضاريس المكان.
- أنواع المنشآت.

- عدد المعتقلين.

- حجم القوات.

قاعدة34:

تقوم قوات مكافحة الشغب باستعادة النظام بأقل عدد من القوات معتمدة على الدور النفسي - الذى له تأثير كبير فى استعادة النظام، أو باستعمال أدوات مكافحة الشغب والأسلحة غير المميتة لتعجيز المشاغبين.

قاعدة35:

توضع خطة لكيفية استعمال أدوات مكافحة الشغب قبل الحدث ويتم استخدامها فى حالات الطوارئ.

التدريب

قاعدة36:

تدريب قوات مكافحة الشغب يتم على هيئة خمسة تشكيلات (**تشكيل الصف، تشكيل الوتد، تشكيل المستوى، تشكيل المعين، والتشكيل الدائرى) ويحتوى برنامج التدريب على التالى:-**

- أساسيات قانون أرض الصراع، وخاصة احتياطات اجتماع جنيف.

- تقنيات الإشراف والعلاقات الإنسانية.

- طرق الدفاع الذاتى.

- القوة المستعملة (**عصا مكافحة الشغب، البندقية بحربة أو بدون حربة، والأماكن القاتلة فى الجسم التى لابد أن تتفادها عند استخدامها**).

- تعريف الأسلحة وكفاءتها.

- العلاقات العامة.

- المساعدة الابتدائية.
- خطط الطوارئ.
- الأنظمة المتكاملة.
- تقنيات المخابرات ومكافحة التجسس.
- التقاليد الثقافية، العادات، الممارسات الدينية.
- التدريب البسيط على مخاطبة المعتقلين.
- استعمال أدوات قوات مكافحة الشغب والطرق المختلفة لتوزيعها.
- استعمال الأسلحة غير القاتلة.

قاعدة37:

الأفراد المختارين للمهام يتم تدريبهم جيداً على استعمال الأسلحة المميتة وطرق مكافحة التجسس والإلمام التام بما جاء في توصيات اجتماعات جنيف فيما يخص (استعمال الأسلحة المميتة ومكافحة التجسس).

التخطيط

قاعدة38:

التخطيط شئ مهم وأساسي لإخماد عمليات الشغب، ولابد أن تكون عملية التخطيط مرنة لكي تلائم الموقف الجديد.

قاعدة39:

يتم أخذ العوامل الآتية فى الاعتبار أثناء عملية التخطيط :-

- أسباب الاضطراب.
- طبيعة الاضطراب.
- مدى توسع الاضطراب.
- حيازة الحشود على أسلحة مميتة.

- تحليل هذه العوامل يحدد اختيار الأدوات والعتاد اللازم لقوات المكافحة.

قاعدة40:

تشمل الخطط أيضاً كيفية حماية أدوات مكافحة الشغب خلال التحركات وعند الاستعمال. وعند استخدام عدد كبير من الأدوات فمن الضرورى إجبار الحشود على الانقسام إلى مجموعات صغيرة.

قاعدة41:

تشمل الخطط أيضاً كيفية السيطرة على حركة الأسلحة المميتة داخل الحشود فى الاتجاه المخطط له، وعلى كيفية تغطية أدوات المكافحة لأكبر مساحة من الحشد للحصول على النتائج المرغوبة.

قاعدة42:

التأكد من وجود خطط طارئة للتعامل مع الاضطرابات المتعددة وكيفية إخمادها، ويتم البدأ بإخماد الشغب الأكبر ثم يتم الانتقال الى الذى يليه.

قاعدة43:

تشمل الخطط أيضاً تقرير الإصابات الخطرة والذى يشمل بعض الإجراءات التى تبدأ بسجل الأحداث الذى يستخدم فى إعداد التقرير النهائى الذى يرفع إلى القيادة العليا.

اجتماع المخابرات

قاعدة44:

تشمل عملية التخطيط المسبق على محاضر الاجتماعات وتحديث الرسومات الخاصة بالتجمعات وتقدير للقوة المهددة جراء استخدام الأسلحة المميتة.

أدوات مكافحة الشغب

قاعدة45:

يوجد نوعان من أدوات قمع الشغب والاضطرابات وهى:-

- القنابل المسيلة للدموع .
- رذاذ الفلفل الملهب للعيون.

القنابل المسيلة للدموع

قاعدة46:

التركيزات الصغيرة منها تسبب (**تأثيرات على العين والجهاز التنفسى فى غضون ثوان معدودة – حرقان فى العين – غزارة فى الدموع – السعال- ضيق التنفس- عدم القدرة على فتح العين- الإحساس بالتشويك فى الأماكن الرطبة من الجلد- احتقان فى الجيوب الأنفية**)، أما التركيزات العالية منها تسبب (**الغثيان- القئ خاصة عند تناول الطعام**).

وتأثيراتها تبقى من (**5 الى10 دقائق**) بعد الانصراف من المكان الملوث إلى مكان نظيف وأيضاً تجعل الأفراد غير قادرين على عمليات التنسيق وتوحيد الأعمال.

قاعدة47:

من المساعدات التى تقدم للضحايا المصابين (ترحيلهم إلى مناطق غير ملوثة – توجيهم إلى الرياح – تحذيرهم من عدم فرك العين – التواجد فى مكان منفصل – الاستحمام بمياه باردة لمده تتراوح من (**3 الى 5 دقائق**) وبعد ذلك يواصل استحمامه بطريقة عادية).

بالنسبة إلى الأجزاء المصابة من الجسد يتم غسلها بكمية كبيرة من المياه الباردة والتى تحتوى على (5 ٪ **من محلول كبريتات الصوديوم**) ويتحاشى

غسل منطقة العين، وبعد ذلك يمكن غسل الجسد بالمياه. (**تأخذ نفس النسبة من كربونات الصوديوم أو سائل البيكربونات الصوديوم كبديل لسائل كبريتات الصوديوم)** .

قاعدة48:

القنابل المسيلة للدموع تستخدم بوسائل متنوعة علىٰ هيئة (**قنابل- دخان – قذيفة 37 مم – ضباب كثيف)**، ويزداد تأثيرها عند انعدام أو هدوء الرياح، بل وتستمر لفترة طويلة إذا كانت القنابل المسيلة من النوع، كما يزداد تأثيرها بل ويتوسع عند سقوط الأمطار.

رذاذ الفلفل الملهب للعيون

قاعدة49:

يعتبر رذاذ الفلفل الملهب للعيون بديلاً فعالاً إذا استخدم بطريقة صحيحة، وباستخدامه يمكن السيطرة علىٰ أغلب أعمال العنف المخالفة للقانون.

ملاحظة (**هناك بعض قوانين الدول ربما تمنع أو تحد من استعمال أية مواد كيميائية مثل رذاذ الفلفل الملهب للعيون)**.

قاعدة50:

رذاذ الفلفل الملهب للعيون عبارة عن منتج عضوىٰ وطبيعىٰ ومهيج قوىٰ يفوق القنابل المسيلة للدموع بـ750 مرة فىٰ قوة التأثير، ويسبب (**انتفاخ العين بسرعة فور استنشاقه - يصيب بحرقان فىٰ مجال التنفس - ضيق تنفس ولا يوقف الجهاز التنفسىٰ - اضطراب عقلىٰ كالشخص المخدر أو السكران)**.

قاعدة51:

يسبب رذاذ الفلفل الملهب للعيون (**حرقان شديد فىٰ الجلد- ضيق فىٰ الشعيرات الدموية- تضخم فىٰ جفن العين- حرقان وبقاء العين مغلقة- سعال**

غير متحكم فيه- خرس مؤقت- صعوبة فى التنفس، فقدان القوة والسيطرة المؤقتة- تغير فى لون الجلد من الأحمر الخفيف الى الأحمر الساطع).

تأثيره يستمر من (**30 إلى40 دقيقة**) بعد الرحيل إلى منطقة غير ملوثة وتعتبر كل هذه التأثيرات مؤقتة.

قاعدة52:

تتوفر خدمات طبية مساعدة للأشخاص الذين يعانون من أمراض فى الجهاز التنفسى أو القلب عند استخدام رذاذ الفلفل الملهب للعيون ضد المتظاهريين وذلك لحمايتهم من تفاقم حالاتهم أو الموت.

قاعدة53:

عيوب رذاذ الفلفل الملهب للعيون هى:-

- حدوث انخفاض فى ضغط القذيفة .
- قد يستخدمها المتظاهرون ضد قوات المكافحة.
- يعطى مناعة للأشخاص الذين يتعاملون معه باستمرار.
- الأمطار تقلل من التأثيرات ويحتاج الى مدة أطول لرشه.
- الرياح الشديدة تقلل من التأثيرات وينتج عنها تلوث قوات المكافحة.

نشر المواد الكيماوية المثيرة(المهيجة)

قاعدة54:

هناك خمسة طرق لنشر المواد الكيماوية المثيرة وهى (**المتفجرات النارية- الانفجار- السائل المضغوط -الضباب- القنابل اليدوية**).

المتفجرات النارية

قاعدة55:

توضع المادة المهيجة فى قذيفة مشتعلة وعندما تنفجر القذيفة تنتقل المادة إلى الهواء فى جزيئات دخان.

وعيوب هذه الطريقة هي:-

- قد تسبب اندلاع حرائق.
- تنتشر ببطء وتستغرق زمناً .
- مدة الحرق من 40 إلى 45 ثانية .
- يمكن أن تلقى بعيداً أثناء فترة الحرق.

الانفجار

قاعدة56:

يوضع مسحوق المادة المهيجة داخل قذيفة مدببة ومع أصغر انفجار، تنشق القذيفة وتطرد المادة إلى الهواء. وهذه الطريقة لها مميزات وعيوب:

مميزاتها

- لا تحدث حرائق.
- لا يمكن إعادتها.
- سريعة الانتشار.
- سريعة التأثير وسهلة الحمل والتحكم.

عيوبها

- تتطاير مع الانفجار شظايا.
- الصمام الرئيسي قد ينفصل عن القذيفة.
- نسبة انتشاره من 50 الى 90 ٪.
- اتجاه السحب الدخانية تعتمد على الأجزاء المتفجرة.

السائل المضغوط

قاعدة57:

تعلق المادة المهيجة في السائل الخامل الموجود بمؤخرة القذيفة. عندما

تضرب القذيفة وتخترف المبنىٰ، تنفجر المؤخرة وتنتشر المادة علىٰ هيئة ضباب وتستعمل قبل الدخول الىٰ المبنىٰ وهذه الطريقة لها مميزات وعيوب:-

مميزاتها

- سهلة الحمل والتحكم.
- يمكن أن تستعمل مع الذخيرة (40 مم،37مم، 12 جادج) .
- سريعة الانتشار.
- استعمالها مضمون ولكن تعتمد علىٰ الاطلاق .

عيوبها

- تسبب أضراراً عند إطلاقها فىٰ مكان محكم.
- قد تهدم المباني.

الضباب

قاعدة58:

تعلق المادة المهيجة فىٰ المحلول الضبابىٰ وتنتشر وتستخدم فىٰ تفريق الحشود. وهذه الطريقة لها مميزات وعيوب:-

مميزاتها

- القدرة علىٰ تغطية(100000) قدم مكعب للأماكن المغلقة فىٰ 26 ثانية.
- سريعة الانتشار.
- لها قدرات كبيرة.

عيوبها

- يسبب الضجيج فىٰ الأماكن الحساسة.
- ثقيل الحركة ولا يوصىٰ به فىٰ العمليات التكتيكية.

القنابل المتعددة

قاعدة59:

القنابل المتعددة يمكن أن تقذف باليد أو من بندقية. وفترة تعديل الصمام تأخذ 2 إلى 5 ثوانى. المادة المهيجة توضع داخل جزء اسطوانى أسفل القنبلة وهو الذى يحدث الانفجار.

تحذير (يمكن أن تصاب اليد بأذى إذا لم يتم القذف بطريقة صحيحة)

المواقع

قاعدة60:

تزود تشكيلات مكافحة الشغب بالعصا والبنادق والمسدسات التى تثير الرعب عند المشاغبين، ولكنها فى نفس الوقت تعيق حركة الجنود بسلاسة.

العصا

قاعدة61:

للإمساك جيداً بالعصا لابد من اتباع الخطوات التالية:-

الخطوة الأولى: يلف الخيط الجلدى للعصى حول إبهام اليد اليمنى.

الخطوة الثانية: الإمساك بالعصا بحيث يتدلى الخيط الجلدي خلف اليد.

الخطوة الثالثة: إمساك مقبض العصا بإحكام بحيث يعتصر الخيط الجلدى اليد.

قاعدة62:

يوجد ثلاثة مواضع تستخدم فيها عصى المكافحة وهى:-

- **موضع الاستعراض:** وضع الاستعداد تكون فيه القدمين مفتوحتين بعرض الكتف، وكلتا الذراعين تتدليان بشكل طبيعى فى مقدمة الجسد. وتكون العصا فى وضع أفقى، وتتجه راحة اليد اليسرى إلى خارج الجسم، وتتجه

راحة اليد اليمنىٰ إلىٰ داخل الجسم، وكلتا اليدين تبعدان عن نهايتىٰ العصا 6 بوصة، وهو موضع للاستعراضات العسكرية.

- **موضع المنافذ**: وضع الاستعداد تكون فيه اليد اليمنىٰ والساعد الأيمن موازيين للأرض واليد اليسرىٰ مفرودة بشكل أفقىٰ فىٰ مستوىٰ الكتف الأيسر، وتقسم نهاية العصا الزاوية بين العنق والكتف الأيسر، وتبعد العصا 8 بوصة عن الجسم، وتبقىٰ القدمان مفتوحتين بعرض الكتف وهذا الوضع مناسب جداً للدفاع الفردىٰ.
- **موضع الحراسة**: وضع الاستعداد تكون فيه القدم اليسرىٰ متقدمة علىٰ القدم اليمنىٰ مع ميل خفيف للركبتين، وتوضع اليد اليمنىٰ علىٰ مقبض العصا فىٰ مقابلة الفخذ، بحيث يكون الجسم مائلاً قليلاً إلىٰ الخصر، ويميل الذراع الأيسر مع الساعد الأيسر لحماية منطقة الحلق.

لا تحافظ علىٰ هذا الوضع لفترة طويلة لأنه متعب.

ويستطيع الجنود تنفيذ بعض الأشكال من موضع الحراسة:-

- قوة دفع قصيرة: تقدم إلىٰ الأمام بالقدم اليسرىٰ مع الإحكام جيداً علىٰ العصا لاستخدامها لهدف غير محصن وسهل من جسم الخصم، وبعد ذلك يتم الرجوع الىٰ الوضع الأصلي بعد التنفيذ.
- قوة دفع طويلة: تقدم إلىٰ الأمام بالقدم اليسرىٰ بسرعة وبقوة توجه ضربة بالعصا لهدف سهل من جسم الخصم، ويتم الرجوع إلىٰ الوضع الأصلىٰ بعد التنفيذ.
- ضربة مقبض العصا: يتم دفع الجسم بسرعة إلىٰ القدم اليسرىٰ، وبحركة خاطفة بمقبض العصا توجه ضربة إلىٰ كتف الخصم أو فكه ويتم الرجوع إلىٰ الوضع الأصلىٰ بعد التنفيذ.

العصا المحطمة

قاعدة63:

وضع الاستعداد تكون فيه العصا فى وضع أفقي مواز للأرض، ويكون الصدر مستقيماً مع التقدم بالقدم اليسرى ويتم الإمساك جيداً بالعصا باليدين وتوجه ضربة سريعة خاطفة على صدر الخصم ويتم الرجوع إلى الوضع الأصلى بعد التنفيذ. ويمكن استخدامها فى المواضع السابقة .

المناطق المميتة

قاعدة64:

تعتبر (**الرأس -الرقبة-الحلق- منطقة القلب- منطقة الإبط**) من المناطق المميتة للإنسان والتى لا تستخدم فيها العصا، وعند الضرب بالعصا لا يتم رفعها فوق الرأس لضرب الخصم لأنها تسبب إصابات دائمة وتعكس صورة سيئة لقوات المكافحة.

قاعدة65:

يتم استعمال العصا للدفاع ضد أى هجوم غيرعدائى ولمنع/ تغيير مسار الخصم، ويمكن استعمال هذه التكتيكات الدفاعية فى أى وضع من الأوضاع السابقة.

الأسلحة

قاعدة66:

يستخدم السلاح فى مكافحة الشغب فى ثلاثة مواضع هى :-

- موضع حماية المنافذ: وهو وضع يشبه وضع المنافذ السابق باستثناء أن الأسلحة تكون فيه محمولة فى اليد اليسرى وموازية للأرض. وقد يتسنى للحشود المشاركين فى المؤخرة مشاهدة البنادق مع قوات المكافحة مما يولد انطباعات لدى الحشود بالتفوق العددى والنوعي للقوات. ولا تترك

الجنود لمدة طويلة خوفًا عليها من الإنهاك ويعتبر من المواضع الفعالة لاستعراض القوة.

- موضع حماية القوات: تكون فيه اليد اليمنى مقابلة الجانب الأيمن من الخصر، ويوجه السلاح للأمام حتى تكون حربة البندقية فى مستوى الحلق، ولابد من المحافظة على هذا الوضع أثناء الاشتباك أو المقاومة. ويتم استخدام هذا الموضع لراحة الجنود فى الظروف العادية مثل (تقدم الجنود)، وأيضًا عند مطاردة الحشود المنسحبة بدون مقاومة. وهو موضع غير مرهق.
- موضع الحراسة: تكون فيه القدمان فى وضع مريح ومفتوحتان مسافة مناسبة، يوضع الكعب الأيسر عند مقدمة الرجل اليمنى، يتم ثنى الركبتين ثنيًا بسيطًا فى اتجاه الخصر، وتوضع البندقية عند مستوى الحلق. ويتم استخدام هذا الموضع عند اشتباك الجنود مع المجموعة المقاومة أو المترددة فى الانسحاب. ولا تترك الجنود لمدة طويلة خوفًا عليها من الإنهاك، ويتم إراحة الجنود فى الظروف الطبيعية.

التشكيلات

قاعدة67:

تتكون تشكيلات مكافحة الشغب من خمسة تشكيلات أساسية هى تشكيل **(الصف- الوتد- المستوى- المعين – الدائرة)** ويستخدم التشكيل المعين والدائرى لفرق التخويف والمجموعات الصغيرة، ولا يفضل زيادة حجم الفرقة عند الاشتباك.

قاعدة68:

يستخدم تشكيل الصف والوتد والمستوى، فى الفرق وما فوقها وهو قاعدة

أساسية فى تشكيلات الفصائل والسرايا. ولابد للفرقة أن تحتوى على شخص ماهر فى قواعد التشكيل قبل البدء فى عملية التشكيل.

قاعدة69:

قيادة فصائل تشكيلات مكافحة الشغب تتكون من:-

- قائد الفصيلة.
- رقيب أول الفصيلة.
- قناص ماهر.
- عامل إشارة أومراسل.

عند قيادة أو توجيه الفصيلة من أكثر من جهه فإن عدد القيادة العليا للفصيلة يزداد.

قاعدة70:

يتم التوجه إلى مكان الاضطراب فى تشكيل عمودى ومنه يتم تنفيذ التشكيل المخطط له عن طريق تحرك قائد الفصيلة -عندما يتلقى الأوامر- إلى يمين الفصيلة وفى مواجهة الجنود. ويقوم قائد الفصيلة بتحديد مكان التشكيل وإصدار إشارة كأمر تمهيدى، وأمر «**تقدم**» كأمر تنفيذى، ويكون بين الأمرين فترة لكى يعطى فرصة لقادة المجموعات لتجهيز المجموعات لتنفيذ التشكيل.

قاعدة71:

تتكون الفصيلة من ثلاث مجموعات، تقود الفصيلة المجموعة الأولى والثالثة، وتقوم بعمليات الدعم العام أو الجانبى المجموعة الأولى وتسمى المجموعة الداعمة، ولكن الأمثلة المرفقة تفترض أن المجموعة الثانية هى التى تقوم بعملية الدعم.

قاعدة72:

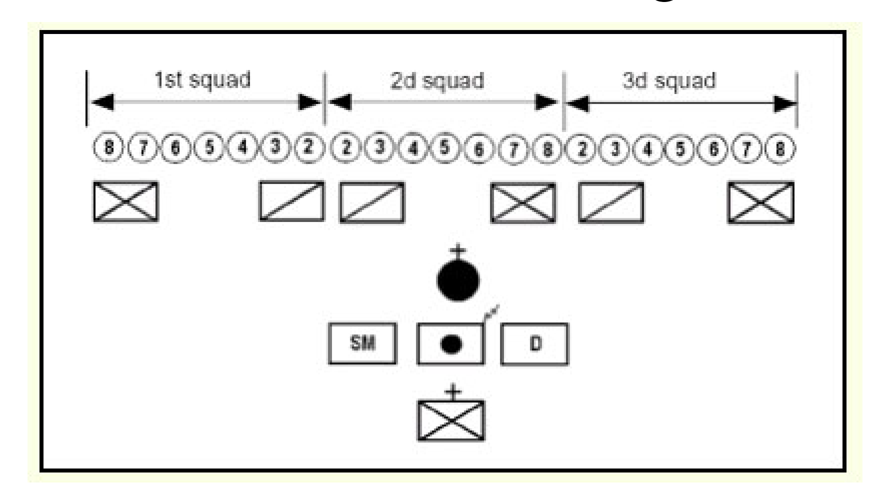
عند التحرك من الدعم العام إلىٰ الدعم الجانبىٰ أو التمدد داخل التشكيل، يتحرك عدد من الأفراد إلىٰ جهة اليمين ويتجة نفس العدد إلىٰ جهة الشمال. ويحدد قائد المجموعة هذا العدد، ويكون مساعد قائد المجموعة هو المسيطر علىٰ الأعداد الفردية من الأعضاء.

وتكون صيغة أمر الجمع للدعم العام، والتىٰ يصدرها قائد الفصيلة هىٰ «**مجموعة الدعم الثانية ، تقدم**». وبعد ذلك تعود المجموعة فىٰ أعمدة خلف تشكيل الصف للمجموعتين.

تشكيل الصف

قاعدة73:

يستخدم تشكيل الصف فىٰ عمليات الهجوم والدفاع. فتشكيل الهجوم يستخدم لدفع أوتوجيه الحشود (للخلف أوإلىٰ منطقة مفتوحة أو إلىٰ شارع المدينة). أما تشكيل الدفاع فيستخدم (لاحتجاز المحتشدين أو منعهم من الدخول إلىٰ الشوارع أو المناطق المحظورة). (انظر شكل 2).



شكل 20: **تشكيل الصف**

قاعدة74:

تكون صيغة أمر تشكيل فصيلة الصف هو «**فصيلة التصادم ، تقدم**» ، فتقوم المجموعة الثانية بالتحرك للأمام إلىٰ النقطة المحددة من قائد الفصيلة، ويعتبر الرجل رقم 2 فى المجموعة الثانية هو محور خط تشكيل الفصيلة بحيث يكون التشكيل علىٰ هذه الصورة :-

- تقف المجموعة الثانية علىٰ خط التشكيل إلىٰ يمين رجل الأساس رقم 2.
- تقف المجموعة الأولىٰ علىٰ خط التشكيل إلىٰ يسار المجموعة الثانية.
- تقف المجموعة الثالثة علىٰ خط التشكيل إلىٰ يمين المجموعة الثانية.
- وتصبح المجموعة الثانية بين المجموعتين الأولىٰ والثالثة.

قاعدة75:

لجمع الفصيلة من خط التشكيل يأخذ قائد الفصيلة وأفراد القيادة العليا مكاناً فى مؤخرة الفصيلة، ويعطىٰ قائد الفصيلة أمر «**اجمع فصيلة ، تقدم**». ثم يرفع ذراعه الأيمن ويقوم بعمل دائرة مغلقة فوق رأسه.

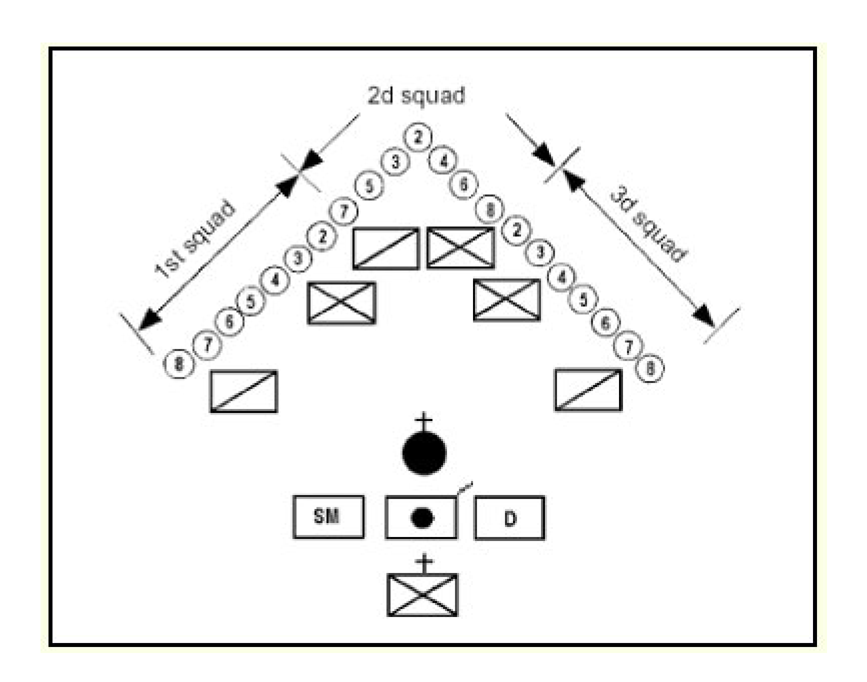
ويصدر قائد المجموعة الثانية أمر «**اتبعونى**» إلىٰ النقطة المحددة. وتتحرك المجموعة الأولىٰ والثالثة لتقفا علىٰ جانبىٰ المجموعة الثانية تحت سيطرة قائد المجموعة. وتصبح كل المجموعات منتظمة خلف قيادة الفصيلة.

تشكيل الوتد

قاعدة76:

يستخدم تشكيل الوتد كتشكيل هجوم أو اختراق وتشتيت الحشود. وتكون صيغة أمر تشكيل فصيلة الوتد هو «**فصيلة الوتد، تقدم**». فتبدأ المجموعة الثانية فى عملية التشكيل فى النقطة المحددة من قائد الفصيلة علىٰ شكل وتد (**سهم**) يكون فيها رجل الأساس رقم 2 فى قمة الوتد، ومجموعة الجنود ذات الأرقام

الفردية علىٰ طرف الوتد الأيسر، ومجموعة الجنود ذات الأرقام الزوجية علىٰ طرف الوتد الأيمن، وتقف جنود المجموعة الأولىٰ والثالثة علىٰ يسار ويمين المجموعة الثانية علىٰ الترتيب. انظر (شكل 3).



شكل 21: **تشكيل الوتد**

قاعدة77:

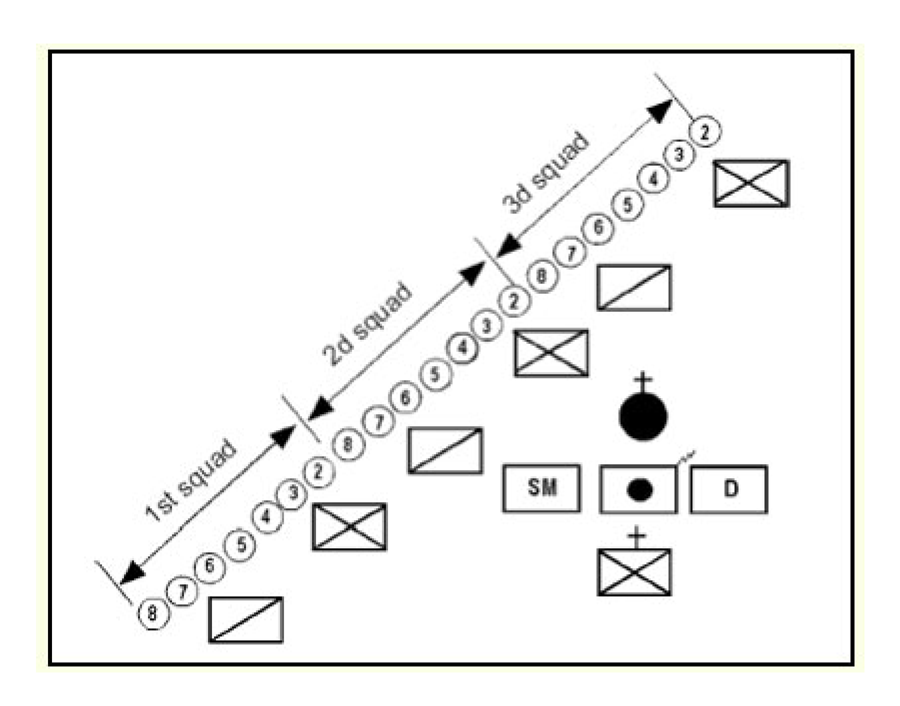
تكون صيغة أمر التشكيل هو «**اجمع فصيلة، تقدم**» ، فيتحرك قائد المجموعة الثانية إلىٰ النقطة المحددة من قائد الفصيلة، ويتجمع أفراد المجموعة خلف القائد حسب أرقامهم وترتيبهم. وتتحرك المجموعة الأولىٰ والثالثة فىٰ تشكيل عمودىٰ إلىٰ شمال ويمين المجموعة الثانية علىٰ الترتيب .

تشكيل المستوى

قاعدة78:

يستخدم تشكيل المستوىٰ كتشكيل هجومىٰ أو فىٰ تدوير أو تحويل

المجموعات أو تفريغ مساحات وتحريك الحشود بعيداً عن المبانى والأسوار والحوائط. فى هذا التشكيل يستطيع جنود الجهة اليسرى أو اليمنى الاعتماد على اتجاه حركة المحتشدين.



شكل 22: **تشكيل المستوى الأيسر**

فصيلة تشكيل المستوى الأيسر

قاعدة79:

تكون صيغة أمر تشكيل فصيلة المستوى الأيسر هى « **فصيلة تشكيل المستوى الأيسر، تقدم**»، يضع رجل الأساس رقم 2 فى المجموعة الثالثة نفسه فى النقطة المحددة من قائد الفصيلة ويقف باقى أعضاء المجموعة فى الأماكن عن طريق خطوة للخلف وخطوة لليسار من الجندى السابق له حتى يتكون التشكيل.

قاعدة 80:

لجمع الفصيلة من تشكيل المستوى الأيسر يأخذ القائد مكاناً خلف التشكيل مع قيادة الفصيلة ويصدر أمر «**اجمع فصيلة، تقدم**»، فتتحرك المجموعة الثالثة وتشكل عموداً عند النقطة المحددة من قائد الفصيلة، والمجموعة الأولى والثانية تتجمعان في شكل عمود عند شمال نهاية المجموعة الثالثة.

فصيلة تشكيل المستوى الأيمن

قاعدة 81:

تكون صيغة أمر تشكيل فصيلة المستوى الأيمن هي «**فصيلة تشكيل المستوى الأيمن، تقدم**». يضع رجل الأساس رقم 2 في المجموعة الأولى نفسه في النقطة المحددة من قائد الفصيلة. ويقف باقي أعضاء المجموعة في الأماكن عن طريق خطوة للخلف وخطوة لليمين من الجندي السابق له حتى يتكون التشكيل.

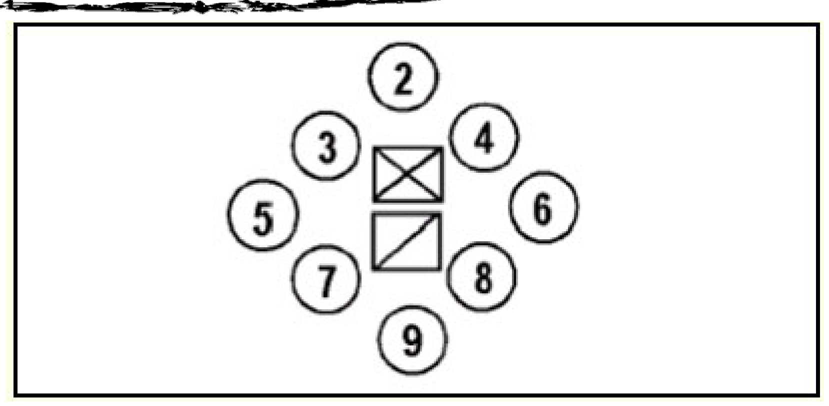
قاعدة 82:

لجمع الفصيلة من تشكيل المستوى الأيمن يأخذ القائد مكاناً خلف التشكيل مع قيادة الفصيلة. ويصدر أمر «اجمع فصيلة، تقدم»، فتتحرك المجموعة الأولى وتشكل عموداً عند النقطة المحددة من قائد الفصيلة، وتتجمع المجموعتين الثانية والثالثة في شكل عمود يمين المجموعة الأولى.

التشكيل المعين

قاعدة 83:

يستخدم تشكيل المعين كتشكيل هجوم أو دفاع وعند دخول قوات مكافحة الشغب مكان الحشد للقبض على قيادة الحشد.

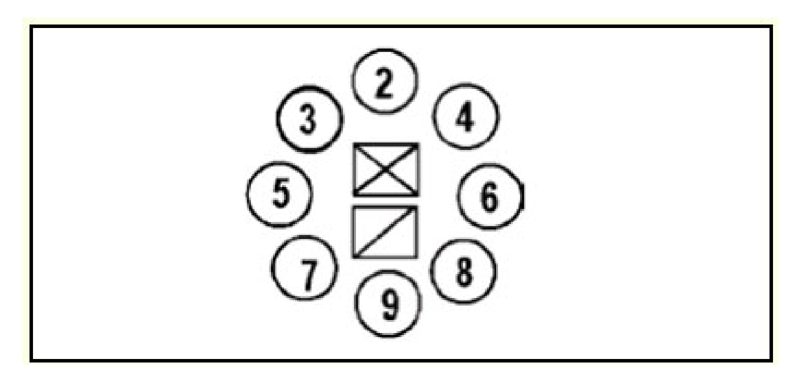


شكل 23: **تشكيل المعين**

تشكيل الدائرة

قاعدة84:

يستخدم تشكيل الدائرة فى نفس أغراض تشكيل المعين وفى تشتيت الحشود الغير عنيفة.



شكل 24: **تشكيل الدائرة**

متغيرات

قاعدة85:

يمكن استعمال بعض المتغيرات المناسبة والخاصة بتشكيلات مكافحة الشغب، فلابد من التأكد من أن الأوامر والإشارات توصي بتنفيذ التشكيل. وتحتاج بعض الأمور المعقدة إلى التنسيق والتدريب الجيد على التشكيلات قبل استخدامها فى أعمال المكافحة.



مشروع دعم الأداء السلمي

تقوم فكرة المشروع علىٰ دعم الأداء السلمي في المجتمع في أي شكل من أشكال التعبير أو الاحتجاج، هي أقرب لمجموعات حفظ سلام، تعمل علىٰ تحقيق السلم الأهلي.

ويتركز دور القائمين على المشروع في:

1 - توثيق طريقة التعبير والاحتجاج.

2 - توثيق أي خلل وتحديد الأطراف المتسببة فيه.

3 - تقديم النصيحة للمحتجين والمسئولين وقوىٰ الأمن.

توثيق طريقة التعبير: ونعني به تسجيل الملامح الحضارية وكذلك السلوكيات السلبية التي قد يمارسها المحتجون.

ومن ذلك رصد:

* درجة التخطيط والتنظيم.

* درجة حماية المحتجين لنشاطهم من العنف الذاتي أو الخارجي.

* درجة رقيهم في الحوار مع الجماهير أو قوات الأمن.

* درجة إبداعهم في الوسائل.

* درجة تجسيد معاني العمل السلمي.

توثيق أسباب الخلل: في حالة تحول النشاط إلىٰ عمل عنيف، هل تم ذلك بسبب المجموعات المحتجة ذاتها، أم مخربين تسللوا إليهم، أم استفزازات قوات الأمن.

تقديم النصيحة للمحتجين والمسئولين وقوىٰ الأمن: فعملية توثيق ما يجري كافية لتقديم النصيحة لكل طرف من الأطراف، بناء علىٰ رصد اختراقات للمجموعات، أو نزعات للعنف عند أي طرف. كذلك يستفاد من رصد تفاعل المجتمع مع ما يجري. وبإمكان مجموعات الرقابة علىٰ الأداء السلمي التنبؤ

باحتمال اندلاع عنف، من خلال رصد حدة لفظية في الكلام، في هذه الحالة يمكن لفريق الرصد التواصل مع قيادات الاحتجاج ليأخذوا حذرهم، فيقوموا بنشاط يهديء الموقف، مثل الغناء، أو عمل عروض فيديو .. الخ

سياسات المؤسسات والمجموعات العاملة في مجال الرقابة على الأداء السلمي

1 – الوقوف علىٰ الحياد من المطالب، فهي ليست طرفًا في الصراع، هي فقط أداة رصد وتوثيق وحماية لقيمة السلمية.

2 – التواجد في أي مكان فيه تعبير احتجاجي أيًا كانت مطالبه، وسواء اتفق مع مجموعة الرقابة أم لا، فهي تمثل الرقابة علىٰ الجودة في التعبير، بغض النظر عن المطلب.

3 – ضبط النفس إلىٰ أعلىٰ قدر وعدم الاشتباك بأي شكل مع المحتجين أو قوات الأمن، بحيث لا تتحول المجموعة إلىٰ طرف في الصراع.

آلية العمل

1 – موقع إلكتروني خاص بنقل الفعاليات وتسجيل التقارير حول جودة الأداء في أي موقع.

2 – يتم تلقي الطلبات من أي جهة ستمارس نشاطًا احتجاجيًا وتطلب رقابة الجودة، كما يمكن المبادرة بالتواجد في مواقع الأحداث حتىٰ ولو لم يُطلب ذلك.

3 – نصب كاميرات في موقع الحدث وتوثيق كل ما يجري لإمكانية توثيق النشاط الاحتجاجي لحظة بلحظة. وعمل بث مباشر عبر الموقع الإلكتروني، كما يمكن ربط البث بالفضائيات التي تتبنىٰ المشروع.

4 – إصدار تقارير مكتوبة ومرئية بشكل دوري عبر وسائل النشر الإلكتروني مثل صفحات الفيسبوك وتويتر وغيرها من مواقع التفاعل الاجتماعي.

5- خلق قناة اتصال بين المحتجين وعموم الناس، وذلك من خلال ربط المحتجين بالجماهير إلكترونيـًا، بحيث يكون هناك تواصل بين الجمهور والمحتجين سواء في مجال إلهامهم الأفكار أو نقدهم. فمن المهم أن يعلم المحتج كيف ينظر له الناس.

6- خلق قناة اتصال بين المحتجين والجهات المسئولة مما يقلل درجة الاحتقان.

7- تحذير المحتجين في حالات رصد اختراق للمجموعات الأساسية السلمية. أو رصد احتمال انحراف متوقع عن المسار كتسجيل ارتفاع حدة التعبير لدىٰ بعض المشاركين. وبذلك يمكن لفريق الرقابة علىٰ الأداء السلمي إطفاء شرارة العنف مبكراً.

8- بنهاية النشاط يتم عمل فيلم توثيقي حول النشاط، بالإضافة إلىٰ تقرير مكتوب يسجل **فيه التالي**:

❋ اسم المجموعات المحتجة.

❋ تاريخ البدء.

❋ تاريخ النهاية.

❋ هل طلبت الجهة الرقابة علىٰ الجودة؟

❋ حجم المجموعة القائمة بالنشاط ونوعية المشاركين (**السن – التعليم – الثقافة**– ..).

❋ المجموعات الوافدة التي تلتحق بالمجموعة الأساسية.

❋ مستوىٰ التنظيم والتخطيط.

❋ إجراءات حماية النشاط من عنف المجموعة.

❋ إجراءات حماية النشاط من عنف المخربين.

* إجراءات حماية النشاط من عنف الأمن.
* الأشكال الحضارية.
* الوسائل المبتكرة.
* الانتهاكات والأطراف القائمة بها.
* رد الفعل علىٰ الانتهاكات.
* تفاعل الجمهور مع المحتجين.
* تفاعل الجهات المسئولة مع المحتجين.
* الأداء الأمني.

ويمكن تطوير هذه البنود بحسب الحاجة، المهم أن يتم بذل الجهود لحصار أسباب اندلاع العنف قبل حدوثه، فإن حدث أمكن تسجيل كيفية اندلاعه بشكل موثق، بدلاً من الدخول في متاهات الروايات المتضاربة. إن هذه المؤسسات والمجموعات بمثابة العين الحارسة لسلمية المجتمع، ليست معنية بطبيعة مطالبه، وإنما بكيفية التعبير عنها وتفاعل كل أطراف المجتمع معها. وبوجود مثل هذه المؤسسات والمجموعات يقوىٰ المجتمع، ويقدم نموذجاً لكل المجتمعات، حيث تعمل الشعوب باحتراف لحصار العنف وحراسة حرية التعبير.

سمات العاملين في المشروع

* قدرة عالية علىٰ ضبط الناس والالتزام بدور التوثيق والنصح.
* غلبة المهنية علىٰ التوجهات والآراء السياسية للعامل في المشروع.

(تتطلب أناساً منطلقاتهم إنسانية بدرجة كبيرة)

* التمسك الشديد بمنهج اللاعنف تحت ضغوط عالية.
* مهارات تواصل تمكن من الحوار مع جميع الأطراف.



مجلة الشرطة والمجتمع

تقوم فكرة المشروع علىٰ إصدار مجلة دورية خاصة بالتواصل بين الشرطة والمجتمع. فلا ينبغي في مجتمع قوي أن يصبح جهاز الشرطة لغزاً، لأن المجتمع القوي هو الذي يتشارك فيه أفراده في إدارة مؤسساته والرقابة عليها ودعمها، ومن هذه المؤسسات مؤسسة الشرطة.

الهدف

1- الرقابة علىٰ الشرطة ودعم أدائها.

2- تعرف المجتمع علىٰ طبيعة الجهاز.

3- تعرف الشرطة علىٰ المجتمع وكيف ينظر لها.

محتوى المجلة

* آخر أخبار الشرطة الإيجابية التي تحتاج إشادة والسلبية التي تحتاج تقويمًا ومساءلة.
* مقالات ثقافية لخلق ثقافة مشتركة بين الشرطي والمواطن.
* نقل شكاوىٰ المواطنين أو إشادتهم.
* التواصل مع أقسام الشرطة علىٰ امتداد البلد، لنقل أهم الأخبار.
* نشر الاستطلاعات حول الرضا الشعبي عن أداء الشرطة، وعن درجة المشاركة المجتمعية.
* مقالات خاصة باستعراض البيئة التي يعمل فيها الشرطي في مختلف القطاعات.
* نقل التجارب الإنسانية العالمية في مجال بناء شرطة عين المجتمع عليها، وعينها علىٰ المجتمع.
* طرح مشاريع جديدة خاصة بتطوير الأداء وزيادة نوعية المشاركة

المجتمعية. مثل التعامل مع الجريمة أو الشغب.

آليات التنفيذ

* يشارك في تحرير المجلة مثقفون ومفكرون وضباط شرطة.

* توزيع المجلة علىٰ أقسام الشرطة والإدارات.. الخ.

* توزع علىٰ مؤسسات المجتمع المختلفة.

* تباع للجمهور العام.

ملحوظة: في حالة صعوبة البدء بالمجلة يمكن البدء بصفحة «**أخبار الشرطة والمجتمع**» في الصحف اليومية، تماماً مثل صفحات الرياضة والفن وغيرها. ففي المجتمعات الصاعدة ينبغي أن تفرد وسائل إعلامها مساحة معتبرة لموضوع الشرطة.

* * * *



مراجعة في سؤال وجواب

هل اللاعنف يصلح ضد نظام قمعي ديكتاتوري؟

نعــم... فقــد اســتخدم ضــد ديكتاتوريــات مثــل نظــام الــشاه في إيــران، وميلوسوفيتش في صربيا، وضد ديكتاتوريات عسكرية مثل بينوتشيه في تشيلي.

متى ينتصر العمل السلمي؟

ينظر العمل السلمي للقوة السياسية نظرة خاصة، حيث يحلل أسباب بقاء الديكتاتور، ما الذي يمده بالقوة ويبقيه.. فالنظام ليس قويـًا لذاته، وإنما:

* معتمد علىٰ الشرعية ومقابله نزع الشرعية.
* معتمد علىٰ الرضا الشعبي ويقابله الرفض والعصيان.
* معتمـد علـىٰ المؤسـسات التـي تـسير العمـل اليـومي ويقابلهـا العـصيان المؤقت أو الكامل أو التباطؤ أو توفير معلومات خطأ .. الخ.
* معتمد علىٰ القمع (**أداة التخويف**) والمقابـل تحويلهـا إلـىٰ أداة غيـر قـادرة علىٰ تحقيق أهدافه. الخ.
* معتمد علـىٰ الـدعم الـدولي الـسياسي والاقتـصادي والمقابـل رفـع الـدعم الدولي.

وهكـذا يـتم تحليـل كـل نظـام .. ودارسـة مـصادر القـوة التـي يقـوم عليهـا، وتحديـد الاسـتراتيجية المناسـبة لكـل مـصدر... حينهـا تمتلـك ترسـانة العمـل الـسلمي الكثيـر مـن الوسـائل الفعالـة... وعـادة مـا يكـون الـشغل الـشاغل لمـن يفكرون في العنف هو كيفية التعامل مع القمع.

هل اللاعنف قادر على مواجهة القمع؟

يجـب أولاً أن يـدرس منطـق القمـع وهدفـه، إن كـان هدفـه التخويـف قوبـل بالتحدي،والمواصلة، إن كان هدفه جر المتظاهرين للعنف قوبل بالتأكيـد علـىٰ العمل السلمي ومحاصرة العنف، إن كان هدفـه الـزج بحـروب أهليـة أو طائفيـة

قوبل بأنشطة تؤكد الوحدة الوطنية... فالمهم هو مواجهة هدف القمع، وليس القمع ذاته. فإن لم يؤت ايحقق القمع هدفه ربما يقل أو يتوقف. لذلك تنجح الحركة اللاعنفية حين تنال من هدف القمع، وعليها أن تكون مستعدة لدفع تكلفة الأمر، لذلك فإن كيفية مواجهة القمع تتوقف علىٰ الهدف من القمع.

لكن الناس تموت بسبب القمع؟ ماذا نفعل؟

كل نضال يتطلب تضحيات، وحتىٰ لو أعلنت الكفاح المسلح، سيموت كثيرون، الكفاح اللاعنيف مؤلم مثل الكفاح المسلح، يقدم جرحىٰ وشهداء.

أغلب الأنظمة القمعية تتمنىٰ من خصومها اللجوء للعنف حيث الملعب المفضل لها والذي تتفوق فيه، هي دائماً تحاول تصويرهم بأنهم مجموعات مخربة وعنيفة، وعليهم ألا يساعدوها في ذلك، وقد ترتكب النظم أعمال تخريبية وتنسبها للمقاومة وهو أمر شائع في الديكتاتوريات، وغالباً يكون الهدف منه الاحتفاظ بالدعم الدولي وخداع عموم الناس، وتبرير العنف ضد المقاومين.

قد لا يتعاطف الناس رغم القمع، أليس الأفضل إعلان الكفاح المسلح؟

عدم تعاطف الناس ربما يكون لأسباب عدة:

* القضية التي يتم مناصرتها غير عادلة أو غير واضحة للرأي العام.
* المسار المطروح غير مقبول فعامة الناس مثلاً لا يقبلون علىٰ الانخراط في أعمال مسلحة خاصة إن لم تكن ضد محتل أجنبي.
* الخوف الشديد من القمع.

ولا يمكن الانتصار سواء في حرب عنيفة أو غير عنيفة بدون دعم شعبي، إن كان التجاوب الشعبي ضعيفاً فهذا يعني أن الظروف ليست مواتية بعد.

هل من خيارات للتصدي للقمع؟

الخيارات كثيرة منها:

* مقابلة العنف بسلمية تامة وتحمل الضربات وهو ما يحقق الأهداف السابق ذكرها، وهذا يتطلب شجاعة كبيرة.
* السلمية التامة مع ابتكار أدوات الحماية، مثل أنواع الدروع الفردية والجماعية التي تستخدم لصد المقذوفات وتجنب أثر الغازات.
* التمييز بين مرتكبي العنف وتحديد طريقة التعامل مع كل طرف، فقوات الجيش تختلف عن قوات الشرطة تختلف عن قطاع الطرق والمأجورين، السلاح الأساسي في اللاعنف هو عموم الناس، وبالتالي يتم التعامل مع مرتكب أعمال العنف بالطريقة التي يرضاها عموم الناس وتزيد تعاطفهم مع حركة المقاومة. وليس من الحكمة أن تلقي سلاحك الأساسي (**الجماهير**) لترد علىٰ القمع، ربما كان خصمك يجرك لذلك، لذلك فإن تحديد البوصلة في حدود الرد وكيفيته يكون بإجابة سؤال: ما الذي يزيد من تمسكك بسلاحك الأساسي (**التعاطف الشعبي**)؟.. فإعلان السلمية التام أمام قوات الجيش قد يكون هو المقبول شعبياً، مثلما أن الإمساك بقطاع الطرق والمأجورين يكون مقبول شعبياً، يختلف ذلك من بلد إلىٰ آخر بحسب ثقافته ووعيه بمفهوم "العنف"، ونظرته لهذه الأطراف.
* تجنب الدخول في مواجهات مباشرة من خلال استخدام وسائل اللاعنف التي لا تعتمد التدخل المباشر، مثل الإضرابات، أو الإرهاق الإداري للخدمات (**الإلحاح علىٰ طلب خدمة معينة حتىٰ تتوقف**)، المقاطعة الاجتماعية للعاملين في النظام مثل الوزراء والجنود وعمل أنشطة قادرة

علىٰ خلق حوار واسع مع هذه الشرائح (**هم وعائلاتهم**)، وسحب الودائع المصرفية، والمقاطعة الاقتصادية لبعض المؤسسات .وهناك الكثير من وسائل الفعل غير المباشر التي يمكن اللجوء إليها.

ويكون التفكير عموما ليس فقط في كيفية التصدي للقمع، بل في كيفية رفع تكلفته علىٰ الخصم. ويجب التفكير جيداً كيف لا تصب الخطوة التي ستقوم بها في صالح خصمك.

ماهو تأثير التصدي السلمي للقمع؟

عندما تتعامل النظم بوحشية في مقابل التمسك بالعمل السلمي يؤدي ذلك إلى:

* زيادة التعاطف الشعبي.
* تصدع في معسكر الخصم وبداية الانشقاقات.
* تعاطف المجتمع الدولي.
* تذبذب موقف الدول الداعمة للنظام الديكتاتوري.

ويمكنك في بلدك مع كل عملية قمع وحشي أن تدرس أثرها علىٰ المجتمع.. وترىٰ هل تؤثر سلبياً أم إيجابياً.

هل القمع دائماً يأتي بأثر عكسي على الأنظمة؟

القمع غالبا ما تصاحبه مجموعة تكتيكات حتى لا يحدث أثراً عكسياً:

* إخفاء المعلومات (**إخفا ءالجريمة عن الرأي العام**).
* تقليل قيمة الجريمة (**إنها مجرد اعمال شغب تم التصدي لها**).
* إعادة تفسير ما جرىٰ (**هم الذين بدأوا وكنا في حالة دفاع عن النفس**).
* إحالة الموضوع للقنوات الدستورية الشرعية (**حيث تضيع العدالة**).

* الترغيب والترهيب (**ويتم مع المعرضين للقمع أو الراغبين في دعم حركة الاحتجاج**).

لذلك من المهم أيضاً مقاومة هذه التكتيكات بتكتيكات عكسية حتىٰ يؤتي القمع أثره العكسي، ويتحول إلىٰ هدف لصالح حركة المجتمعات بعد أن كان هدفاً مصوباً لصدرها.

ألا يمكن أن يخفق العمل السلمي؟

يمكن أن يخفق في الهدف السياسي المباشر مثلما هو وارد في العمل المسلح، قد يظن البعض أن الكفاح المسلح يؤدي إلىٰ نتائج سريعة، ولكن التجارب تقول أن الكفاح المسلح قد يخفق وقد يستمر لسنوات، خاصة حين يتم حصاره شعبياً.

لكن ما يميز العمل السلمي أنه ينتصر لفكرة مدنية الصراع السياسي وليس عسكرته، فليس من معه القوة العسكرية سينتصر، ولكن من معه الدعم الشعبي والقضية العادلة، وإلا تحولت البلاد إلىٰ ميليشيات ينتصر فيها من يمتلك سلاحاً أكثر. وهو أيضاً يحول دون الثارات التي يخلقها العمل العنيف، وتساهم في تماسك المجتمع، كما أن العمل السلمي بوسائله المتنوعة التي بها جزء من أعمال البناء مثل بناء مؤسسات موازية وبديلة يساهم في تأسيس مجتمع قوي، وهو ما يجعل العلم المسار السلمي في حد ذاته يتطلب كفاحاً لترسيخه كأسلوب إنهاء النزاعات السياسية. فهو ليس مساراً فحسب.. لكنه كذلك هدف.

كانت هذه أجوبة أهم الأسئلة حول لماذا يكون التمسك بالعمل السلمي رفم القمع .ليس السؤال دائماً كيف نواجه القمع بشكل سلمي؟ ولكن كيف يواجه القمع سلمية المحتجين؟ الذين يعرفون ببراعة كيف يجهضون هدف القمع ويحققون أهدافهم هم.

قائمة المصادر

الأدبيات الأجنبية

- Amnesty International, Amnesty, International Report 1981 (London: Amnesty International, 1981)
- Andrew Heywood (2002): Politics, (New York: Palgrave Macmillan, 2nd ed.).
- Jeane Kirkpatrick (1969): Dictatorships and Double Standards, Commentary, November.
- Joanna R. Quinn (2004): Why Neighbors Kill: Explaining the Breakdown of Ethnic Relations, Ph.D.diss, The University of Western Ontario.
- John Child, "Strategic Concepts of Latin America: An Update," Inter-American Economic Affairs (summer, 1980)
- Martin, Brain (2012): Backfire Manual Tactics Against Injustice, Irene Publishing Sparsnas.
- Martin, Brain (2001): Technology for Nonviolent Struggle, London, War Resisters' International
- Michael Randle, "Militarism and Repression", Alternatives: A Journal of World Policy*, 7*, 1 (summer, 1981)
- ROY H. RENGSTORFFJO, HNP . PETRALI, MILLARD M. MERSHONA, ND VAN M. SIM (1975): The Effect of the Riot Control Agent Dibenz(b,f)-l,QOxazepine (CR) in the Rabbit Eye' TOXICOLOGYAND APPLIEDPHARMACOLOGYM
- Schock, Kurt (2005): Unarmed insurrections. People power movements in non-democracies, University of Minnesota Press, Minneapolis, MN.
- Sharp, Gene (2005): The Politics of Nonviolent Action,

eighth printing, USA, extending horizons books.

- uan P. de Torres, Vı´ctor Correa, Jacob Rosquete, Toma´s Febles, Riot control agents and their respiratory effects, Respiratory Medicine Extra (2006).
- Electronic Civil Disobedience (ECD), Printed Matter, NYC, 1994.

الأدبيات العربية والمترجمة

* أحمد عادل عبد الحكيم، د. هشام مرسي، م/ وائل عادل، حرب اللاعنف الخيار الثالث، الدار العربية للعلوم – أكاديمية التغيير، بيروت، الطبعة الأولىٰ، 2007.

* أحمد عادل عبد الحكيم، د. هشام مرسي، م/ وائل عادل، حلقات العصيان المدني، الدار العربية للعلوم – أكاديمية التغيير، بيروت، الطبعة الأولىٰ، 2007.

* د.ألفت الدبعي، مسيرة الحياة.. الضوء القادم من تعز، مجلس شباب الثورة الشعبية، ص7.

* تشي جيفارا، مباديء حرب الغوار، دار الفارابي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولىٰ، 1998.

* جان ماري مولر، استراتيجية العمل اللاعنفي، حركة حقوق الناس، بيروت، الطبعة الأولىٰ، 1999.

* جان ماري مولر، معنىٰ اللاعنف، مركز اللاعنف وحقوق الإنسان، جمعية العمل الاجتماعي الثقافي، بيروت، ط1، 1995.

* جين شارب، أشكال التدخل المباشر، حركة حقوق الناس، بيروت، الطبعة الأولىٰ، 1997.

* سان تسو، فن الحرب، ترجمة رؤوف شبايك، نسخة إلكترونية.

* الفريق سعد الدين الشاذلي، مذكرات حرب أكتوبر، دار بحوث الشرق الأوسط الأمريكية، سان فرانسسكو، الطبعة الرابعة، 2003.

* سيردجا بوبابيتش، أندريج مولافيجتش، سولوبودان دينوجونفيتش، الكفاح السلمي.. 50 نقطة حاسمة، مركز تطبيق الاستراتيجيات وعمل اللاعنف، بلجراد، صربيا، 2006.

* روبرت غرين، 33 استراتيجية للحرب، مكتبة العبيكان وكلمة، الطبعة الأولىٰ، 2009.

* روبرت غرين، قواعد السطوة، إيلاف معات لعلوم النفس والشخصية، الطبعة الأولىٰ، 2011.

* د. هشام مرسي، الدروع الواقية من الخوف، الدار العربية للعلوم – أكاديمية التغيير، بيروت، الطبعة الأولىٰ، 2007.

* د. وليد صلابي، نعم للمقاومة لا للعنف، توزيع الهيئة اللبنانية للحقوق المدنية، 2005.

الأفلام الوثائقية

- A Force More Powerful (2000). York Zimmerman Inc./ WETA Washington, D.C. DVD, 180 Min., USA: YZI.
- Bringing Dawn a Dictator (2000). York Zimmerman Inc./ WETA Washington, D.C. DVD, 180 Min., USA: YZI.
- "Terror: To Confront or Concede" (London: British Broadcasting Company, 1979).
- How to start a Revolution (2011). Ruaridh Arrow, D.C. DVD, 60 Min., UK: TVF International. (نشرت النسخة المدبلجة من الفيلم تحت عنوان «أستاذ **الثورة**» علىٰ قناتي الجزيرة وبي بي سي العربية)

الأفلام السينمائية

- Ghandhai (1982). Richard Attenborough, D.C. DVD, 191 Min., International Film Investors, National Film Development Corporation of India (NFDC), Uk.
- Battle In Seattle (2007). Stuart Townsend, D.C. DVD, 111 Min., Hyde Park Entertainment, Insight Film Studios, Remstar Productions, USA.

مواقع على الإنترنت

- http://www.clownarmy.org/about/about.html
- http://www.globalsecurity.org/military/library/policy/army/fm/19-15/CH8.htm
- http://www.humanecapture.com/nets/
- http://net-gun.com
- http://www.yankodesign.com/2012/01/24/riot-slower-downer/
- http://aoc.fm/site/

❊ ❊ ❊ ❊

إصدارات أكاديمية التغيير

سلسلة حرب اللاعنف

حرب اللاعنف... الخيار الثالث

أسلحة حرب اللاعنف

حلقات العصيان المدني

الدروع الواقية من الخوف

حرب الصدور العارية

مسرح عمليات اللاعنف

99 وسيلة للتعامل مع المسؤول الفاسد

سلسلة ثورة العقول

زلزال العقول (1)

زلزال العقول (2)

نزهة في شوارع العقل

* * * *